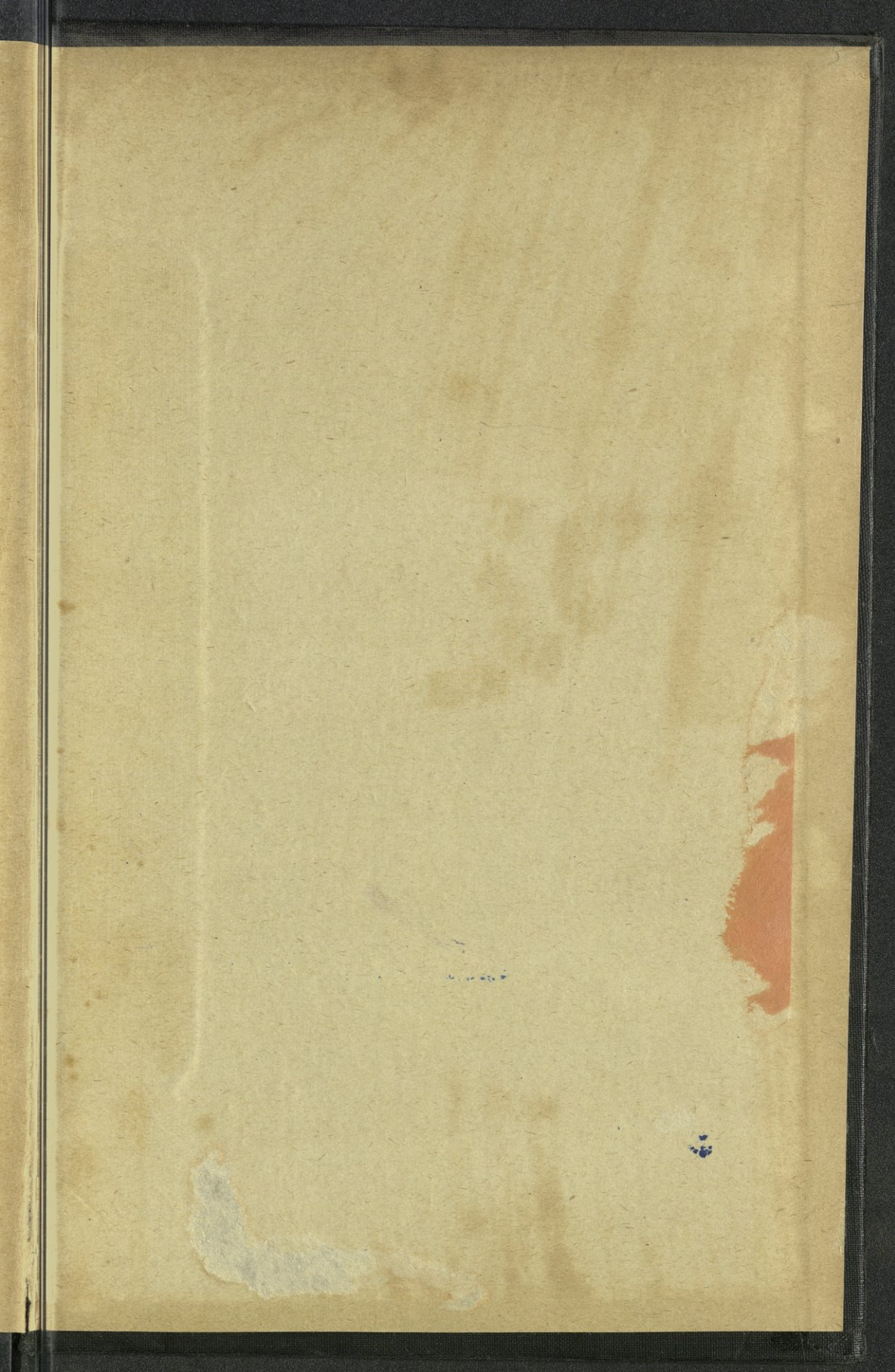




297.4:D95aA

الدريديري - يحيى احمد

اركان الاسلام الخمسة واثرها في

حياة الافراد والجماعات

297.4
D954A

NO 17:58

DE 11:58

JA 7 54

F 30 54

APR 25

MAY 9

JAN 22

NOV 3

MAY 4 59

JUN 1 1993

JAFET LIB.

1 JUN 1993

13

Cat. Dec. 51

A S.

297.4

D95aA

C.1



أركان الإسلام الخمسة

دأثرها في حياة الأفراد والمجتمعات

تأليف

يحيى أحمد الدرديري

دكتور في الحقوق ولساني في العلوم السياسية
والرافعة العام لجمعية الشبان المسلمين



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٩٥٠ - ١٣٦٩

77918

الطبعة الثانية - وهي كينيتها

Cat. Dec. 51



1893

مقدمة الكتاب

رسالة الشبان المسلمين

بقلم

حضرة صاحب السعادة المجاهد الكبير اللواء محمد صالح حرب باشا
الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

جاء الاسلام بكلمة لا إله الا الله ، فكان بشيرا بتحرير الإنسانية من ربة عبودية الأوثان ، وحدا فاصلا للجور والطغيان ، وأن لا سلطان لإنسان على انسان ، وأن الكل متساوون أمام شريعة الواحد الديان : لا فضل لعربي على أعجمي الا بانهتمى ، الكل متساوون فى الحقوق والواجبات ، متفاوتون فى الاعمال والدرجات . وقد فرض على المؤمنين من عباده صلوات خمساً ليعلمهم الطاعة والنظام ، ويصلهم برحمته الشاملة لجميع الأنام ، ويذكرهم أن العبد يجب أن يكون على أخلاق سيده ، باراً باخوانه ، رحيماً بجميع خلقه كما جاء فى الأثر « خير الناس أنفعهم للناس » . كما فرض عليهم الزكاة تطهيراً لأنفسهم من الشح والبخل ، وتدعيماً لأواصر المحبة بين الغنى والفقير ، حتى تكون الجماعة سليمة الأركان ، قوية البنيان . كما أمرهم بالصوم أياماً معدودات

في كل عام ، لينخرجه من عبودية العادة ، الى حرية الارادة ، التي يجب أن تسمو على الشهوات ، وتتحكم في النزوات . كما دعاهم الى الحج من استطاع اليه سبيلا ، وهو نوع من الجهاد يخرج فيه الإنسان من ماله وأهله ووطنه في سبيل طاعة ربه ، ليتعارف ويتشاور مع اخوانه من جميع الاقطار . ويسير ركب الإنسانية متجاذس الأهداف الى الغاية العليا وهي « سعادة البشر »

جعل الاسلام الايمان بما جاء به مقرونا بالعمل الصالح . وصالح العمل يتناول الفرد والجماعة ، فيجب على كل مسلم أن يعمل على اصلاح نفسه وولده وأهله ووطنه والانسانية وسع جهده . والحياة جهاد ، ولا مفر من العمل ، ومن لا يعمل لسعادته سخر لشقائه ، ومن لم يملك هواه ، ملكه فأرداه . والارض لا يرثها الا الصالحون لعبارتها ، وقيام العدل فيها ، والرحمة بأهلها . وفي الأثر : « الأعمال محصاة ، لن يهمل منها صغيرة ولا كبيرة ، فأكثروا من صالح العمل » . . . ان في القنوع لسعة ، وان في الاقتصاد لبلغة ، وان في الزهد لراحة ، ولكل عمل جزاء ، وكل آت قريب .

ورسالة الشبان المسلمين يجب أن تكون في سلوك بنيتها دليلها وهاديها . ويجب أن تستقر في الالباب ، قبل أن تدون في الكتاب . وأن تسكن الضمائر ، قبل أن تغزو الدفاتر . وأن تجرى من النفوس مجرى الدم ، ومن العقول في خلايا الفهم ، فتستحيل الى ايمان بالله وغرام بالوطن . شعارها : في سبيل الله نحيا ونموت ، وفي سبيل الوطن نسعى لنسود . وهذه الرسالة مردّها الى القرآن الكريم الذي هو عَقد بين الله وعباده المؤمنين . وهو أوضح دليل الى خير سبيل . من قال به صدق ، ومن عمل به أجز ، ومن حكم به عدل ، وهو شافع مشفع . وشاهد صدق ، من اهتدى بهديه سعد في الدارين ، ومن جعله وراء ظهره شق في الحياتين

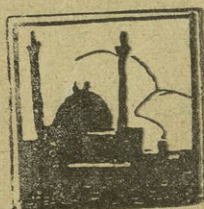
وها هو أخى الدكتور يحيى أحمد الدرديرى وقد عاصر جمعية الشبان منذ

نشأتها حتى بلغت أشدها قد أخرج كتابه (أركان الاسلام الخمسة ، وأثرها في حياة الافراد والجماعات) من نواحي متعددة : التعبدية ، والروحية ، والاخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والرياضية ، حتى يتبين للشبان وغيرهم أن دين الاسلام في أصوله وفروعه ما جاء الا لسعادة الافراد والجماعات . أساسه الطاعة والنظام والمحبة ، وغايته رقى الانسانية . يدعو الى ذلك في هوادة ورفق ، وفي عزة المؤمنين ، وإيمان الموقنين ، وجهاد الصابرين ، لنشر لواء العدل والسلام بين الناس أجمعين . والله نسأل أن يهديننا الى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين .

اللواء

محمد صالح حرب

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين



مقدمة

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والسلام على رسل الله أجمعين

أصول التشريع الإسلامى

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - سنة رسول الله صلوات الله عليه
- ٣ - الإجماع
- ٤ - الاستنباط ، أبى القياس على هذه الأصول

(١) كتاب الله عز وجل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد ، وهو يسمى (القرآن) ، قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهتدى
للتى هى أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ .
سورة الإسراء

﴿ وقرآننا فرقناه لنقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ .

سورة الإسراء

﴿ قل أى شئ أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى إلى هذا
القرآن لئنذركم به ومن بلغ ﴾ . سورة الأنعام

﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مَثَل ﴾ . سورة الروم
والقرآن يسمى (الكتاب) أيضاً فهو كتاب الله لعباده ليهديهم طريقه المستقيم ،
ويبين لهم ما يلزم لمعاشهم ومعادهم

قال تعالى :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ ﴾ . سورة لقمان
﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لَا رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . سورة البقرة
﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ الْكِتَابَ أَنْ يَقْرَأُوا فِيهِ وَآخَرُونَ ظَاهِرًا لَّهُمْ أَنَّهَا كَذِبٌ ۖ فَعُلُوا بِهَا
بُخْلًا ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِهَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ . البقرة
﴿ أُنزِلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ . سورة العنكبوت

ويسمى القرآن (بالذكر) لأنه يذكر الإنسان بأوامر ربه ، وبما يجب أن يفعله
أو يتركه لصالح حاله وحال من معه ، ليسعد في دنياه وآخرته .

قال تعالى : ﴿ وَالْقُرْآنَ ذِىَ الذِّكْرِ . . . ﴾ ، ﴿ أَمْ نُنزِلُ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ
مِن بَيْنِنَا ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ﴾ . سورة ص
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . سورة الحجر
وللقرآن أسماء كثيرة أخرى تعرف من سياق التنزيل ، كالحدى — والقرآن —
والنور — الخ .

(٢) سنة نبية ﷺ الذى قرن الله تعالى طاعته بطاعته ، وأمرنا باتباع سنته .
فقال عز وجل : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ . سورة النساء والنور والصف
وقال تعالى : ﴿ مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ وقال : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
خُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . سورة الحشر
وقال : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ .
سورة الأحزاب . والحكمة السنة

وقال ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ . سورة الأحزاب
﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ . سورة النحل

(٣) الاجماع الذى هو عبارة عن اجتماع علماء الأمة المجتهدين على حكم من الأحكام مستندين إلى نص من كتاب الله أو سنة رسوله ، وقد أشار القرآن إلى احترامه وصحته بقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ . سورة النساء

لأنه عز وجل توعده على اتباع غير سبيل المؤمنين ، فكان ذلك أمراً واجباً باتباع سبيلهم . وقال رسول الله ﷺ « لا تجتمع أمتى على ضلالة » .

(٤) الاستنباط ، وهو القياس على ما جاء في هذه الأصول الثلاثة التى هى الكتاب والسنة والاجماع ، لأن الله تعالى جعل المستنبط من ذلك علماً ، وأوجب الحكم به فرضاً فقال تعالى ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأُمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ . سورة النساء

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ أى بما أراك فيه من الاستنباط والقياس ، لأن الذى أراه فيه من الاستنباط والقياس هو بما أنزل الله عليه وأمره بالحكم به حيث يقول ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ . سورة المائدة (١)

وبما أننا سنتكلم فى هذا الجزء على العبادات ، فنترك الكلام على تفاصيل ما تقدم إلى موضع آخر .

الخلاص فى العبودية لله وحده

لو أن كل مسلم تدبر آيات الكتاب العزيز واستمسك بهدايتها لما أصاب المسلمين تلك الكوارث المفجعة ، والمصائب المدلّمة

لو أن المسلمين اعتصموا بآية من القرآن تتلى فى كل صلاة وهى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وبالاخلاص لله فى العبادة دون الإشراف به والاعتماد على غيره ، والاستعانة

(١) راجع كتاب (المقدمات المهدية لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية) للعلامة ابن رشد ، الجزء الأول .

به دون سواه والسير على حسب سننه وقوانينه العادلة لما أصابهم الذل والهوان في مشارق الأرض ومغاربها

ذكر الأستاذ العلامة ابن القيم أن سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وعليهما مدار العبودية والتوحيد حتى قيل إن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن . وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن . وجمع معاني القرآن في الفاتحة . ومعاني الفاتحة في إياك نعبد وإياك نستعين ، وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده ، فنصفها له تعالى وهو «إياك نعبد» ، ونصفها لعبده وهو «إياك نستعين»

فسر الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده وأن للعبادة صوراً كثيرة في كل دين من الأديان شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى الذي هو روح العبادة وسرها . ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه . والأثر إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي هو منشأ التعظيم والخضوع . فإذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة . كما أن صورة الإنسان وتمثاله ليس إنساناً .

قال الأستاذ الإمام في معنى ﴿إياك نستعين﴾ أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة : (أحدهما) أن نعمل الأعمال النافعة ، ونجتهد في إتقانها ما استطعنا . لأن طلب المعونة لا يكون إلا على عمل بذل فيه المرء ما في طاقته ولم يوفه حقه . أو يخشى أن لا ينتجج فيه . فيطلب المعونة على إتمامه وكأله . فمن وقع من يده القلم على المكتتب لا يطلب المعونة من أحد على إمساكه . ومن وقع تحت عبء ثقیل يعجز عن النهوض به وحده يطلب المعونة من غيره على رفعه ، ولكن بعد استقراغ القوة في الاستقلال به . وهذا الأمر هو مراقبة السعادة الدنيوية ، وركن من أركان السعادة الآخروية . (وثانيهما) ما أفاد الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك ، وهو روح الدين ، وكال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار ، ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم من قيد المتهبطين

الكاذبين من الأحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً ، وسيداً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً ﴿ ومن ينطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .
سورة الأحزاب

والاستعانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله وتحمل محله . وهو كال التوحيد والعبادة الخالصة ، ولذلك جمع القرآن بينهما في مثل قوله تعالى : ﴿ ولله غيبُ السموات والأرض ، وإليه يُرجعُ الأمرُ كله فاعبُدْهُ وتوكلْ عليه ﴾ .
سورة هود

إن لفظ الاستعانة يشعر بأن يطلب العبد من الرب تعالى العون على شيء له فيه كسب ليعينه على القيام به . وفي هذا تكريم للإنسان يجعل عمله أصلاً في كل ما يحتاج إليه لإتمام تربية نفسه وتزكيتها . وإرشاد له بأن ترك العمل والكسب ليس من سنة الفطرة ، ولا من هدى الشريعة ، فمن تركه كان كسولاً ، مذموماً ، لا متوكلاً محموداً ، وبتذكيره من جهة أخرى بضعفه لسكينة يغتر فيقوم أنه مستغن بكسبه عن عناية ربه ، فيكون من الهالكين في عاقبة أمره (١)

والله تعالى جعل العبودية وصف المقربين إليه من خلقه فقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ﴾ . سورة النساء

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » . وفي حديث آخر : « إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

والعبودية من لوازم المؤمن لا تنفك عنه حتى الموت ، قال الله تعالى لرسوله صلوات الله عليه ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٢) ﴾ . وقال أهل النار : ﴿ وكنا نمكذبُ بيوم الدين حتى أتانا اليقين (٣) ﴾ . واليقين هنا الموت بإجماع

(١) تفسير القرآن الحكيم الجزء الأول ص ٥٦ - ٦١ من تفسير المنار للعلامة السيد محمد رشيد رضا . راجع ما كتبه عن تفسير المنار في الجزء العاشر من السنة الثانية من مجلة الشبان المسلمين .
(٢) الحجر . (٣) المدثر .

أهل التفسير فلا تنقطع العبودية عن العبد ما دام في هذه الحياة الدنيا ولا بعد الموت . ومن ظن أنه يصل إلى مقام يسقط عنه التعبد فهو زنديق كافر بالله ورسوله ، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه ، وكلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبادته أعظم والواجب عليه منها أكثر من الواجب على من دونه . ولهذا كان الواجب على الرسول ﷺ بل على الرسل أعظم من الواجب على أممهم ، والواجب على أولى العزم أعظم من الواجب على من دونهم ، والواجب على أولى العلم أعظم منه على من دونهم ، وكل أحد حسب مرتبته ، وإن كانت الشريعة المطهرة تساوى بين جميع المسلمين في المطالبة بالعمل بأركان الاسلام وأوامره .

وشرط العبودية الطاعة والانقياد لما أمر الله ورسوله فيما بيده القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علماً عليها وشاهداً لمن ادعاها فقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (١) فجعل اتباع رسوله مشروطاً بحبهم لله وشرطاً لمحبة الله لهم . ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما ، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله ، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما كان نقصاً كبيراً في إيمانه ، قال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله فترهبوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (٢) فكل من قدم طاعة أو محبة شيء من هؤلاء المذكورين في الآية على طاعة الله ورسوله ، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه ، أو معاملة أحدهم على معاملة الله تعالى فهو بمن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وإن قال ذلك بلسانه فهو مغالطة منه وإخبار بخلاف ما هو عليه .

يجب أن تكون عبودية الله تعالى حسب ما أمر في كتابه العزيز وبينه رسوله المعصوم . وليس الانسان أن يتبدع فيها . فيتعبد مثلاً بترك النكاح . أو ترك أكل

اللحم أو الفاكهة أو الطيبات من المطاعم والملابس . ويرى لجهله أن ذلك مما عليه فيوجب على نفسه تركه . أو يرى تركه أفضل القرب وأجل الطاعات . وقد أنكر النبي ﷺ على من زعم ذلك . ففي الصحيح أن نفرأ من أصحاب النبي ﷺ سألوه عن عبادته في السر . فكأنهم تقالَّوها . فقال أحدهم أما أنا فلا آكل اللحم . وقال الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء ، وقال الآخر أما أنا فلا أنام على فراش . فبلغ النبي ﷺ مقالهم فخطب وقال : « ما بال أقوام يقول أحدهم أما أنا فلا آكل اللحم . ويقول الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء . ويقول الآخر أما أنا فلا أنام على فراش ؟ لستني أتزوج النساء . وآكل اللحم . وأنام وأقوم . وأصوم وأفطر . فمن رغب عن سنتي فليس مني ، فقبراً بمن رغب عن سنته وتعبد لله بترك ما أباحه الله لعباده من الطيبات رغبة عنه واعتقاداً أن الرغبة عنه وهجره عبادة .

إن العبد كلما كان إلى الله أقرب كان جهاده في الله أعظم . قال الله تعالى :
(وجاهدوا في الله حق جهاده) . سورة الحج

ومن تأمل أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه يجدهم كانوا كلما ترقوا من القرب في مقام عظم جهادهم واجتهادهم . لا كما ظنَّه بعض الملاحدة المنتسبين إلى طريق الصوفية حيث قال القرب الحقيقي تنقل العبد من الأحوال الظاهرة إلى الأعمال الباطنة ويرى الجسد والجوارح من كد العمل ، فإن قصد قائل ذلك تعطيل العبادة وزعم سقوطها عن بعض الناس بأي سبب كان ، فأمثال هذا أعظم كفراً وإلحاداً من المتظاهرين بالكفر حيث عطلوا العبودية وظن هو وأمثاله أنهم بلغوا درجة سقطت عنهم فيها التكاليف الشرعية ، بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من أمانى النفس وخدع الشيطان ، وقد كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تورمت قدماه فستل في ذلك وقيل له : ألم يغفر الله ذنبك ما تقدم منه وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ !

وقد صرح أهل الاستقامة وأئمة الطريق بكفر هؤلاء المبتدعين ، فأخرجوهم من الاسلام ، وقالوا : لو وصل العبد من القرب إلى أعلى مقام يناله العابد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة (أى ما دام قادراً عليه) . وهؤلاء يظنون أنهم يستغنون بهذه الحقيقة (الفارغة) عن ظاهر الشريعة . واجمعت علماء الطائفة على أن هذا كفر

والحداد . وصرحوا بأن كل حقيقة لا تتبع الشريعة فهي مردودة على قائلها . قال سيد الطائفة الصوفية الجنيد بن محمد : علمنا هذا متشبك بحديث رسول الله ﷺ . وقال إبراهيم بن محمد النصر آبادي وهو من أئمة الصوفية : « أصل هذا المذهب ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع . والتمسك بالأئمة ، والاقتداء بالسلف ، وترك ما أحدثه الآخرون ، والمقام على ما سلك الأولون » .

وسئل إسماعيل بن نجيد - وهو من كبار الصوفية - ما الذي لابد للعبد منه ؟ فقال : ملازمة العبودية على السنة ، ودوام المراقبة لله .

وقال إسماعيل بن نجيد أيضاً : كان الجنيد ، وهو أكبر أئمة أهل الطريق إن لم يكن أكبرهم ، يجرى إلى السوق فيفتح حانوته فيدخله فيسبل الستر ويصلي ما شاء الله . ودخل عليه ابن عطاء وهو في النزع فسلم عليه فلم يرد عليه . ثم رد عليه بعد ساعة فقال اعذروني فإنني كنت في وردي (١) . ثم حول وجهه إلى القبلة وكبر ومات رحمه الله . وقال أبو سعيد بن الأعرابي سمعت أبا بكر العطار يقول : حضرت أبا القاسم الجنيد أنا وجماعة من أصحابنا فكان قاعداً يصلي ويثنى رجليه إذا أراد أن يسجد ، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فنقلت عليه حركتهما وكانتا قد تورمتا ، فقال لبعض أصحابه : ما هذا يا أبا القاسم ! فقال هذه نعم الله ، الله أكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري : يا أبا القاسم لو اضطجعت ؟ فقال يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ فيه ، الله أكبر . فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله .

سئل الجنيد : ما علامة الإيمان ؟ فقال : علامته طاعة من آمنت به ، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وترك التشاغل عنه بما ينقضى ويذول (٢)

قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾ الذين ينفقون في السرَّاء والضرَّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله

(١) الورد هو ما يلزم الإنسان عمله من صلاة نوافل وقراءة آيات من القرآن وتلاوة دعوات وأذكار في أوقات مخصوصة ، فلمله كان في صلاة لا يقطعها برد السلام ، أما ما عدا الصلاة فيقطعها ويرد السلام . (٢) مدارج السالكين لابن القيم جزء ٣ .

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يبصرها على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها ونعم أجر العاملين ﴿ سورة آل عمران

إن الله فرض على العباد فرائض يجب أن تؤدي كما أمر ، لأنه سبحانه وتعالى العليم بمصالح الناس الخبير بمنافعهم ، وقد ورد في الأثر في حكمة الله في أصول الفرائض وكبائر المحظورات : « فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تقرباً عن الكبر ، والزكاة تسليماً للرزق ، والصيام ابتلاء لاختلاص الخلق ، والحج تقرباً للدين ، (أى سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض ، إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد) والجهاد عزاً للإسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء ، وصلة الرحم مناة (زيادة) للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصيئاً للعقل ، وبجانب السرقه إيجاباً للعفة ، وترك الزنا تحصيئاً للنسب ، وترك اللواط تكثيراً للنسل ، والشهادة استظهاراً على المجاحدات (١) ، وترك الكذب تشريفاً للصدق ، والسلام أماناً من الخوف ، والأمانات نظاماً للأمة (٢) ، والطاعة تعظيماً للإمامة .

« اهتمدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى ، واستنوا بسنته فإنها أهدي السنين . وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص ، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله أloom (أى أشد لوماً لنفسه بين يدي الله لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد (٣) »

فالمريدون الذين يتبعون بعض المتمشيين من المتصوفة في شطحاتهم ونزعاتهم المخالفة لكتاب الله (القرآن) وسنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام هم أكبر طغياناً

(١) إنما فرضت الشهادة - وهي الموت في نهر الحق - ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جعوده . (٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدى كل عامل ما يجب عليه فتنظم شؤون الأمة . أما لو كثرت الحيلانات فقد فسدت وكثر الإهمال فاختل النظام ، (٣) نهج البلاغة .

وضلالاً من الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله للقطع بأن أولئك لم يعبدوهم ، بل أطاعوهم وحرّموا ما حرّموا وحلّلوا ما حلّلوا . وهذا صنيع المقلّدين من هذه الأمة لشيوخ الضلال فهم أشبه بهم من شبه البيضة بالبيضة ، والتمرّة بالتمرّة ، والماء بالماء ، فياعباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً ، وعمدتم إلى رجال مثلكم في تعبد الله لهم بهما ، وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه ؟ فعملتم بما جاءوا به من الآراء الزائفة التي لم تعتمد بعناد الحق ، ولم تعضد بعضد الدين ، ونصوص الكتاب والسنة . بل تنادى بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه ، فأعرتموهما أذاناً صمّاً ، وقلوباً غلفاً ، وأفهاماً مريضة ، وعقولا مهيمنة ، وأذهاناً كائلة ، وخواطر عليلّة ، وأنشدتم بلسان الحال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فدعوا أرشدكم الله وإياى الوسوس والخرافات والبدع والضلالات ، واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ، ومتعبدكم ومتعبدكم ، ومعبودهم ومعبودكم .

دعوا كل قول عند قول محمدٍ فما آمن في دينه كخاطر

اللهم هادى الضال ، مرشد الثائه ، موضح السبيل . اهدنا إلى الحق ، وأرشدنا إلى الصواب ، وأوضح لنا منهج الهداية . اهـ

ليس الاسلام بدين أمانى وأوهام ، بل هو دين إيمان مقرون بصالح الأعمال ، وقد وضع الله سنناً محكمة من اتبعها نجا وسعد ، ومن حاد عنها ضل وشقى .

قال تعالى : ﴿ ليس بآمانيسكم ولا بآمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجز له من دون الله وليّاً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصّالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ . سورة النساء

يحيى محمد الدردري

ذكر في الحقوق وليّان في الإسلام ليسانيّة

الايان وأثره

قدمنما ما يفيد أن الايمان تصديق النبي ﷺ في جميع ما جاء به مما علم من الدين واشتهر بين العام والخاص اشتهاً الأمور الضرورية .
ومتى وقر الايمان في النفس واطمأنت إلى الشرائع الاسلامية انبعثت الجوارح للعمل .

فأثر الايمان إذا هو العمل الصالح ، ومجموع التصديق والعمل هو الايمان الكامل الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ . سورة الأنفال

وقد رتب الله سبحانه وتعالى المثوبة الأخروية والسعادة الدنيوية على الأمرين معاً (الايمان والعمل) فمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن - الآية .
أما التصديق إذا خلا عن العمل فهو إيمان ناقص كالشجر الخالي من الثمرة ويخشى على صاحبه أن يجره الاندفاع في المعاصي ، والخروج عن أمر الله تعالى ، إلى الكفر والعياذ بالله .

وأما الاسلام فهو الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى ظاهراً سواء أكان أساسه التصديق القلبي أم لا ، فالمنافق والزنديق مسلم وليس بمؤمن ﴿ قالت الأعراب آمناً ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ﴾ . فالاسلام لا يعتبر إلا مع الايمان والايان لا يكمل إلا بالاسلام . فمن آمن وعمل صالحاً فهو مؤمن إيماناً كاملاً ومسلم إسلاماً منجياً . والوصول إلى الايمان الكامل لا بد من أمور : الصبر - اليقين - العدل - الجهاد .

١ - والصبر على أربع شعب : ١ - الشوق . ٢ - والاشفاق (الخوف) . ٣ - والزهد ، ٤ - والتقرب . فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

ب — واليقين على أربع شعب : ١ - على تبصرة الفطنة . ٢ - وتأول الحكمة . ٣ - وموعظة العبرة . ٤ - وسنة الأولين . فمن تبصر في الفطنة تبين له الحكمة ، ومن تبين له الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين .

ج — العدل على أربع شعب : ١ - غائص الفهم . ٢ - وغور (سر) العلم . ٣ - وزهرة (أحسن) الحكم . ٤ - ورساخة الحليم . فمن فهم علم غور العلم ، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ، ومن حكم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حياً دأ .

د — والجهاد على أربع شعب : ١ - الأمر بالمعروف . ٢ - والنهي عن المنكر . ٣ - والصدق في المواطن (مواطن النزال في سبيل الحق) . ٤ - وشنآن (بغض) الفاسقين . من أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين ، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ، ومن شنئ (أبغض) الفاسقين ، وغضب لله غضب الله له ، وأرضاه يوم القيامة (١) .

فالعامل من الإيمان هو بمثابة الرأس من البدن فكما أنه لا بدن بلا رأس فكذلك لا إيمان بلا عمل . فالإيمان بالله هو الاعتقاد بوحدايته والعمل بأوامره . والإيمان بالرسول صلوات الله عليه هو الاعتقاد بصحة رسالته والاعتقاد به واتباع ما جاء به . فمن لازم الإيمان الاسلام وهو الشهادة بالتوحيد وبالرسالة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والوضوء والغسل من الجنابة والغسل يوم الجمعة والصبر والشكر والورع والحياء والأمان والنصيحة وطاعة أولى الأمر والذكر وكف الأذى وأداء الأمانة ونصرة المظلوم وترك الظلم وترك الاحتقار وترك الغيبة وترك النيمة وترك التجسس والاستئذان وغض البصر والاعتبار وسماع الأحسن من القول واتباعه والدفع بالتي هي أحسن وترك الجهر بالسوء من القول والكلمة الطيبة وحفظ الفرج وحفظ اللسان والتوبة والتوكل والخشوع وترك اللغو والاشتغال بما يعني وترك ما لا يعني وحفظ العهد والوفاء بالعقود والتعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان والتقوى والبر والقنوت والصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وإصلاح ذات البين وترك إفساد ذات البين وخفض الجناح واللين وبرّ الوالدين وترك العقوق والدعاء والرحمة بالخلق وتوقير الكبير ومعرفة شرفه ورحمة الصغير والقيام بحقوق الله وترك دعوى الجاهلية فإن النبي ﷺ يقول دعوها فإنها خبيثة والتودّد والحب في الله والبغض في الله والتؤدة والحلم والعفاف والبذاذة وترك التدابر وترك التماسد وترك التباغض وترك التناجش وترك شهادة الزور وترك الهمز واللمز والغمز وشهود الجماعات وإفشاء السلام والتهادى وحسن الخلق والسمت الصالح وحسن العهد وحفظ السرّ والنكاح والانكاح وحب النّال وحب أهل البيت وترك الطيرة وحب الزوجة وحب الطيب وحب الأنصار وتعظيم الشعائر وتعظيم حرّمات الله وترك الغش وترك حمل السلاح على المؤمن وتجهيز الميت والصلاة على الجنائز وعيادة المريض وإمالة الأذى وأن تحب لكل مؤمن ما تحب لنفسك وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما وأن تسكره أن تعود في الكفر وأن تؤمن بملائكة الله وكتبه ورسوله وبكل ما جاء به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة .

روى عبد الله بن عمر قال حدثني أبي عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد ، أخبرني عن الاسلام ؟ فقال : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه . فقال : فأخبرني عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربّتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون .

في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ، ثم قال : يا عمر أتدري من السائل ؟ قالت :
الله ورسوله أعلم ؟ قال : فإنه جبريل عليه السلام . أنا كم يعلمكم دينكم أخرجه
الخمسة إلا البخاري . (١)

في هذا الحديث الشريف نرى أن الإيمان موضعه القلب فهو تصديق بالله وملائكته الخ
والاسلام موضعه الجوارح كالنطق بالشهادتين وإقام الصلاة ، وقد قال تعالى : ﴿ إن
الدين عند الله الاسلام ﴾ أى الاقياد بالطاعة لأمره من العمل والانتها عن نواهيه
فدليل صحة الإيمان القيام بفروض الاسلام . وقد ورد في الحديث المرفوع عن النبي
ﷺ : ليس الإيمان بالتمنى ولكن هو ما وقر في الصدر وصدقه العمل . وإن قوماً
ألهتهم أمانى المغفرة وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله
تعالى ، كذبوا ولو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل .

وقد جاء القرآن الكريم من أوله إلى آخره يقرر بأن شرط الإيمان الصحيح هو
العمل ، فما ذكرت آية فيها الإيمان إلا ومعها العمل الصالح .

وصحة الإيمان وفلاحه متوقف على أداء ما افترضه الله تعالى واجتناب ما نهى
عنه ، قال تعالى :

﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن
اللغو معروضون * والذين هم الزكاة فاعيلون * والذين هم لقروضهم حافظون *
إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء
ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم
على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون ﴾ . سورة المؤمنون

قد تكلمنا عن الإيمان وتعدد مظاهره من الأوامر والنواهي . والآن نتكلم عن
الإيمان بالقدر خيره وشره .

(١) تبيير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول تأليف العلامة المحدث عبد الرحمن بن علي
البروف بابن الأبيع الشيباني الزبيدي الشافعي (الجزء الأول) .

خلق الله الخلق وقدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم والجزاء عليها ، وهذا النظام أقررناه في حياتنا وأخذنا به في معاشنا ومعاملتنا ، أرأيت لو أن صاحب مصنع من المصانع أراد أن يستخدم عمالا لخدمة مصنعه أليس من المعقول أن يحدد عمل كل صانع ومتى يبدأ ومتى ينتهى وماذا يعمل وما هو أجره ، وعلى نتيجة عمله يكون حسابه ، وإذا لم ينظم صاحب المصنع شئون مصنعه وعمله حسب برنامج محكم مقرر لصار يتخبط ولحقه الفشل وحكم عليه بالجهل والقصور .

فالله سبحانه وتعالى وضع تصميم هذا الكون . وقدر فيه كل شيء وخلق الخلق لتنفيذ أمره وتحقيق مشيئته . وقدر لكل مخلوق عمله ورزقه وأجله . وعلى أعمالنا نحاسب ويكون الجزاء فيما نعيم مستديم وإما شقاء مقيم .

قال تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ (١) . وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذى كتب فيه كل شيء . يتضمن كتابه أعمال العباد قبل أن يعملوها والاحصاء فى الكتاب يتضمن علمه بها . وحفظه لها والاحاطة بعددتها وإنباتها فيه . وقالت طائفة المراد بالكتاب فى الآية : اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شيء . وهذه إحدى الروايتين عن ابن عباس . وهذا القول أظهر فى الآية والسياق يدل عليه . قال تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ . سورة الأنعام .

وهذا يتضمن أنها أم أمثالنا فى الخلق والرزق والاكل . والتقدير الأول أنها لم تخلق سدى . بل هى معبدة مذلة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وما تصير إليه . ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فناها ثم قال : ﴿ إلى ربهم يحشرون ﴾ . فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحالتين قوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شيء ﴾ أى كلها قد كتبت وأحصيت قبل أن توجد .

وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ . الصافات . ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا

من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * (أم حسب الذين اجترأوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * وخاق الله السموات والأرض بالحق ، ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) . سورة الجاثية

قد يقال إذا كان الله كتب كل شيء وقدر كل شيء ففيم العمل ؟ والجواب العمل في تنفيذ مشيئة الله تعالى وما أَراده والجزاء يكون على حسب الطاعة أو العصيان والله تعالى يقول : إنه هو (الذي خالق الموت والحياة ليبلوكم (يختبركم) أيكم أحسن عملاً) . سورة الملك

فالإيمان هو موضع امتحان المرء وكيف يكون موقفه إزاء الحوادث في الرخاء والشدة والصحة والمرض والفقر والغنى . وكيف يكون صبره أو جزعه وبذله وتقديره وجده وتوانيه وجهه وبغضه لله فيما أصابه .

قال تعالى : (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون (يختبرون) * ولقد فتننا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) . سورة العنكبوت

وقال تعالى : (إننا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم (نختبرهم) أيهم أحسن عملاً) . الكهف

فالسبب والمسببات هي أقدار الله تعالى ويجب التمسك بها ما دام في الإنسان نفس يتردد كما يجب أن يجد ويعمل ويجهد ما دام فيه قدرة على العمل وقد قال تعالى : (وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) . العنكبوت

(مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزَى

الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴿١﴾ سورة الروم
والبلاء إما أن يكون في النفس أو المال والولد والزرع فالله سبحانه وتعالى الذي
أعطى ومنح له حق الأخذ واسترداد ما وهب لا حاجة في نفسه وإنما اختباراً
وامتحاناً لعبده فإن صبر زاد له في الأجر وأجزل له في العطاء . والانسان بين حالتين :
(١) نعمة من الله يحب الشكر عليها وذلك باستعمال ما أنعم الله به عليه فيما
وضع له كاستعمال العافية وهي من أجل النعم في طاعة الله وفعل الخير ما استطاع إلى
ذلك سبيلاً .

(ب) وبليّة يصبر عليها ويضرع إلى الله تعالى في رفعها عنه فيكون له جزاء
الصابرين . قال تعالى :

﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيْرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم وأولئك هم المهتدون ﴿٢﴾ سورة البقرة
وقد أودى المؤمنون في صدر الاسلام بأشد أنواع الأذى وكان في مقدمتهم
رسول الله ﷺ فقد رأى من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة في بدء دعوته
خصوصاً إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت فقد كان يرمى بالقاذورات ودميت قدماه
من الرمي بالأحجار هذا عدا الاعراض والاستهزاء بدعوته ﷺ . وكما أودى الرسول
عليه الصلاة والسلام فقد أودى أصحابه لا تبعاعهم له خصوصاً من ليس له عشيرة تحميه
وترد كيد عدوه عنه . ولم يفتنهم ذلك عن دينهم ولا عن إيمانهم بالله تعالى وقد صبروا
وصابروا وعملوا لنشر دين الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا ملوك الأرض بعد
أن كانوا مستضعفين فيها كما قال تعالى في سورة القصص : ﴿ وَنَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ . وقد حقق الله
تعالى ما أَرَادَهُ .

ومن الذين أودوا بلال بن رباح كان يخرج به في وقت الظهيرة في الرمضاء وهي
الرمال الشديدة الحرارة ثم يؤتى بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره وكان يقول : أحد

أحد . ومنهم زنيرة عذبت في الله حتى عميت ولم يزلها ذلك إلا إيماناً . وعن عذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار . ومنهم من مات تحت العذاب ولم يشتم ذلك عن إيمانهم . وكثيرون غيرهم ليس هنا موضع تفصيله (١)

والرجل — كما قال العلامة ابن القيم — من يكون منازعاً للقدر لا من يكون مستسلماً مع القدر . ولا تتم مصالح العباد في معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض . فكيف في معادهم ؟ والله تعالى أمر أن تدفع السيئة وهي من قدره بالحسنة وهي من قدره . وكذلك الجوع من قدره وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره . ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتى مات ، مات عاصياً . وكذلك البرد والحر والعطش كلها من أقداره وأمر بدفعها بأقدار تضادها . والدافع والمدفوع والدفع من قدره . وقد أفصح النبي ﷺ عن هذا المعنى كل الإفصاح إذ قالوا يا رسول الله : أرأيت أدوية تتداوى بها ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقى بها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : « هي من قدر الله » . وفي الحديث « إن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان إلى يوم القيامة » . وإذا طرق العدو من الكفار بلاد الاسلام طرقوه بقدر الله ، أفيحل للمسلمين الاستسلام للقدر ، وترك دفعه بقدر مثله وهو الجهاد الذي يدفعون به قدر الله بقدره ؟ وكذلك المعصية إذا قدرت عليك وفعلتها بالقدر فادفع موجبها بالتوبة النصوح وهي من القدر .

ودفع القدر بالقدر نوعان : (أحدهما) دفع القدر الذي قد انعقدت أسبابه ولما يقع بأسباب أخرى من القدر تقابله فيمتنع وقوعه ، كدفع العدو بقتاله ، ودفع الحر والبرد ونحوه . (الثاني) دفع القدر الذي قد وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله كدفع قدر المرض بقدر التداوى . ودفع قدر الذنب بقدر التوبة ، ودفع قدر الاساءة بقدر الاحسان ، فهذا شأن العارفين وشأن الأقدار ، لا الاستسلام لها وترك الحركة والحيلة ، فإنه عجز ، والله تعالى يلوم على العجز . فإذا غلب وضافت به الخيل ولم يبق لها مجال فهناك الاستسلام للقدر . . وأما في حال القدرة وحصول الأسباب فالغناء النافع أن يغنى عن الخلق بحكم الله (تعالى) وعن هواه بأمر الله ،

وعن إرادته ومحبه بإرادة الله ومحبه « وعن حوله وقوته بحول الله وقوته وإعائته »
فهذا الذي قام بحقيقة « إياك نعبد وإياك نستعين (١) » .

وقد ورد في الآثار عن الله تعالى قال : « يا ابن آدم إنما أمرتك وهذبتك لتستعين
في وتعتصم بحبلى ، لا أن تعصيني وتتولى عني ، وأعرض عنك أنا الغنى عنك ، وأنت
الفقر إلى » ، أنا خلقت الدنيا وسخرتها لك لتستعد للقائى ، وتزود منها لا لتعرض عني
وتتخذ إلى الأرض ، أعلم أن الدار الآخرة خير لك من الدنيا ، فلا تتخر غير
ما اخترت لك . ولا تسكره لقائى فإنه من كره لقائى كرهت لقاءه ، ومن أحب لقائى
أحببت لقاءه . فالعمل هو دليل الإيمان وشاهدته وحجته . ولا ينبغي أن يتخذ
القضاء والقدر معذرة في الهروب من أداء الواجب وفعل الخير إلا في حالة العجز
التام ، لأن الحياة الدنيا هي امتحان دائم من بدم نشأتها حتى نهايتها ، لا يقر لها قرار
ولا تدوم على حال ، فمن اتخذ العمل عدته ، ورضاء الله غايته ، فاز فيها بالنجاح ،
وحظي في آخرته بالصلاح . قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فِيهِمْ أُجُورٌهُمْ يُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . سورة النساء

ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :
« ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : (١) أن يكون الله ورسوله أحب
إليه مما سواهما ، (٢) وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، (٣) وأن يكره أن يعود
في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار » .

وقد استشهد شيخ الإسلام الهروي بقوله تعالى في أهل الكهف : ﴿ وَرَبَطْنَا
عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ
إِلَهًا . لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴾ . وهذا من أحسن الاستدلال والاستشهاد . فإن هؤلاء
كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر ، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة
الإيمان والتوفيق ، وذاقوا حلاوته ، وبأشر قلوبهم ، فقاموا من بين قومهم وقالوا :
﴿ رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية

والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر والتهبب وتقويتها وتأيدها بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى السكف . والربط على القلب عكس الخذلان . فالخذلان حله من رباط التوفيق فيغفل عن ذكر ربه ويتبع هواه . ويصير أمره فرطاً . والربط على القلب شده برباط التوفيق فيتصل بذكر ربه ويتبع مرضاته ويجمع عليه شمله (١)

وقد ورد في الأثر : « لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه خمس خصال : التوكل على الله ، والتفويض إلى الله ، والتسليم لأمر الله ، والرضى بقضاء الله ، والصبر على بلاء الله ، إنه من أحب وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وأرفعها قول لا إله إلا الله . وقد بينا هذه الشعب فيما تقدم

وقد ورد في الأثر : « إن العبد لا يكتب في المسلمين حتى يسلم الفاس من يده ولسانه ، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه ، ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً بما به البأس وإن من خاف البيات وأدج في السير وصل . وإنما تعرفون عواقب أعمالكم لو قد طويت مخائف آجالكم . إن نية المؤمن خير من عمله . ونية المنافق شر من عمله » .

وعظ رسول الله ﷺ قيس بن عاصم ، فقال : يا قيس إن مع العز ذلاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل شئ حسبياً ، وعلى كل شئ رقيباً ، وإن لكل حسنة ثواباً ، ولكل سيئة عقاباً ، وإن لكل أجل كتاباً ، إنه لا بد يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وأنت ميت ، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك ، ثم لا يحشر إلا معك ، ولا تبعث إلا معه ، ولا تسأل إلا عنه ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به ، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه ، وهو فعلك (٢) .

(١) مدارج السالكين للعلامة ابن القيم جزء ثالث ص ٤٣ .

(٢) الفتوحات المكية لابن العربي جزء ٤ ص ٥٤١ .

قليل نظر الانسان في أوامر الله ويروض نفسه على اتباعها أداء ونهيا . وليأجأ الى ربه في كل الاحوال ليفقه ويعينه ويهديه ويسدده .

قال موسى عليه السلام : يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا نحن الدنيا ومصائبها وبلاياها . أليس كان خيرا لنا . قال : يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرت ، ولكنه لم يعرف حقها . ولم يحفظ وصيتي ولم يوف بعهدي . بل عصاني فأخرجته من الجنة . فلما تاب وأناب وعدته أن أردّه اليها وآليت على نفسي أن لا يدخلها أحد من ذريته إلا من قبل وصيتي وأوفى بعهدي ، فلا ينال عهدي الظالمون ، ولا يدخل جنتي المتكبرون . لاني جعلتها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا . والعاقبة للمتقين ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ سورة التوبة

إذا كان العمل دليل الايمان فالاخلاص والصبر عنوانه . والشجاعة والدأب عدته . والتضحية ومخالفة الهوى لنصرة الحق وسيلته . فما صح ايمان من لم يعمل وما انتصر ايمان لم يُضح فيه بالمال والشهوات

وعلى قوة ايمان المرء يكون ثباته أمام الصعاب . وتغلبه على العقبات والاخلاص للايمان بمنزلة الماء في العود الاخضر فاذا نضب معينه أصبح حطبا ذابلا ، وقد قيل « انه ليسيلغ باعمال الاميين الطالبين في كل ما يصنعون وجه الله من غايات البر والخير ما ليس يبلغ بحقد العلماء الذين لا يطلبون وجه الله انما يطلبون أغراضهم ومآربهم »

كان زعيم الوطنية المصرية مصطفى كامل باشا امام المجاهدين في عصره وشيخ المؤمنين بحقوق أمته وحريةها في دهره يرد على أعدائه الذين يريدون أن يشنوه عن عزمه لوعورة الطريق وطولها ، بذلك القول الحار : « مهما تعددت الليالي وتعاقبت الايام . وأتى بعد الشروق شروق . وأعقب الغروب غروب . فاننا لا نمل ولا نقف في الطريق . ولا نقول أبداً قد طال الانتظار

« اننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا وأعمالنا الى أشرف غاية اتجهت اليها الامم في ماضى الايام وحاضرها . وأعلى مطلب ترمى اليه في مستقبلها

فلا الدسائس تخيفنا ، ولا التهديدات توقفنا في طريقنا . ولا الشكائم تؤثر علينا

ولا الخيالات تزعجنا . ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التي تصغر بجانبها كل غاية

« نعم لو أخذنا الموت من هذه الدار واحداً بعد واحد لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا كونوا أسعد حظاً ، وليبارك الله فيكم ويجعل الفوز على أيديكم ، ويخرج من الجماهير المئات والآلاف بدل الآحاد للمطالبة بالحقوق الوطني والحرية الاهلية . والاستقلال المقدس . . وقد برز الزعيم العظيم بقوله فكانت حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وقفاً على الدفاع عن حقوق أمته ودليلاً صادقاً على صدق إيمانه . ومات وهو في ريعان الشباب في ميدان العمل . فكان إماماً للعاملين . وعلماً يهتدى به المؤمنون بحقوق بلادهم والعاملون على نصرتها . قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . سورة الصف

﴿ إِنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الذين يقيمون الصلاة ويمارزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴿ سورة الانفال

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة التوبة

لا اله الا الله كلية التوحيد وأثرها

لا إله إلا الله كلمة السلام التي أتت بها الرسل كافة ، ودعت اليها العقول السليمة لفض النزاع القائم بين رغبات الانسان وخضوعها لسلطان الهوى الضال . فلا إله إلا الله دعوة رب الأكوان وما حوت الى البشر وهم خلقه وعبيده ليتحرروا من عبادة غيره ، فلا يذلوا لخلق ولا يخضعوا الا للخالق الاكبر فيأتمروا بأمره وينتهوا بنهييه فيما جاءهم من طريق وحيه لرسله .

لا إله إلا الله هو وحده المتفرد بالعبودية ، وهو وحده الذي يجب أن يتفرد بالحب والطاعة ، لأنه خالق كل شيء ، والمدير لكل شيء ، ويبيده كل شيء : من حياة وموت ، وغنى وفقر ، وصحة ومرض ، وسعادة وشقاء ، واليه الأمر أولاً وآخرأ . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

يختلف أفراد البشر بعضهم عن بعض يسراً وعسراً ، وجهلاً وعلماً ، وسقماً وعافية ، ومهانة وعزاً ، وضعفاً وقوة . وذلك فضل الله عليهم وحكمه فيهم ، الا انهم كلهم محتاجون الى عنايته ورحمته . يتساوى في الفقر اليه جل جلاله الانبياء والاولياء والعلماء والجهلاء ، والضعفاء والاقوياء والملوك والصعاليك فهو بيده وحده الهواه وتصريفه ، والضوء وتديره ، والماء وتكوينه . وهذه من لوازم الحياة التي لا توجد الا بها سواء في ذلك الانسان والحيوان والنبات ، فالله تعالى هو القاهر فوق عباده ، والكل فقير اليه ، وان ملك الدنيا بأسرها

ما الثورات في الازمان الحاضرة ضد الباطل والعدوان والعقائد الزائفة الا صدى لاصوات الانبياء والرسل في الازمان الغابرة . على ان الانسان لا يملك من أمر أخيه الا انسان شيئاً الا في حدود تبادل المنفعة القائمة على العدل والرحمة . وما ينبغي لبشر أن يستعبد اخوانه في سبيل شهواته وهواه

لا إله إلا الله هي منار العالمين ، وقبلة الموحدين ، ونور المهتدين ، وملجأ الضعفاء والبائسين ، وعياذ اللاجئين ، ونذير الظالمين

قال صلوات الله عليه : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له » . رواه البخاري ومسلم

دعا جميع الرسل الى توحيد الله وعبادته من أولهم الى آخرهم ، فقال نوح عليه السلام لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ . (سورة الاعراف) . وكذلك قال هود وصالح وشعيب وابراهيم ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعْبُدُوا اللَّهَ واجتنبوا الطاغوت ﴾ . (سورة النحل) وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعْبُدُونِ ﴾ . (سورة الانبياء) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة المؤمنون) ان حقيقة الالهية لا تنبغي الا لله سبحانه وتعالى ، وان العبادة موجب لاهيته ، وأثرها ومقتضاها . وارتباطها بها كارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة ، والاصوات بالسمع . وقد صرح تعالى بهذا في قوله : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ . (سورة الذاريات) . فالعبادة هي الغاية التي خلق لها الجن والانس والخلق كلها . قال الله تعالى في سورة القيامة : ﴿ اَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أى مهملا . قال الشافعي : لا يؤمر ولا ينهى . وقال غيره : لا يشاء ولا يعاقب . والصحيح الامران فان الثواب والعقاب مترتب على الامر والنهي . والامر والنهي هو طلب العبادة واراقتها . وحقيقة العبادة امثالها . قال تعالى : ﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ولتُجزى كل نفس ما كسبت ﴾ . (سورة الجاثية) خلق الله الخلق لعبادته الجامعة لكل محبته مع الخضوع والانقياد لامره . فأصل العبادة محبة الله ، بل افراده بالمحبة ، وأن يكون الحب كله لله ، فلا يحب معه سواه ، وانما يحب لأجله وفيه ، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأوليائه ، فحجبتنا لهم من تمام محبته . وليست محبة معه كحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبة . واذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها ، فهي انما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه . ﴿ والذين آمنوا أشد حُبًّا لله ﴾ . (سورة البقرة)

أوامر الله ونواهيه دل عليها القرآن الكريم ، وبيتها رسوله العظيم ، وأرشد إليها جماعة المسلمين من السلف الصالحين . ولكن ما لبثت هذه الهداية على الارض غير

يسير من الزمان حتى أخرجها فريق من ذوى المآرب عن غايتها . وأولوها على غير وجهها لغاية دنيوية ، وباعوا آخرتهم بدنياهم . وكان عهد الوثنية قريباً منهم . فحنوا الى أن يروا معبوداً يلس . فبعض من هؤلاء وصفوا الله سبحانه وتعالى على غير ما وصف به نفسه ، ونسبوا له الجسدية والمكان والزمان ، وأولوا الآيات المتشابهة في القرآن الكريم والأحاديث على غير وجهها الصحيح ، وهو ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (سورة الشورى) ، فكان عملهم حدثاً في الدين ، وهذا لصحة اليقين ان مذهب السلف والخلف — بالنسبة للآيات والأحاديث المتشابهة — أن قد اتفق الكل على أن الله تعالى منزّه عن صفات الحوادث ، فليس له عجز وجل مكان في العرش ولا في السماء ولا في غيرهما ، ولا يتصف بالحلول في شيء من الحوادث ولا بالاتصال بشيء منها ولا بالتحول والانتقال ونحوهما من صفات الحوادث بل هو سبحانه وتعالى على ما كان عليه قبل خلق العرش والمكرسى والسموات وغيرها . قال الحافظ ابن حجر في الفتح : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير اهـ . وانما اختلفوا في بيان المعنى المراد من هذه الآيات والأحاديث فالسلف رضى الله تعالى عنهم يؤمنون بها كما وردت معتقدين أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى في سورة الشورى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ويفوضون علم المراد منها الى الله تعالى لقوله عز وجل في سورة آل عمران ﴿ وما يعلم تأويله الا الله ﴾ فيقولون في آية ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ في سورة طه : استوى استواء يليق به لا يعليه إلا هو عز وجل ، الخ

كثرت البدع وضلت الناس : بين عالم فاجر ، ومتصوف جاهل ، وأدعياء في العلم يتجرون بدِينهم لدينهم . قال سيد الطائفة الصوفية وشيخهم الجنيد بن محمد رحمه الله : الطريق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ . وقال : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة . وقال : مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة . وقال أبو حفص رحمه الله : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب

والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال
وقال السرى : التصوف اسم لثلاثة معان لا يطفى نور معرفته نور ورعه . ولا
يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب . ولا تحمله الكرامات على هتك
أستار محارم الله

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً
أشد عليّ من العلم ومتابعته بالعمل ، ولو لا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف العلماء
رحمة إلا في تجريد التوحيد . وقال مرة لخادمه قم بنا الى هذا الرجل الذي قد شهر
نفسه لنزوره فلما دخل عليه المسجد تمنع (بصق) ثم رمى بها الى نحو القبلة فرجع ولم يسلم
عليه ، وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ ، فكيف يكون
مأمونا على ما يدعيه ؟ وقال هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة النساء . ثم
قلت كيف يجوز لي أن أسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله ﷺ ؟ ثم إن الله كفاني
مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط . وقال : لو نظرتكم الى رجل أعطى
من الكرامات الى أن يرفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند
الامر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة

ابتلى الاسلام بطائفة من الناس أولوا كتاب الله تعالى على غير وجهه ونسبوا
اليه ما لم ينسبه الى نفسه ، آخذين بظاهر القول فضلوا وأضلوا ، ولو علموا أن الله
تعالى يخاطب الناس على أقدارهم في الفهم لا على قدره حتى يسلكوا طريقه ويفهموا
ما يريد منهم لما تورطوا في الضلال وخرجوا من نور الايمان الى ظلام الشرك

ان الذين نسبوا الى الله المكان والزمان وقالوا انه فوق عرشه كما قال تعالى
« الرحمن على العرش استوى » فاولئك هم الذين حكمت عليهم حواسهم المادية على
أن لا يبرحوها الى غيرها أو الى ما هو وراءها . ولو نظر الانسان الى هذه المسائل
على ضوء نور العلم الحديث لعلم أن الله كان ولا مكان ولا زمان وهو على ما كان
عليه . لأن الزمان والمكان هما حادثان ، فالزمان نتيجة لحركة الأفلاك حول بعض
الأفلاك الاخرى كالشمس والقمر والارض ، والمكان هو نتيجة لخلق هذه الافلاك
وبما أن الافلاك كلها دائرة صغيرة وكبيرها في مدار واسع عجز أن يحده علم الفلك
الحديث ، وقد قال لنا ان السكون لا نهاية له ، ومعنى هذا أن الفضاء الذي تسيح فيه

الكواكب المنظورة — وهي محدودة بطبعها — وغير المنظورة — غير محدودة —
فالافلاك كلها بما فيها السموات السبع تدور في فضاء لا نهاية له وقد قالوا ان الشمس
في السماء الرابعة والله أجل وأعظم من أن يضع ذاته المقدسة في كوكب دوار مهمسا
عظم ذلك الكوكب ليسبح به ، وهذا الكوكب لا يسير ولا يدبر أمره الا بقدرته كما
ان جميع الافلاك الأخرى ما علم منها وما لم يعلم تسير بتدبيره وحكمته وهي في قبضته
وتحت سلطانه . فاذا فرضنا أن انساناً له صحراء واسعة لا نهاية لها وبني فيها بيتاً
من سبع طبقات ونصب فيه آلات وعمالا ووضع فيه ساعات تحد أوقات العمل للعمال
وسن لهم نظاما يسرون عليه ووكل بهم من يسهرون على تنفيذ هذا النظام بدقة
محكمة فهل يقتضى ذلك أن يكون صاحب البيت ساكناً فيه وخاضعاً لنظامه ؟ كلا !
ولا يفهم من ذلك أن صاحب البيت في الدور السابع ولا فوق عرش البيت ! ولا
يفهم من ذلك أيضاً أن صاحب البيت خاضع لنظام عماله وعبيده ؟ ولا يفهم من
ذلك أن حياة صاحب البيت كحياة ساكنيه ولا يكون ذلك الفهم الا من قياس الغائب على
الحاضر وكثيرا ما يكون فاسداً . وقد سألتني مرة أحد اخواني الفلاحين ماذا يأكل
جلالة الملك ؟ فرد عليه فلاح آخر وقال : ماذا تظن انه يأكل !! وأجاب انه يأكل
فطيراً وعسلاً وهذا أشبهى ما يأكله المحبب . فهذا مثل من قياس الغائب على الحاضر .
ولو عدت لاختيما الفلاح ما يأكله جلالة الملك لما فهم ما أقوله له مما لم يقع تحت
حسه !! فهل لو قلت له انه يأكل أكك قطايف مثلاً فهل يفهم ذلك اذا لم يكن سمع
به أو رآه ؟؟ . وهكذا نحن بالنسبة لما لا نعرف نتورط بالفهم وكثيرا ما نضل في
فهم الغائب والمجهول . !!

ويجب أن نقف عند قوله تعالى في سورة الشورى ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع
البصير ﴾

كلام الله ونزوله ومعنيته

أمعن جماعة المشبهة والمجسدة في الفساد في الفهم والضلال في الرأي فنسبوا الى
الله تعالى انه يتكلم بصوت وان له حركات تشبه حركات الانسان . قال تعالى في
صورة النساء ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ لو ان الباحثين وراء سر ذات الله وحقائقه

صفاته سلكوا سنة البحث العلمي وتدرجوا من كشف سر آيات الله الحاضرة الى حقيقة ذات صاحب هذه الآيات المعجزات لعذرناهم ، أما وقد عجزوا عن السكثير من سر هذه الآيات التي لا تتناهى ولا تنقطع عن النظر ولا تخفى على الحس ، فهذا مما يدل على أنهم يريدون أن يداروا بعجزهم ويخفوا جهلهم وما قبح من ضلالهم . لو سألنا أمثال هؤلاء ما هى حياة النبات والحيوان والانسان ونساؤه ، أو ما حقيقة النور والكهرباء والمغناطيس ؟؟ وهى أشياء يرون أثرها ويجهلون كنهها وحقيقتها ؟! لما وسعهم أن يقولوا لنا جواباً شافياً !! وهذه بعض آثار الله الدالة على قدره وهو أجل وأكبر مما صنع .

ولو قلنا لهم ليس من لوازم الكلام الصوت والحركة الجسمانية وهما كم البرهان : يرى النائم أنه يخاطب انساناً . ويتفاهم معه ويرى أشياء قد لا يكون رآها ، فهل هذا التخاطب حدث بحاسة اللسان والسمع وهما معطلتان تمام التعطيل بأثر النوم !! هذه أشياء يحسها كل انسان ومع ذلك يعجز العلم الحديث عن تعليلها تعليلاً صحيحاً لأن هذا من خواص النفس التي نعرف آثارها فينا وفي غيرنا ونجهل حقيقتها جهلاً تاماً ، فإذا كنا نجهل أنفسنا جهلاً مطبقاً فتحزن عن سر ذات الله وحقيقة صفاته أجهل . قال تعالى في سورة الذاريات : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وورد في الآثار « من عرف نفسه عرف ربه .. » !!

نزول الله ومعيته كما ورد في الحديث : ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له ، وقال تعالى في سورة الفجر ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ وقال تعالى في سورة الحديد ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ان الله عز وجل يخاطب الناس على أقدارهم ويقدر معلوماتهم الصغيرة لا على قدره وواسع علمه ، ولأجل أن نفهم ما يريد الله تعالى يجب أن نعرف ما جاء به كتابه الكريم من وصف قدرته البالغة حد السكالم والقهر . وليس عندى أبلغ في السمع وأروع في النفس من قوله تعالى في سورة يس ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ .

فمجيء الله ونزوله يجب أن يعرف بما عرف الله تعالى به نفسه ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ وأما اذا فهمنا منه الحركة الآلية فهذا دليل المعجز وتعالى الله

عن ذلك علواً كبيراً ، لأنى أذهب الى الشيء اذا أعجزنى حضوره وأما اذا أمكننى حضوره بدون سعى كان من العبث السعى اليه .

فالله القاهر فوق عباده والكل مسخر لأمره من ملائكة وجن وانس وحيوان وهواء وماء وأفلاك تسير بتدبيره وقدرته ، والعالم كله فى حركة دائمة وهو فى قبضته . فكيف اذا يعصى عليه مخلوق يحتاج الله تعالى أن يسير اليه ؟؟ واذا كان أحد أصحاب سليمان عليه السلام استطاع أن يأتى بعرش بلقيس العظيم قبل أن يرتد طرفه أى فى لمح البصر على بعد المسافة ، وان المشتغلين بعالم الارواح أثبتوا أن الروح تحمل أشياء مادية من أقصى الارض ومن مسافات بعيدة فى مدة وجيزة لا يستطيع العقل تعليلها على ضوء العلم المادى ، وهذه مخلوقات صغيرة ، فكيف بقدرة الله البالغة التى لا يعجزها شيء فى الارض ولا فى السماء !!!

آثار صفات الله عز وجل هى كآثار الذات المقدسة عن الشبيه والنظير والتى ليس كمثلها شيء ، انما حيث ان الانسان يؤثر فى نفسه وجود الذات أكثر من وجود الصفات فاذا أراد الله أن يفهم الانسان أمراً قاطعاً خاطبه بوجود الذات الذى يدل على وقوع الامر . فاذا قلنا جاء الملك فلا يفهم من ذلك ضرورة حضوره بالذات انما جاء أمره الذى يتحقق تنفيذه كما لو حضر بشخصه . وهذه الصيغة أروع فى النفس مما لو قلنا جاء أمر الملك بكذا . فالحركة الجسمانية عندى دليل العجز والفاقة فأنا أسعى الى رزقى اذا احتجت اليه وأنا أسعى لاقهر عدوى اذا رغبت فى النصر عليه . ولولا فاقى وحاجتى ما تحركت . والله عز وجل غنى بذاته عن كافة خلقه ، وهم المحتاجون اليه احتياج فاقة وضرورة لا يستطيعون البقاء الا بأمره ورحمته .

قال الامام على رضى الله عنه فى التوحيد : ما وحده من كيّفه ، ولا حقيقته أصاب من مثله ، ولا إياه عنى من شبهه ، ولا صمده (قصده) من أشار اليه وتوهمه . . . لا يجرى عليه السكون والحركة . وكيف يجرى عليه ما هو أجراه ، ويعود فيه ما هو أبداه ، ويحدث فيه ما هو أحدثه ؟ اذن لتفاوتت ذاته ، ولتجزأ كنهه ، ولا تمتع من الازل معناه ، ولكان له وراء ، اذا وجد له أمام ، ولا تلتص تمام اذا لزمه النقصان . واذن لقامت آية المصنوع فيه ، ولتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه ، وخرج بساطان الامتناع من أن يؤثر فيه ، ما لا يؤثر فى غيره .

الذى لا يحول ، ولا يزول ، ولا يحـوز عليه الأفل . ولم يلد فيكون مراداً ، ولم يولد فيصير محدوداً . جلّ عن اتخاذ الأبناء ، وطهر عن ملامسة النساء . لا تناله الأوهام فتقدره ، ولا تتوهمه الفطن فتصوره . ولا تدركه الحواس فتحمسه ، ولا تلمسه الأيدي فتلمسه . لا يتغير بحال ، ولا يتبدّل بالأحوال ... ولا يقال له حدّ ولا نهاية ، ولا انقطاع ولا غاية . ولا أن الأشياء تحويه ، فتقله أو تهويه (تحطه) . أو أن شيئاً يحمله فيميله أو يعدله . يخبر لا بلسان ولهوات ، ويسمع لا بحروف وأدوات . يقول ولا يلفظ ، ويحفظ ولا يتحفظ (يتكلف بحفظ) . ويريد ولا يضم . يحب ويرضى من غير رقة ، ويبغض ويبغض من غير مشقة . يقول لمن أراد كونه كن فيكون ، لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع . وإنما كلامه سبحانه فعل منه . (١)

أحاط علم الله بجميع المعلومات ، وعلمت قدرته فوق المقدورات ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات ، أمره نافذ في جميع الكائنات . كان الله ولم يكن شيء ، وهو الخالق لكل شيء ، وهو الآن دلي ما كان عليه ، وجل ربى أن يوجد بشيء أو يفقد بشيء ، فهو ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

العبودية الخالصة لا تكون الا لله تعالى

كان الله تعالى كنزاً مخفياً فأراد أن يُعرف فخلق الخلق وبه عرفوه ، خلق عز وجل الاكوان من أجل الانسان ، وهو دليل عظمته وقدرته . وخلق الانسان من أجله ، ولذلك لا يجب أن يشتغل بما هو له عما خلق من أجله .

وكلمة لا إله إلا الله تنفي عن الله الشريك له . فهو تعالى المعبود ، وهو المحبوب وهو المقصود ، فلا يخاف سواه ، ولا يخشى ولا يحب الا إياه .

وحب الله يستتبع كل من أحب : محبة الملائكة والرسل والانبياء والأولياء والصالحين من الخلق ، وعمل الخير والبعد عن الشر ، واتباع أوامر الله تعالى والانتفاء عن نواهيه ، وأن يرضى الانسان بقضائه ويشكر نعماءه .

وقد قوم على رسول الله ﷺ فقال : من أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون . فقال : ما علامة إيمانكم ؟ فقالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمر

القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالاعداء . فقال : حكام علماء كادوا
من فقههم أن يكونوا أنبياء .

وقال رسول الله ﷺ « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ،
فقد استكمل الإيمان » .

وقال بعض العارفين : أصل العبادة أن لا ترد من أحكامه شيئاً ، ولا تسأل غيره
حاجة ، ولا تدخر عنه شيئاً . وقال آخر : أن ترضى بالله مديراً ومختاراً ، وترضى
عنه قاسماً ومعطياً ومانعاً ، وترضاه إلهاً ومعبوداً .

أتى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الرحيم بخالص العبودية لله تعالى فكان هذا
فتحاً جديداً لتحرير الانسان من عبودية الاغيار تصغر معه كل ثورة في تحرير
الانسانية ، وتتضائل معه كل حركة قومية أو عالمية في محاربة الاستعباد .

فلا إله الا الله تقول للبشر كافة : ان الحكم اله واحد فاعبدوه ، بيده الخير والشر
فهو وحده الذي تخافونه وتخشونه ، ان أصابكم بالشر لسبب عصيانكم فلا كاشف
له الا هو ، وإن يردكم بالخير فلا راد لفضله ، فيجب أن لا تعتمدوا الا عليه ولا تقصدوا
إلا إياه ولا تحلفوا الا به . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « من حلف بغير الله
فقد أشرك » .

وصح عن النبي ﷺ أنه قال لرجل قال له : ما شاء الله وشئت « أ جعلتني لله
نداً عدلاً ؟ قل ما شاء الله وحده » .

تعددت ضروب الشرك بين العباد لاغفالهم ذكر لا إله الا الله والوقوف عند
حدها ، ووهنت عقيدتهم ، وضعف إيمانهم فأصبحنا نسمع كثير أقول الرجل للرجل :
ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، وما لي الا الله وأنت ،
وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا .

ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ فإنه شرك من الساجد والمسجود له .
ومن أنواع الشرك التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم فان التوبة لا تكون الا لله
كالصلاة والصيام والحج والنسك فهي خالص حق الله ، وفي المسند أن النبي ﷺ
أتى بأسير فقال اللهم إني أتوب اليك ولا أتوب الى محمد فقال النبي ﷺ « عرف
الحق لاهله » .

ومن أنواع الشرك : النذر لغير الله فانه شرك وهو أعظم من الحلف بغير الله ، وقد جاء في السنن من حديث عقبة بن عامر عنه صلوات الله وسلامه عليه « النذر كحلقة » وعن سعيد بن الحارث قال سمعت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول : أولم تُسَنِّهوا عن النذر قال رسول الله صلوات الله عليه « ان النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره ، وإنما يستخرج به من البخيل » أخرجه الخمسة الا الترمذى ، هذا فيما اذا كان النذر لله فكيف به لغير الله .

ومن أنواع الشرك : الخوف من غير الله ، والتوكل على غير الله ، والعمل لغير الله ، والانابة والخضوع والذل لغير الله ، وابتغاء الرزق من عند غيره ، وحمد غيره على ما اعطى والغنية بذلك عن حمده سبحانه والذم والسخط على ما لم يقسمه ولم يجر به القدر واطافة نعمه الى غيره واعتقاد أن يكون في الكون ما لا يشاؤه .

ومن أنواع الشرك طلب الخوانج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه اليهم ، وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له الى الله فيها .

والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي صلوات الله وسلامه عليه اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة (١) .

ان فضل الله تعالى عم جميع خلقه فهم كما يتفاوتون في الارزاق والعلم كذلك يتفاوتون في التقرب منه . وقد خص أنبياءه ببعض معجزاته كما خص أوليائه ببعض كراماته ، الا أن محض عبوديته وواسع كرمه كفيلاً بأن يعطى كل من سأله ودعاء « والدعاء مخ العبادة » ولا معبود غير الله تعالى وقد ورد في الأثر الحديث القدسي عن الله تعالى قال عز وجل « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئاً . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسأله ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص الخيط (الأبرة) اذا دخل في البحر » . ان كرم الله لواسع . ورزقه أكثر من خلقه . ورحمته أكبر من ملكه ، وقد وسعت كل شيء . فيجب أن يكون الله تعالى هو وحده المستول . وهو وحده المقصود . وهو وحده المعبود .

(١) راجع كتاب (مدارج السالكين) للعلاء ابن القيم ج ٢ .

روى عوف بن مالك الاشجعي رضى الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا علام نبايعك يا رسول الله ؟ قال : على أن تعبدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا - وأسركلة خفية قال - ولا تسألوا الناس شيئاً ، قال : فلقد رأيت بعض أولئك المفتر يسقط سوط أحدهم (أى عصاه) فما يسأل أحداً يناوله إياه .

ان الوسيلة للتقرب الى الله تعالى هي طاعته والتزام أمره ، وذلك واضح البينان في كتابه العزيز وفي سنة نبيه صلوات الله عليه ، قال تعالى ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ (١) فابتغاء الوسيلة اليه طلب القرب منه بالعبودية والمحبة وقد ذكر مقامات الايمان الثلاثة التي عليها بناء الحب والخوف والرجاء ؛ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ (٢) .

ان يعود للاسلام مجده ولا للمسلم عزه الا اذا عاد الى ربه وأناب اليه ، وخلع ما فيه من ربة الاحاد ، وخرج من الانغماس في الشهوات ، وعبد الله تعالى في اخلاص وعزم فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاه لله وذله لله وتوكله على الله وأخلص قصده لله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته ؛ فاذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله . روى الترمذى في السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال له : اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله . وقد قال بعض العارفين : ارض عن الله في جميع ما يفعله لك فانه ما منعك الا يعطيك ولا ابتلاك الا يعافيك ولا أمرضك الا يشفيك ولا أماتك الا يحييك فايك أن تفارق الرضا عنه طريقة عين فتسقط من عينه .

وليكن شعار كل مسلم دائماً العمل لله وبالله والى الله يفز بعز الله في الحياة الدنيا وبسعادة الآخرة .

النظافة أو الطهارة

الوضوء وفائده — الغسل من الجنابة — الملاءن الثلاثة — الاسلام والنظافة
الاسلام وحفظ الصحة — شهادة أحد علماء الغرب

عنى الاسلام عناية شديدة بنظافة المسلم من الناحيتين الظاهرة والباطنة ، فصحة
الابدان وسلامة الأرواح والنفوس هى دعامة السعادة الدنيوية والأخروية ، لأن
الأوساخ والأقذار هما سبب الامراض وضعف الجسم لما فيهما من الميكروبات
والجراثيم القتالة . واذا أصيب الانسان بالمرض وضعف ضعفت معه نفسه وعقله
وقد قيل العقل السليم لا يوجد إلا فى الجسم السليم . ولذلك دعا الاسلام معتمقيه أن
يتنظفوا فى ظاهرهم فيغتسلوا وأن تكون أجسامهم وثيابهم نظيفة ، كما تكون نفوسهم
كذلك بعيدة عن الغل والحسد والكبر وكل الصفات الذميمة ، وقد جاء فى الجامع
الصغير للسيوطى حديث رواه الخطيب عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « إن الاسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » .
وقال صلى الله عليه وسلم « الطهور شطر الايمان » رواه مسلم والنسائى
والترمذى . والطهور بضم الطاء أى الطهارة من الادناس الباطنة كالرياء والخداع
والكبر والحسد والبخل والغضب . ومن الارجاس الظاهرة التى تلتصق
بالجسم والثياب . وشر الايمان أى جزء منه أو نصفه . فالطهارة ^(١) لعظم شأنها
وتوقف صحة العبادة عليها نصف الايمان فى الاعتبار والثواب .

(١) الطهارة يراد بها فى الفقه ازالة النجاسة والوضوء والغسل والتميم لازالة
الحدث . والمطهرات الشرعية الماء ، والتراب ، والحجر ، والدبغ - وقد خلق الله الماء
طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه ، قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ .

والنجاسة معناها القذارة . وهى ضد الطهارة ، وانواعها : الدم (ما عدا الكبد
والطحال) ، والقيح (وهى المدة التى يخالطها دم) ، والصدید (وهو ماء الجرح المختلط
بدم وما يسيل من القروح) ، والقيء ، والمسكر المائع ، وما يخرج من السيلابين - أى

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عشر (أى عشر خصال) من الفطرة (أى السنة التى أمرت بها الأنبياء): (١) قص الشارب (٢) واعفاء اللحية (٣) والسواك (عود من شجر الاراك يستعمل لتنظيف الاسنان وهو كفرشة الانسان) (٤) واستنشاق الماء (أى تنظيف الانف بالماء أى جذبه بالنفس ونثره ثانياً لنظافته) (٥) وقص الاظافر (لأنها إذا طالت تحمل الاوساخ) (٦) وغسل الأرجم (وهى غضون مفاصل الأصابع) (٧) وتنف الابط (أى شعره لئلا تظهر منه رائحة كريهة) (٨) وحلق العانة (أى شعرها الذى حول القبل) (٩) وانتقاص الماء أى الاستنجاء (أى بالماء) قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

والطهارة شرط لازم لصحة الصلاة التى هى عماد الاسلام وقوامه . والصلاة فى أصل اللغة هى الدعاء وهى بمعناها الشرعى صلة بين العبد والرب فان لم تكن هذه الصلة على خير ما يكون من ترك النواهي واتباع الأوامر فلا فائدة منها وقد قال تعالى ﴿ان الله يحب المتطهرين﴾ سورة البقرة والتواب ذلك الذى لا يصير على المعاصى والذنوب ويرجع الى ربه فى جميع ما يفعل ولا يرتكب الآثام، وإذا ما أخطأ ندم وتاب . كما أنه يحب النظافة من عبده ولذلك أمره أن يتوضأ قبل الصلاة ولا يقف بين يديه إلا نظيفاً طاهراً قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وان كنتم جنباً

البول والغائط - ما عدا المنى فإنه طاهر ، وميتة الحيوان البرسى غير الآدمى إذا كان له دم ذاتى يسيل عند خروجه بخلاف ميتة الحيوان البحرى فإنه طاهر لقوله عليه الصلاة والسلام « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » ، وبخلاف ميتة الآدمى فإنها طاهرة ، وبخلاف ميتة الحيوان البرى الذى ليس له دم ذاتى يسيل عند جرحه كالجراد فإنه طاهر ، والكلب والخنزير وما قولد منهما أو من أحدهما ولو مع غيره ، ودم الخيض .

وتطهر النجاسة بإزالتها وغسل محلها بالماء . ويطهر جلد الميتة بالدبغ لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا دبغ الأهاب (الجلد) فقد طهر » ويستثنى جلد الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما .

فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴿ سورة المائدة ﴾ . والغسل يكون بالماء والماء طهور إلا أن يتغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب » أخرجه مسلم وقال أيضاً « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه » رواه البخاري . وذلك لأن الماء الزاكد يحمل الجراثيم التي يحتويها البول من بلهارسيا وانكستوما وغيرها من الأمراض المعدية فلا بد أن يكون الماء نظيفاً حتى يؤدي المهمة المطلوبة منه وهي نظافة الجسم . وكذلك إذا ولغ الكلب في أناء يجب غسله سبع مرات حتى يتأكد الإنسان من نظافته وأن يكون غسله في أول مرة بالتراب الناشف كي يزيل أثر ما يحويه لعابه من الميكروبات ، هذا بخلاف الهرة فإنها لا تنجس الأناء . سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنا نركب البحر وتحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » رواه مالك والشافعي وأحمد

عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي . وزاد البخاري قال رجل من حضرموت : ما الحدث يا أبا هريرة قال فسأله أو ضراط . وفي رواية لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول (خيانة كسرقة أو غصب) . وعنه أيضاً « إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكه عليه أخرج منه شيء أم لا فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً . والوضوء يجب على من نام مضطجعا لأنه إذا اضطجع استرخت مفاصله . »

قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا صلاة لمن لا وضوء له » رواه أبو داود والترمذي . وقال أيضاً « لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل

وضوء» رواه مالك والبخارى^(١) وذلك للعناية بنظافة الفم والأسنان وهما من أكبر الأسباب في حفظ الصحة ، فبنظافة الفم يخلو من الميكروبات وجراثيم الأمراض المعدية ولا يؤذى غيره ممن يتحدث ويتعامل معه بريحه الكريمة . وسلامة الأسنان عليها المدار الأكبر في مضغ الطعام وحفظ المعدة بل الصحة . وقد وجد بالتجارب أن كثيراً من الأمراض المعوية والأمراض العقلية يرجع أسبابها إلى تلف الأسنان وفسادها وذلك من عدم العناية بنظافتها والحرص على سلامتها .

كيفية الوضوء

عن حمدان مولى عثمان قال إن عثمان دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر (بعد استنشاق الماء) ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا . وعن عبد الله بن زيد أن النبي ﷺ توضأ مرتين مرتين . وعن ابن عباس قال توضأ النبي ﷺ مرة مرة رواهما البخارى وأبو دواد والترمذى .

وعن أنس قال كان النبي يتوضأ عند كل صلاة ، قلت كيف كنتم تصنعون (أيها الأصحاب) قال يجزىء أحدنا الوضوء ما لم يحدث (أى فالوضوء يبقى حتى يطرأ حدث) رواه البخارى

وعن سليمان بن مبريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد ومسح على خفيه فقال له عمر لقد صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه (وهو الصلوات كلها بوضوء واحد) قال عمدا صنعته يا عمر (أى لا بين لكم أن الوضوء باق مالم يطرأ حدث ، ولما كان مسح الخف فرضاً من فروض الوضوء على لابسه أردف بالخف تكميلاً للقائمة) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(١) ومن الوصايا النبوية لعللى رضى الله عنه قوله عليه السلام : « يا على عليك بالسواك ، فإنه مطهرة للفم ، ومرضاة للرب تعالى ، ومجلاة للأسنان . يا على عليك بالتخلل (تنظيف ما بين الأسنان بالخلة) فإنه ليس أبغض إلى الملائكة من أن ترى فى أسنان العبد طعاماً » .

فوائد الوضوء من الناحية الصحية

قال الدكتور الفاضل موفق الشطي في فوائد الوضوء العامة :

« الوضوء غسل موضعي يوصى باستعمال الماء البارد فيه ما لم تكن هناك حالات مرضية تمنع ذلك كالتي بينهاها في فوائد الاغتسال العامة ، فيرجح حينئذ الماء الدافئ . ويفيد الوضوء (وهو غسل الأقسام المكشوفة كما بينا) بالماء البارد فائدة لا تقل عن الفائدة التي ذكرناها في بحث فوائد الاغتسال لابل هو أشد فائدة صحية لتكرره وخفة الارتكاسات الناجمة عنه فيؤدي الوضوء بالماء البارد إلى تقبض العروق الشعرية السطحية حتى أن الجلد قد يبيض من ذلك وقد تنقلص العضلات فيندفع الدم إلى إرجاء الجسم العميقة ولا يلبث أن يظهر ارتكاس يعيد كل شيء إلى حاله الطبيعية تستفيد من ذلك الجملة الدورانية فائدة عظيمة فيرفع الضغط الدموي أولا وتزداد حركة القلب ومتى وقف التنقلص العضلي في المحيط أعقب تقبض العروق تمددها فيعود للجلد لونه وللضغط حالته الطبيعية السابقة ويزداد عدد السكريات الحر وتنشط المبادلات في الجسم وتقوى الحركات التنفسية فيزداد مقدار الأكسجين الوارد وتكثر كمية حامض الفصح الصادر .

ويؤثر غسل الأقسام المكشوفة المعرضة بالوضوء تأثيراً عاماً ، فيفرز البول ، ويكثر معه إفراغ السموم وتزداد الشهية إلى الطعام وينشط الهضم وتزداد أكثر المفرغات وتنبيه الجملة العصبية وينتج من الارتكاس البادي بالجلد نشاط عام ، وذلك بتنبيه الأعصاب الجلدية والأعصاب المحركة وباتتقال هذا التنبيه إلى جملة الأعصاب الوريدية والروية المعدية ومنهما إلى جميع الأعضاء والغدد (١) .

الغسل وأسبابه

وقد أمر الاسلام بغسل الجسم كله إذا ما جامع الرجل امرأته أو احتلم ونزل منه ماء منيه أو إذا نزل منه الماء ولم يذكر احتلامه أو جامع ولم يئزل أو مس فرجه فرج امرأته وذلك لإعادة نشاط الجسم وتنظيف الخلايا للقيام بوظائفها خير قيام قال تعالى : ﴿ وان كنتم جنبا (من جماع أو نزول منى) فاطهروا ﴾ (وهذا بالغسل) وقال ﴿ ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ﴾ أي لا يجوز دخول المسجد والمكث

فيه في حالة الجنابة انما يجوز المرور منه .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا جلس بين شعبها الأربع (وهي اليدان والرجلان وهذه حال من يجامع امرأته وهي على ظهرها) ثم جهدها (جامعها) فقد وجب الغسل » وفي رواية وأن لم يُنزل (سواء نزل منه أولا) وفي أخرى وجاز الختان الختان (أي التقى الختانان) فقد وجب الغسل ، فإذا تماسا وغابت الحشفة في الفرج وجب الغسل عليهما .

جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة غسل إذا احتلمت . فقال رسول الله ﷺ نعم ، إذا رأت الماء (أي منيها ظاهر الفرج أي أحست به إذا جلست على قدميها) فقالت أم سلمة (وكانت حاضرة المجلس) يا رسول الله وتحتلم المرأة ؟ فقال : تربت يداك (أي لصقت بالتراب وهو دعاء عند العرب كثير الاستعمال ويستعمل دلالة على التنبيه) فم يشبهها ولدها (بأي شيء يشبه أمه إذا لم يكن لها مني) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

وعن عائشة قالت : سئل النبي ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما ، قال يغتسل . وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولا يجد البلل ، قال لا يغسل عليه . فقالت أم سليم : المرأة ترى ذلك أعلمها غسل ؟ قال نعم ، إنما النساء شقائق الرجال (أي نظائرهم) . رواه أبو داود والترمذي .

وعنها أن النبي ﷺ كان يغتسل من أربع : من الجنابة ويوم الجمعة ومن الحجامه (لاحتمال رشاش أصابه من الدم فيغتسل استظهارا للطهارة) ومن غسل الميت . رواه أبو داود .

عن سلمان قيل له قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراة (أي الجلوس للحاجة واسم الخارج خرة) فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع (أي روث حيوان) أو عظم . رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .

وقال ﷺ : « اتقوا الملاعن الثلاثة (مواضع اللعن) البراز في الموارد (وهو طريق الماء) وقارعة الطريق (أي الطريق المقروعة بالنعال) والظل ، رواه أبو داود . وقال ﷺ : إذا بال أحدكم فلا يأخذ ذكره بيمينه ولا يستنج

يمينه . ولا يتنفس في الإناء (وقت الشرب لأنه ينتنه) فإذا أراد التنفس رفع الإناء عن فمه وتنفس ، ومن المعلوم أن اليد اليمنى هي التي يتناول بها الطعام والشراب وقد حفظها الشارع خالية عما يعلق بها من الميكروبات حين الاستنجاء أو إذا مسها شيء من الغائط ولم تغسل جيداً ، فيكون الإنسان معرضاً لكثير من الأمراض لانتقال العدوى .

الإسلام أمر بالنظافة في الظاهر بإزالة الأوساخ والأقذار من على الجسد وذلك بالاستحمام والوضوء ولبس الثياب النظيفة قال تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ وقد فسرها بعض المفسرين أى عند كل صلاة كما أمر بستر العورة وأمر بطهارة النفس وذلك بتخليها عن الرذائل وتحايها بالفضائل ، وأمر أيضاً أن لا يأكل الإنسان إلا طيباً فقال تعالى : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ وحرم عليه كل ما يضره فحرم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير كما حرم عليه شرب الخمر وكل مسكر وذلك كله ليحفظ بصحته وسلامته نفسه ، وأن يعمل كل ما يرقيه ويقربه من الله وذلك بعمل الخير والتجلى بمكارم الأخلاق .

شهادة أحد علماء الغرب

كتب الأستاذ الدكتور شرومف بيرون في مقال طويل تحت عنوان : الإسلام وحفظ الصحة « نقتطف منه ما يأتي :

كلما ألفت الحياة الإسلامية أعجبت بقواعد حفظ الصحة العجيبة التي وضعها النبي محمد للمؤمنين ، وأسفت على عدم محافظة كثيرين من المصريين عليها ، ولأن السلطات المسئولة لا تدقق التدقيق الكافي في تنفيذها في غالب الأحيان في بلاد يعتبر الإسلام فيها ديناً للدولة .

عدّ النبي (عليه الصلاة والسلام) من الأشياء النجسة :

١ - الخنازير والكلاب . ولماذا ذلك ؟ لأن لحم الخنزير قد ينقل مرض (التراشينوز) وهو مرض خطر وكثيراً ما يكون مميتاً ... وقد تنقل الكلاب ديداناً خطيرة تقضى على حياة الذين تدخل جسامهم .

٢ - يعتبر نجساً كل مادة مسكرة من أى نوع كانت كالكيحول والخمر والمخدرات ، وهذه شريعة أساسية للإسلام وإليها يعود الفضل في جاف كبير من قوته

وصحة أبنائه . وينجم عن شرب الكحول انتشار الأمراض ... وأهم هذه الأمراض التدرن الرئوي (السل) وكان قبلاً نادر الوقوع في مصر . فلا يقوى الكحول الجنس بل يضعفه ويتطرق الفساد إلى أولاد مدمنيه ، هذا عدا الأموال الطائلة التي تنفق في شرائه عبثاً وتقدر بخمسة عشر مليوناً من الجنيهات تقريباً في السنة ، يضاف إلى ذلك ١١ مليون جنيه مصرى تنفق على المخدرات (وهي مواد لا تقل عن الكحول في نجاستها) فيكون المجموع ستة وعشرين مليون جنيه تدفعها بلاد فيها ١٤ مليوناً من السكان على أسمها في أثناء الأزمة الحالية ...

٣ — تعتبر نجاسة جثث الحيوانات الميتة وروثها وبولها الخ ويصبح نجساً الماء الذي تخالطه ... وقد حظر على المؤمنين التوضؤ بماء نجس أو الشرب منه .

ويتبين لنا من هذا أن النبي (ﷺ) سبق بأكثر من ألف سنة واضعياً علم البكتريولوجيا الحديثة (علم الطفيليات) والعلماء الذين استعانوا بالميكروسكوب على اكتشاف الباشلوس وغيره من الطفيليات التي تصير الماء نجساً وخطراً . وبناء عليه أن الماء النجس لا يقتصر على ما ينقل من التفوئيد والدوسنتاريا (رأساً أو بالخصار الذي يسقى به أو يغسل به) بل هو السبب في مرض من شر الأمراض المنتشرة في مصر وهو البلهارسيا حينما يستعمل للوضوء فهذا الماء الذي فيه جراثيم البلهارسيا يعتبر نجساً وبالتالي يحظر استعماله للوضوء ... ولذلك يجب وقاية الناس من الإصابة بها بالمحافظة جد المحافظة على الشريعة القرآنية ، ووضع ماء مرشح في كل قرية ليتوضأ به الناس ، وإنشاء سبل للنساء أقل نفقة من التدابير المتخذة لمساكنة البلهارسيا في الوقت الحاضر .

وطريقة التطهير التي ذكرت هي كاملة ويجب أن تكون مثلاً للمسيحيين يحذون حذوه فليس في دينهم الزامات تتعلق بالنظافة .

ونقول في الختام : إن الشريعة القرآنية في مسألة الطهارة خير مثال يحتذى به . وإن الذي جاء بها هو أكبر وأقدم أستاذ في حفظ الصحة نشأ في العالم . فيجب أن تظل مقدسة في العالم الإسلامي وقد أيدتها العلوم الحديثة ، فالمسلمون يرتكبون أكبر خطأ إذا أهملوا تلك الشريعة ، فإن هذا الإهمال يفقد الإسلام قوة

من أعظم قواه :

وفي مسند البزار عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة . كريم يحب الكرم . جواد يحب الجود . فنظفوا أنفسكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الألب في دورهم ، (الألب الزبالة) .

وذكر ابن أبي شيبة أنه ﷺ كان له سكة يتطيب منها . وصح عنه أنه قال : « لله على كل مسلم حق أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما ، وإن كان له طيب يمس منه وفي الطيب من الخاصة أن الملائكة تحبه والشياطين تنفر منه . وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة السكرية . فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة ، وكل روح تميل إلى ما يناسبها فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات . وهذا إن كان في النساء والرجال فإنه يتناول الأعمال والآقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح ، (لما لعموم لفظه أو لعموم معناه) (١) .

الماء المطهر

موجز عن الطهارة وأسبابها

والماء طاهر مطهر لا يخرج من الوصفين إلا ما غير ريحه أو لونه أو طعمه من النجاسات ، وعن الثاني ما أخرجه عن اسم الماء المطلق من المغيرات الظاهرة ولا فرق بين قليل وكثير وما فوق القلتين وما دونهما ومتحرك وساكن ومستعمل وغير مستعمل .

أحكام النجاسات

والنجاسات هي غائط الإنسان مطلقا وبوله ، إلا الذكر الرضيع (عند بعضهم) ولعاب كلب وروث ودم حيض ولحم خنزير وفيما عدا ذلك خلاف . والأصل الطهارة فلا يتقل عنها إلا ناقل صحيح لم يعارضه ما يساويه أو يقدم عليه .

(١) زاد المعاد للامام الحافظ أبي عبد الله بن قيم الجوزية . الجزء الثالث ص ٢٠٨

تطهير النجاسات

ويطهر ما تنجس بغسله أى (باسالة الماء عليه) حتى لا يبقى عين ولا لون ولا ريح ولا طعم . والنعل بالمسح . والاستحالة مطهرة لعدم وجود الوصف المحكوم وما لم يمكن غسله فبالصب عليه أو النزح منه حتى لا يبقى للنجاسة أثر . والماء هو الأصل فى التطهير فلا يقوم غيره مقامه إلا بإذن من الشارع .

قضاء الحاجة

على المتخلى الاستتار حتى يدنو من الأرض والبعد أو دخول الكنيف . وترك الكلام والملازمة لما له حرمة . وتجنب الأماكن التى منع عن التخلّى فيها شرع أو عرف ، وعدم الاستقبال والاستدبار للقبلة ، وعليه الاستجار بثلاثة أحجار طاهرة أو ما يقوم مقامها . ويندب الاستعاذة عند الشروع والاستغفار والحمد بعد الفراغ .

الوضوء

يجب على كل مكلف عند أمدان يسمى إذا ذكر ويتمضمض ويستنشق ثم يغسل جميع وجهه ثم يديه مع مرفقيه ثم يمسح رأسه مع أذنيه ويجزى مسح بعضه . والمسح على العمامة ثم يغسل رجله مع الكعبين . وله المسح على الخفين ولا يكون وضوءاً شرعياً إلا بالنية لاستباحة الصلاة .

ويستحب التثايت فى غير الرأس وإطالة الغرة والتحجيل وتقديم السواك وغسل اليدين إلى الرسغين ثلاثاً قبل الشروع فى غسل الأعضاء المتقدمة .

نواقض الوضوء

وينتقض الوضوء بما خرج من الفرجين من عين أو ريح وبما يوجب الغسل ونوم المضطجع وأكل لحم الابل والقيء ونحوه ومس الذكر .

الغسل

يجب الغسل بخروج المنى بشهوة ولو بتفكير وبالتقاء الختانين وبالحيض وبالنفاس وبالاختلام مع وجود بلل وبالموت وبالإسلام .

والغسل الواجب هو ان يفيض الماء على جميع بدنه أو يتغمس فيه مع المضمضة والاستنشاق والدلك لما يمكن ذلك . ولا يكون شرعياً الا بالنية لرفع موجب .
وندى تقديم غسل أعضاء الوضوء الا القدمين ثم التيامن .
ويشرع الغسل لصلاة الجمعة وللعيد ولمن غسل ميتاً وللأحرام ولدخول مكة .

التييمم

يستباح به ما يستباح بالوضوء والغسل لمن لا يجد الماء أو خشي الضرر باستعماله وأعضاؤه الوجه ثم الكفان فيمسحهما مرة واحدة بضرية ناوياً مسمىاً . ونواقضه نواقض الوضوء .

الحيض

لم يأت في تقدير أقله وأكثره ما تقوم به الحجة . وكذلك الطهر فذات العادة المتقررة تعمل عليها وغيرها ترجع الى القرائن . فدم الحيض يتميز من غيره فتكون حائضاً اذا رأت دم الحيض ، ومستحاضة اذا رأت غيره فهي كالطاهر . وتغسل أثر الدم وتتوضأ لكل صلاة .
والحائض لا تصلي ولا تصوم ولا توطأ حتى تغتسل بعد الطهر وتقضى الصيام .

النفاس

النفاس أكثره أربعون يوماً ولا حد لأقله وهو كالحيض .
أما كون أكثره أربعين فلحديث أم سلمة قالت « كان النفاس يجلس على عهد رسول الله ﷺ أربعين يوماً » أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والدارقطني والحاكم .
والى ذلك ذهب الجمهور . وقد قيل أن أكثره ستون يوماً وقيل سبعون وقيل خمسون وقيل نيف وعشرون يوماً . والحق الأول . فان جاوز دمها الأربعين عاملت نفسها معاملة المستحاضة اذا جاوزت أيام العادة المتقررة . وأما كون النفاس كالحيض في تحريم الوطء وترك الصلاة والصيام فلا خلاف في ذلك وكذلك لا تقضى النفاس الصلاة .
وفي رواية لأبي داود من حديث أم سلمة قالت كانت المرأة من نساء النبي ﷺ تقعد في النفاس أربعين ليلة لا يأمرها النبي ﷺ بقضاء صلاة النفاس (١) .

(١) الدرارى المضية . شرح الدرر البهية كلاماً للامام العلامة الفقيه المجتهد محمد بن علي الشوكاني .

الصلاة

وأثرها في حياة الافراد

عناية الاسلام بسلامة الجسم ، وسلامة النفس ، فرائض الصلاة — أركان الصلاة — مواعيد الصلاة — مبطلات الصلاة — فضائل الصلاة من الناحية الصحية والرياضية — الصلاة من الناحية النفسية والروحية أسرار الصلاة وفوائدها — كيف كان يصلي النبي ﷺ

الصلاة آية الايمان ، وعلاقة الانسان بالرحمن ، وعماد الدين ، ودليل اليقين ، وسبيل المؤمنين الى سعادة الدارين .

خلق الانسان لعبادة ربه ، وتنفيذ أمره واجتناب نهيه ، إلا أن هناك مشاغل الحياة تتجاذبه ، وهو اجس النفس تننازعه ، وشهوات تتوالب عليه فتلهيه وكثيراً ما تقوى عليه فتريده . ففرض الله سبحانه وتعالى على الانسان الصلاة . ليستعين بربه على ما كلف به من الاوامر ، وعلى دفع ما يؤذيه وجلب ما ينفعه وينجيّه . انظر كيف حاج الملائكة^(١) خطيب الانبياء شعيب ﴿ قالوا يا شعيب أصلانك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أممنا ما نشاء ، إنك لآنت الحليم الرشيد . قال يا قوم أرأيتم إن كنتم على بيعة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ﴾ . سورة هود

إن من استعان بالله هداه ، ومن طلب رضاه بالعمل الصالح أسعده وأنجاه مما يحيط به من صراع المطامع ، وفساد النفوس ، ونزوات الغنى ، ومهانة البخل والفقر وفحش الاقوال ومنكرات الأفعال ، فقال تعالى ﴿ وأقيم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾ . سورة العنكبوت والصلاة إظهار الحاجة والافتقار الى المعبود بالقول أو العمل أو كليهما ، وهو المراد بقولهم « الصلاة معناها الدعاء » ، والصلاة التي فرضها الله على المسلمين هي الاقوال والافعال المفتحة بالتكبير المحتمة بالتسليم على النحو الذي جاءت به السنة المتواترة

(١) الملائكة : أعيان القوم وساداتهم وكبرائهم .

من أفضل ما يعبر به عن الاحساس بالافتقار الى المعبود وشعور النفس بعظمته
لو أقامها المصلون وأتوا بها على وجهها .

وقد أمر الله بأقامة الصلاة دون مجرد الاتيان بها ، واقامة الشيء هي الاتيان به
مقوماً كاملاً يصدر عن علمته ، وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها هي ما أنبأنا
الله تعالى به بقوله المتقدم وقوله في سورة المعارج ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾
مسه الشَّيْءُ سَرَّ جَزَوْعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إلا المصايير الذين هم على صلاتهم
دائمون ﴿ وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو
عن معنى العبادة وسرها فيه المؤدى الى غايتها بقوله في سورة الماعون ﴿ فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴾ الذين هم يراوون ويمنعون الماعون ﴿
فصالحهم مصلين لانهم أتوا بصورة الصلاة ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التي هي
توجه القلب الى الله تعالى المذكور بخشيته المشعر للقلوب بعظم سلطانه ، ثم وصفهم
بأنثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون (الخير) .

وذكر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أن الرياء ضربان :

(١) رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس (٢) ورياء العادة وهو العمل
بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب
اليه به وهو ما عليه أكثر الناس . فان صلاة أحدهم في طور الرشد والعقل هي عين
ما كان يحاكي به أباه في طور الطفولة عند ما يراه يصلي يستمر على ذلك بحكم العادة
من غير فهم ولا عقل ، وليس لله شيء في هذه الصلاة ؛ وقد ورد في بعض الاحاديث :
ان من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعداً ، وأنها تاف كما ياف
الثوب البالي ويضرب بها وجهه . وأما الماعون فهو المعونة والخير الذي تقدم في الآية
الاخري أن من شأن الانسان أن يكون منوعاً له الا المصلين . (١)

روى عن الله سبحانه وتعالى في الكتب السابقة أنه قال : « ليس كل مصل
أقبل صلاته ، انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ، ولم يتكبر على عبادي ، وأطعم
الفقير الجائع لوجهي » .

الصلاة هي دعامة الدين ، وركنه الركين ؛ فمن أقامها فقد رفع لواء الاسلام ومن تركها فقد خرج على حظيرة المسلمين ، وطاول بالعصيان رب العالمين .
الصلاة ومقدماتها من الطهارة تشتمل على أصول التربية البدنية والنفسية معاً اذا أدبت على الوجه المطلوب .

لا تصح للإنسان اقامة الصلاة الا اذا كان طاهراً باطنياً وظاهراً وذلك باسباغ الوضوء وخلو الثياب من النجاسة ، وباطناً بخلو النفس من الشرك بالله . وقد عني الاسلام بصحة النفوس وسلامة الابدان .
عناية الاسلام بصحة الجسم ، والبدن :

دعا الاسلام الى العناية بصحة الجسم وسلامته من الامراض والمحافظه عليه ، وقد حرم الكتاب الكريم على الانسان ما تحقق ضرره كاكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، كما حرم عليه شرب الخمر وكل مسكر وما في حكمها إلا لمضطر ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة البقرة
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ سورة المائدة .

وقد أباح القرآن الكريم أكل الطيبات من الارزاق وهي الاصل في التشريع كما فرض على المسلم النظافة والعناية بجسمه لانه أدواته في القيام باداء واجبه ففرض عليه الغسل بعد الجماع ، كما فرض عليه الوضوء للصلاة . وهذه تؤدي خمس مرات في اليوم فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ مَجْنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمُ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

فَتَيْمِّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾

هديه ﷺ في الوضوء

والمسح على الخفين والجوربين (الشراب) والتيمم

(هديه في الوضوء) كان يتوضأ لكل صلاة في غالب أحيائه وربما صلى الصلوات بوضوء واحد ، وكان يتوضأ بالماء تارة وبثلثيه تارة وبأزيد منه تارة ويحذر من الاسراف في صب الماء وقال إن للوضوء شيطانا يقال له الوهان ، فاتقوا وسواس الماء وصح عنه انه توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا ويتمضمض ويستنشق تارة بغرفة وتارة بغرفتين وتارة بثلاث وكان يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى ، وكان يمسح رأسه كله وتارة يقبل يديه ويدير وعليه يحمل واحاديث عثمان الصحاح تدل على ان مسح الرأس مرة ولم يصح عنه انه اقتصر على مسح بعض رأسه البتة ولكن كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة ، ولم يتوضأ الا وتمضمض واستنشق وكان وضوؤه مرتبا متواليا وكان يغسل رجله اذا لم يكونا في خفين ويمسح عليهما اذا كانا في الخفين ويمسح اذنيه مع رأسه ظاهرهما وباطنهما ولم يثبت أنه أخذ لهما ماء جديداً ولم يصح عنه في مسح العنق ولم يحفظ عنه أنه قال على وضوئه شيئا غير التسمية في أوله وقوله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين في آخره ولم يكن يقول نويت رفع الحدث أو غيره ولم يثبت عنه تجاوز المرفقين والكعبين ولم يكن يعتاد تشفيف اعضائه بعد الوضوء وكان يخلل لحيته أحيانا ولم يواظب على ذلك ، كذلك تخليل الاصابع .

(هديه ﷺ في المسح على الخفين) صح عنه انه مسح في الحضر والسفر ، وكان يمسح ظاهر الخفين ولم يصح عنه مسح أسفلهما ومسح على الجوربين والتعللين ومسح على العمامة مقتصرأ عليها ولم يكن يتكلف ضد حاله التي عليها قدماء بل ان كانت في الخف مسح عليها ولم يزعها وان كانتا مكشوفتين غسل القدمين ولم يلبس الخف .

(هديه ﷺ في التيمم) كان ﷺ يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين ، ولم يصح عنه بضربتين ولا الى المرفقين . وكذلك كان يتيمم بالارض التي يصلي عليها ترابا

أو سبخة أو رملا ، وصح عنه أنه قال حينما أدركت رجلا من امتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وهذا نص صريح في أن من أدركته الصلاة في الرمل فالرمل له طهور ولم يصح عنه التيمم لكل صلاة وجعله قائماً مقام الوضوء .

عنى الدين الاسلامى بصحة الجسم وسلامة الروح . ولما كان الانسان متنازعا بين الشهوات معرضا للتغريات وقد ينسبه هواه ومطامعه حد الاعتدال فينزلق الى مهاوى العطب والفساد فرض الله عليه في كل يوم وليلة خمس صلوات لتذكره وأمر به وتخفف عنه ما يلقاه من العنت والمشقة فيستغنى بمن خلقه على اداء واجبه والى هذا المعنى يشير الله تعالى بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ﴾ سورة البقرة .

عن أنس رضى الله عنه قال : فرضت على النبي ﷺ ليلة اسرى به الصلوات خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نودي يا محمد (أى من قبل الله) انه لا يبدل القول لدى وأن لك بهذه الخمس خمسين (أى جزاء كل حسنة بعشر أمثالها) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . وجاء رجل من أهل نجد يسأل عن الاسلام فقال رسول الله ﷺ خمس صلوات فى اليوم والليلة . قال هل على غيرها . قال لا الا أن تطوع . فقال رسول الله ﷺ وصيام رمضان . قال هل على غيره . قال لا الا أن تطوع . وذكر رسول الله ﷺ الزكاة قال هل على غيرها قال لا إلا أن تطوع فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص . قال رسول الله ﷺ أفلح أن صدق رواه البخارى ومسلم والترمذى وابو داود . وعن ابى قتاده عن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل انى افترضت على امتك خمس صلوات وعهدت عندي عهدا انه من جاء يحافظ عليهن لوقتهن ادخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي رواه أبوداود .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبوداود .

فرائض وشروط صحة الصلاة

فرائض الصلاة المتفق عليها والتي لا تصح الا بها هى النية والطهارة ومعرفة

دخول الوقت والتوجه الى القبلة والركوع والسجود ورفع الرأس من السجود والقيام والجلوس الاخير وترتيب أفعال الصلاة .

ويجوز للانسان أن يصلي قاعداً أو على جنبه اذا لم يستطع القدرة على القيام كما يجوز له ان يصلي بالايماه اذا لم يستطع القدرة على الكلام .

ويجوز للانسان ان يصلي بغيره اذا كانا طاهرين كما يجوز أن يمسح عليهما كالحف عند الوضوء اذا ادخل قدميه طاهرين .

أركان الصلاة

عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . دخل رجل المسجد فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ وكان في المسجد فرد النبي عليه السلام فقال ارجع فصل فانك لم تصل فصلى ثم جاء فسلم على النبي فقال ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثاً (اى ارجعه ثلاثاً) فقال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره (غير ما فعلت) فعلمنى . فقال إذا قمت الى الصلاة فكبر (للاحرام بقولك الله اكبر فهو ركن فى كل صلاة) ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن (الفاتحة أو غيرها ولو آية) ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً (فيه ان الجلوس بين السجدين والاعتدال من الركوع والطمأنينة فيهما وفى الركوع والسجود واجبة وبه قال الجمهور) ثم اعمل ذلك فى صلاتك كلها رواه البخارى ومسلم والترمذى وابو داود والنسائى . قال النبي ﷺ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (اى لا صلاة كاملة) رواه البخارى ومسلم والترمذى قال النبي ﷺ من صلى ركعة ولم يقرأ فيها بأم القرآن (الفاتحة) فلم يصل الا أن يكون وراء الامام رواه الترمذى (١) .

عن ابن عباس قال كان النبي يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن فكان يقول التحميدات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد أن لا إله الا الله . زاد فى رواية وحده لا شريك له واشهد أن محمداً رسول الله رواه مسلم والترمذى وابو داود والنسائى .

(١) وظاهر هذا أن المأموم لا تجب عليه الفاتحة ، وعليه الجمهور ومالك وأبو حنيفة وأحمد .

وكان النبي يقول في الصلاة اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد رواء البخارى ومسلم والترمذى وابو داود والنسائى والشافعى .

وكان رسول الله يكبر في كل خفض ورفع وقيام وقعود وابو بكر وعمر رواه الخمسة . وتكبيرات الانتقال سنة عند الجميع الا احمد فانه قال بوجوبها .

قال النبي ﷺ أمرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة وأشار بيده على أنفه واليدين (السكفين) والركبتين واطراف القدمين ولا نكفت الثياب والشعر (لا تمتعهما من الاسترسال على الارض حال السجود على الارض بل يتركان بحالهما) رواه البخارى ومسلم والترمذى . قال النبي ﷺ ألا واني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم رواه مسلم . وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا قام يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول « سمع الله لمن حمده » حين يرفع صلبه من الركوع ثم يقول وهو قائم « ربنا ولك الحمد » ثم يكبر حين يهوى ساجداً ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يكبر حين يسجد ثم يكبر حين يرفع ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها ويكبر حين يقوم من اثنين بعد الجلوس رواه مسلم والبخارى .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال صل قائماً فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب والا فأوم رواه البخارى . ان من عجز عن القيام في الفرض صلى جالسا فان لم يقدر صلى على جنبه فان لم يقدر صلى مستلقيا على ظهره ورجلاه ورأسه الى القبلة ومثل هذا من كان في سفينة أو قطار أو مركب في الهواء أو في كمين فانه يصلى كيف امكنه مستقبل القبلة اولا من قيام او كيف امكنه . سئل النبي ﷺ كيف اصلى في السفينة قال صل فيها قائماً الا أن تخاف الغرق .

قال النبي ﷺ إذا شك احدكم في صلاته فلم يدركم صلى اثلاثاً أم اربعاً ؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم . فان كان صلى خمسا شفعن له صلاته وان كان صلى تماماً كانتا ترغيباً للشيطان رواه مسلم .

وقال النبي ﷺ ليس على من خلف الامام سهو فان سها الامام فعليه وعلى من خلفه

رواه الترمذى . قال النبي ﷺ « صلوا كما رأيتموني أصلي » . رواه البخارى . وقد صلى النبي الصبح ركعتين والظهر والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً .

مواعيد الصلاة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال « وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر وقت العصر ووقت العصر ما لم تصفر الشمس ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس رواه مسلم .

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن النبي ﷺ قال من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر رواه البخارى ومسلم .

نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى .

أحكام أخرى

قال النبي ﷺ « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها . زاد فى رواية : وفرقوا بينهم فى المضاجع . رواه أبو داود وأحمد والترمذى .

قال النبي ﷺ « إذا فسسا (خرج من دبره ريح) أحكمم فليتنصرف وليتوضأ وليعد الصلاة رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

وعن أم سلمة سألت النبي ﷺ أتصلى المرأة فى درع (ثوب) وخمار (ما يستر الرأس والعنق) بغير ازار؟ قال إذا كان الدرع سابغاً يغطى ظهور قدميها (فالخمار والقميص يستران جميع البدن إلا الوجه والكفين فهذه عورة الحرة) رواه أبو داود والترمذى .

وسئل أنس رضى الله عنه أكان النبي ﷺ يصلى فى نعليه قال نعم . رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى .

قال النبي ﷺ إذا جاء أحدكم المسجد فلا ينظر فإن رأى في نعليه أذى أو قدراً فليمسحه وليصل فيهما رواه أبو داود .

قال النبي ﷺ الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام رواه الترمذی .

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ همى أن يصلي في سبع مواطن المزالة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق والحمام ومعائن الابل (الزرايب) وفوق ظهر بيت الله الحرام رواه الترمذی .

صلاة النوافل

النوافل : صلاة النوافل وهي صلاة التطوع لزيادة القربة من الله سبحانه وتعالى فنها ما دام عليها الرسول عليه السلام وتعتبر سنة مؤكدة أو غير مؤكدة وهي التي لم يواظب عليها الرسول عليه السلام فمرة كان يفعلها ومرة أخرى لا يفعلها فمن ذلك الصلاة التي كان يؤديها عليه السلام قبل الفرض أو بعده ركعتين قبل صلاة الفجر أو الصبح ويرجع إلى كتب الحديث والفقهاء . ومن النوافل صلاة الوتر سنة مؤكدة وأقلها ركعة وأكثرها إحدى عشرة ركعة والفنوت — وصلاة التراويح في ليالي رمضان . وصلاة الضحى وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان . وصلاة التهجد في الليل وسجود التلاوة وسجود السهو — وصلاة العيدين ركعتان بلا أذان ولا إقامة يكبر في الركعة الأولى سبعاً وفي الثانية خمساً سوى تكبيرة القيام . والصلاة على الميت وهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وإذا تركه الكل أثموا ... والمقصود من الصلاة هو الدعاء للميت وهي أربع تكبيرات بتكبيرة الأحرام يقرأ بعد التكبيرة الأولى الفاتحة وبعد التكبيرة الثانية الصلاة على النبي وأقلها « اللهم صل على سيدنا محمد » ويقرأ بعد التكبيرة الثالثة الدعاء للميت وأقله « اللهم اغفر له وارحمه » وبعد التكبيرة الرابعة يسلم كسلام الخروج من الصلاة وليس في هذه الصلاة ركوع ولا سجود .

مبطلات الصلاة ونواقضها

ما أبطل الطهارة يبطل الصلاة (الحدث الأكبر والأصغر عمداً أو سهواً) — السلام العمد — العمل الكثير وطروء النجاسة على ثوبه أو بدنه أو مكانه

— انكشاف العورة — تغيير النية — استدبار القبلة والانحراف عنها بصدرة —
والأكل والشرب ولو يسيراً والقهقهة والردة .

فضائل الصلاة من الناحية الصحية والرياضية والجسمانية

قال الدكتور الفاضل شوكت موفق الشطى فى فضائل الصلاة الصحية :
إذا امعنا النظر فيما مر رأينا ان على المسلم تخصيص مدة لا تقل عن ساعة ونصف
الساعة للوضوء ولاداء الصلاة وللقيام بحركاتها التى لا تكاد تترك مفصلاً من مفاصل
الجسم المتحركة دون ان تحركه وتحرك معه معظم عضلات الجسم .

ولا يخفى ان وظيفة العضلات لا تقف عند تحريك الاطراف وانتقال البدن من
مكان الى آخر فحسب بل لها فعل اعظم واهم وهو تأثيرها النافع فى جميع وظائف
البدن اجمالاً كفائدتها فى الدوران والغذاء وحصول الحرارة البدنية الغريزية وهى
كذلك تهيء بيئة داخلية ثابتة وتنشط القوة الضرورية لاعمال الفكر .

تعد الصلاة عملاً رياضياً عظيماً يدخل فى زمرة الرياضة المعتدلة . ولا يخفى ان
الانسان لا يكون حراً فى أوقاته وعمله . لذلك كان لا بد له من تنظيم رياضة أو
تمرينات خاصة به ليستفيد فى وقت قصير أقصى ما يمكنه من فائدة .

والصلاة بتوقيتها واعتدالها وما يسبقها من وضوء وطهارة وغسل أحياناً أفضل
الرياضات لانها رياضة طبيعية تشبه بنتائجها نتائج الرياضة الغريزية أو السويدية
وتفوقها بانتظام توقيتها وتكرارها خمس مرات فى اليوم فحركات الصلاة طراز غريزى
فى الرياضة وتبأثيرها الحسن فى العضلات والمفاصل والعظام وتنشيط نموها وعملها
تفيد فى المحافظة على تناسق الجسم وجماله ، ولها مع ما يسبقها من وضوء تأثير مبهج
مريح ومنشط وهذا فضلاً عن تأثيره الروحى العظيم .

الصلاة فرض على كل مسلم عاقل تؤمر بها الاولاد شرعاً لسبع سنين وهو الزمن
الذى يبدأ فيه الولد يصرف جانباً من وقته للدراسة أو لتعلم صنعة من الصنائع فتقل
رياضته التى كانت قبل هذا السن غريزة فيه مع ان حاجته الى النوع المعتدل منها فى هذا الزمن
شديدة جداً ، فقيامه بالصلاة التى يؤمر بها شرعاً فى هذه السن يسد قسماً من حاجة
جسمه الى الرياضة .

ولا تقل الحاجة في اليقظ والمراعاة والبلوغ إلى الرياضة عما في الأطفال والأولاد وكذلك الأمر في الكهولة والشيخوخة ، لذلك حشرنا الرياضة بالصلاة في زمرة رياضات العمر . ويلاحظ الباحث ان المتروض بالصلاة كما جاء بها الشرع والمؤدى لها على أتم وجوها صحيح الجسم قوى الإرادة حسن الاعتماد على نفسه جلد على الطوارئ أ كظم لغيظه واضبط لنفسه عند الغضب أو الخطر ويكون كذلك أحزم وأشجع وأعلى نظراً في الحياة كريماً محباً للخير والنفع العام لأن في الصلاة علاوة على الحركات البدنية النافعة معاني نفسانية جسيمة وتذكيراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لذلك فرضت الصلاة على المسلمين طول الحياة ليروضوا بها أجسامهم ونفوسهم وليحسنوا بها ظاهريهم وباطنيهم في آن واحد . وللصلاة أيضاً فوائد خاصة علاوة على فوائدها العامة نجمعها في ما يلي :

١ — صلاة الصبح . يكون أداؤها في وقت معين وهو من طلوع الفجر الصادق إلى قبيل طلوع الشمس ويؤدى أداء هذا الفرض إلى تعويد الانسان التكبير في اليقظة من النوم وتنظيف أعضاء الجسم المكشوفة وتنشيطها وتنبيه أجهزة النفس والدوران والاعتناء وتفطع شهيته إلى استمرار طعام الصبح وسرعة هضمه وتدعوه إلى تنظيم أعمال ذلك اليوم الدنيوية وتديرها بهمة ونشاط دون فتور وملل .

٢ — صلاة الظهر — ووقت أداء الفرض يبدأ من الزوال إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه فإن أديت هذه الفريضة في بدء أوانها أذهبت عن الجسم ما لحقه من تعب في الجهد والعمل وأزالت عن النفس ما لحقها من هم وغم . ونهت جهاز الهضم وغيره من الأجهزة فزادت الرغبة في الطعام . ومتى كان الطعام مأخوذاً عن رغبة وشبهة كانت فائدته للجسم أعم وأنفع . وإن قام المصلى لأداء هذا الفرض في آخر وقته كان قيامه به داعياً إلى تسريع هضم طعام الظهر عدا ما فيه من فوائد عامة .

٣ — صلاة العصر . ووقت أداء هذه الصلاة من انتهاء زمن الظهر إلى غروب الشمس وتعرف هذه الصلاة بالصلاة الوسطى والأوامر بالمحافظة عليها كثيرة ولها من الفوائد الخاصة أن التكليف بأدائها موقت لزمن يكون الإنسان فيه منهمكاً بفكره وجسمه فإن لم يروض عن نفسه بتنشيط فكره وجسمه ولد ذلك فيه بعض الاضطراب الذي لا يلبث أن يزداد مع الزمن . ويناسب وقت أداء هذه الصلاة وقت الهضم

فيسرع بالصلاة وتيسر تطوراته .

٤ — صلاة المغرب : وزمن أداء هذا الفرض بين غروب الشمس والشفق الأحمر وله من التأثير الخاص في الجسم وإتمام الهضم مالوقتي الظهر والعصر .

٥ — صلاة العشاء : وزمنها من الشفق الأحمر إلى الصبح فان أقيمت صلاة العشاء قبل طعام العشاء كانت منبهة للرغبة فيه وإن أديت قبل النوم كانت مسرعة لهضم طعام المساء .

وعدا ذلك فان لحركات الصلاة الخاصة منافع جسيمة في كثير من الأمراض بدأ العلماء يعرفون فضائلها ويوصون مرضاهم بها فالركوع بتقليل عضلات البطن يقوى هذا الجدار ويمنعه عن الاسترخاء وينبه حركات الاحشاء والامعاء فيتخلص الشخص من ربة القبض الشديد الضرر . وأما السجود فيعرف طبيياً بالوضعة الركبية الصدرية يقلص عضلات البطن تقلصاً أعم وأشد ويحرك الحجاب الحاجز وينبه المعدة فيدفع ما بها ويخلصها من الوقوع في مرض التمدد المزعج ويقيها من مرض بلع الهواء الكثير المظاهر . وقد أصبح نفع هذه الوصفة في مداواة بعض أمراض المعدة والوقاية منها أمراً ثابتاً ومدرسياً . وللصلاة أيضاً فائدة في إدامة راحة الفكر ولذلك قيمة كبيرة في صحة الجسم فان في الاستسلام بالصلاة لخلق السموات والأرض القوى القادر على كل شيء الفعال لما يريد أثراً في شفاء كثير من الأمراض الروحية التي لم تعرف بعد لها تغيرات تشرحية تناسب مظاهرها وأعراضها . وربما كان سبب الشفاء بالايمان والاعتقاد في مثل هذه الحوادث نشاط عدد صم كسولة وتنبيه فروع دقاق للعصب السمباتي الغريب التأثير الكثير الأفعال في الجسم والذي لم يسر بعد غوره تماماً ولم يكشف العلم عن جميع أسرارته وخفاياه . وباعتقادي أنه ما من طبيب ممارس إلا وقد رأى خلال ممارسته حوادث شفاء لا يستطيع تأويلها بما عرف عن علم الطب حتى الآن وكان الايمان والاعتقاد أثر كبير في توجيه المريض شطر الشفاء .

هذا ولا يسعني أن أختم هذا البحث دون أن أنبه إلى بعض مقاصد الصلاة فليس المقصود بالوضوء والغسل والصلاة تنظيف الظاهر بالماء فحسب بل فيه أيضاً دعوة إلى تنظيف الباطن من الأخلاق الرذيلة . وقد قصد الشارع الحكيم أن يغرس في الناس خلق نظافة الظاهر ليظهروا بواطنهم ويغيروا من قبيح أخلاقهم بالجميل

منها . وفي الصلاة أيضا اشراق القلوب بالحرية وتعويد المساواة والأخاء وتعويد النفوس الطاعة لمن يجب له الطاعة والسلام^(١) .

الصلاة من الناحية الروحية

عنى الإسلام عناية شديدة بسلامة الروح وتطهيرها من مفسد الأخلاق وحضها على التخلق بالحمد من الصفات الجميلة من علو الهمة والتخلي عن الدنايا والفساد ولذا كانت قراءة الفاتحة والسور والآيات التي تتلى بعدها والدعاء الذي ورد عن رسول الله صلوات الله عليه تذكير للنفس بما يجب عليها أن تتحلى به وبما يرسم لها من أهداف عليا تسعى لها وتبذل في سبيلها ما استطاعت البذل . ومبادئ سامية تعمل على تحميقها وبذلك تنزكي بها وترقى إلى المعارف الإلهية التي تقر بها من ربها وترفعها إلى الدرجات العلى قال تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاهها ﴾ (النفس) وقد غاب من دساها (النفس) ﴿ والدس يكون باهمالها وتركها في غمار الشهوات فتتضائل وتضعف ويخبث نورها وقوتها . فلا تؤدي رسالتها في عمل الخير والنافع فتخبث ويفوتها الغرض الاسمي من الحياة . *

أسرار الصلاة وفوائدها

فالصلاة وتوابعها من الطهارة والنظافة تعلم الانسان حبه للواجب وتغرس في نفسه الطاعة للخالق وتعلمه كبسح شهواته والوقوف عند حد الاعتدال .

وقد قيل من الأمور الضرورية في تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس تدريب الارادة وتعويدها سرعة العمل بما توحىه اليها الذمة حتى تقاوم الميل الفاسد ، وقد يحتاج الانسان إلى تأديب طويل وتدريب مستمر حتى يعتاد فعل الخير ، ويقاوم الباعث على الشر ، ويكافح الشهوات ويتغلب على الاستئثار الغريزي ، ولكنه متى تعلم القيام بالواجب صار ذلك له عادة ثابتة يسهل عليه العمل بها . فالانسان الصالح إذن هو الذي أدب نفسه بتدريب إرادته حتى صار الخير عادته كما أن الطالح

الشرير هو الذى ترك إرادته خاملة لا عمل لها ، وأرخص النعمان لنفسه وهو اه . حتى اعتاد الشر ، وحتى قيده الشر بسلاسل لم يستطع إلى الخلاص منها سييلا . وأى عادة أفضل وأقوى من الصلاة التى تأمره بالخير وتمناه عن الشر ١١ .

والصلاة من أكبر العوامل فى نشاط الجسم لها فيها من الحركات الرياضية من قيام وقعود وركوع واعتدال وسجود . فهى باعث الهمة فى حالة الذين يتعودون القعود من التجار وبعض أصحاب الحرف ، كما فيها متسع للراحة البدنية لمن غمرتهم الحياة الصناعية أو التجارية بكثرة الحركة .

وأغلب الحركات الرياضية التى تعلم اليوم فى المدارس والأندية الرياضية نجدها فى حركات الصلاة وهى تؤدى فى هوادة ورفق .

انظر مثلاً إلى صلاة الفجر وهى تؤدى قبل طلوع الشمس بنحو ساعة ونصف وهى ساعة البكور . ساعة انسلاخ الليل من النهار . وكيف يكتسب الجسم نشاطاً وقوة حينئذ ينام مبكراً ويستيقظ مبكراً ويقف بين يدي ربه يناجيه ويدعوه أن يهديه الطريق المستقيم . طريق الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم .

ولقد لاحظت عند قيام الفجر أن الحرارة الجوية فى مصر تتغير وكثيراً ما تنهبط إلى خمس درجات أو ما يقرب من ذلك فيتعرض النائم للبرد خصوصاً إذا لم يكن الغطاء كافياً ، فالقيام من النوم فى هذه الساعة مما يدرأ عن الإنسان بعض أمراض البرد من الانفلونزا وغيرها .

إن صلاة المغرب والعشاء من أكبر الرياضة الجسدية والنفسية لختام حياة النهار واستقبال راحة الليل فى هدوء وطمأنينة .

وصلاة الظهر والعصر من أدعى الأسباب لاستجمام راحة البدن والفكر من مشاغل الحياة اليومية فيها يستاهم السداد من خالقه ، ويؤدى له بعضاً من واجب الشكر على الكثير من نعمه التى غمره بها .

شهادة ضابط فرنسى نبيل فى أثر الصلاة على النفس

قص الكونت هنرى دى كستري وهو ينتمى فى الأصل إلى إحدى الأسر الفرنسية العريقة فى المجد وبدأ حياته بين صليل السيوف وعلى صهوات الجياد إذ كان ضابطاً بالجيش الفرنسى المرباط فى بلاد الجزائر حيث اختلط بالعرب وعاشهم

زمناً واطلع على شيء كثير من أصول الدين الإسلامى وتاريخه وكان الدافع له على ذلك كما رواه هو عن نفسه فى مقدمة كتابه الاسلام : هو أنه خرج إلى الصحراء فى يوم من أيام الشتاء ليروح عن نفسه راكباً فرساً من جياذ الخيل بصحبة ثلاثين عربياً من قبيلة أولاد يعقوب ممتطين جيادهم وهم ينشدون أشعار الحب والأغاني الحماسية بين صهيل خيولهم العربية الجميلة كأنها كانت تشاركهم فيما هم فيه من مرح وصفاء . وإذا بهم توقفوا فجأة عن المسير والتفتوا إليه قائلين : « أيتها السيد لقد حانت صلاة العصر » ومن غير أن ينتظروا جواباً نزلوا عن خيولهم ، ووقفوا صفوا واحداً . وهما ترك الكلام للكونت نفسه حيث يقول : فابتعدت عنهم ووددت لو أن الأرض انشقت وابتلعتنى . ورأيتهم يبرأونهم البيضاء ينحنون ويسجدون بحركات منتظمة . وسمعتهم يقولون بصوت عال « الله أكبر » فاستولى على اضطراب لا يوصف : مزيج من الخجل والغضب .

شعرت فى تلك اللحظة أن هؤلاء الاعراب الوجيهين كانوا على يقين بأنهم أشرف منى نفساً ، وأكبر همة ، وكنت على وشك أن أصبح فى وجوههم اننى أيضاً أعتقد بالله ، وأعرف أن أسجد بين يديه .

وما كان أبعد منظر هؤلاء الرجال بأحرمتهم الصوفية البيضاء وجيادهم على مقربة منهم ، وأعنتها ملقاة على الأرض ، وقد ضربت عليها السكينة بجناحها كأنها تولاهم الخشوع من رهبة الصلاة وخشية الله ... وكان منظرى فى وسط هذه الصحراء المترامية الاطراف وحيداً فى نوعه بردائى الحربى الضيق البعيد عن مظاهر الحشمة والوقار . ولكنى كنت أحس بألم لموقفى هذا المحفوف بالشك . والذى جعلنى أشعر كأنى حيوان أو كلب بازاء هؤلاء الرجال الذين يوجهون إلى الله آيات اعتقادهم به اعتقاداً صحيحاً عميقاً .

وعندما عدت إلى البرج الذى كنت أقيم فيه اجتمعت فى استجماع أفكارى وتحديد شعورى ، وشعرت بميل متزايد إلى محاسن الاسلام ، وخيل إلى وأنا بين أهل هذه البادية أنى أرى بعينى لأول مرة فى حياتى رجالاً يعبدون الله . فتذكرت حينذاك معابد المسيحيين حيث يراها الانسان خاوية ليس فيها إلا بعض النساء اللاتي يقمن بفروض الصلاة ، وتملكنى الغضب من جحود رجال الغرب .

كانت هذه الحادثة وهذه التأملات كما يقول المؤلف سبباً في إقباله على دراسة الاسلام وتأليف الكتاب الذى نحن بصدد «كتاب الاسلام» وقد أودعه نتيجة أبحاثه عن صاحب الشريعة الاسلامية صلوات الله عليه وسلم والعوامل التى أدت إلى أنتشار الدين الخفيف (١).

أرأيت أن جلال الله إذا حضر القلوب أضاعها بنوره فترى أن ليس فوق أمر الله أمر وليس قبل حقه حق ، ولذلك لى العرب الذين كانوا مع الكونت هنرى دى كاسترى وهو رئيسهم نداء ربهم وقاموا بين يديه لما حانت صلاة العصر خاشعين لله لا يرون سلطاناً غير سلطانه . خافوا ربهم نخشيتهم رئيسهم ، وعظموا خالقهم فرهبهم مستعمرهم . وقد ورد فى القول المأثور : « من أطاع الله أطاعه كل شيء ، ومن خاف الله خاف منه كل شيء » ، ومن لم يخش الله أخافه الله من كل شيء . قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنَكُمْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (٢).

وقد ورد فى القول المأثور عن الله تعالى : « لا تدخلوا بيوتا من بيوت (المساجد وغيرها) إلا بقلوب سليمة ، وألسن صادقة ، وأيد نقية ، وفروج طاهرة . ولا تدخلوا بيوتا من بيوت ولاحد من عبادى عند أحد منكم ظلامه ، فأى العبيد ما دام قائماً بين يدي يصلى فاقبلى صلاته حتى يرد تلك الظلامه إلى أهلها ، فإذا فعل فأكون سمعه الذى يسمع به ، وأكون بصره الذى يبصر به ، ويكون من أوليائى وأصفيائى ، ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة ».

وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن آية إيمانهم اتباع ما جاء به القرآن الكريم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة . وإن الصلاة هى عماد هذه الأمور وقوامها ، لأنها تطيع الأفراد بطابع خاص ، وتروض نفوسهم على الطاعة لما أمروا به وبذلك يتشاكلون ويتشابهون ، ويجتمعون على أمر

(١) كتاب الاسلام تأليف الكونت هنرى دى كاسترى . راجع المجلد الأول من مجلة الشبان المسلمين ص ١٦٢ وما بعدها .
(٢) سورة الاسراء .

واحد جامع لشملمهم وهي طاعة ربهم فيفوزون برحمته ورضوانه .
قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٩ ﴾

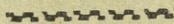
كيف كان يصلي النبي ﷺ

(هديه ﷺ في الصلاة) إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيئاً قبلها ولا يلفظ بالنية البتة ولا قال أصلى لله صلاة كذا أو غيرها ولا قال أداء ولا قضاء ولا فرض أو سنة . وكان دأبه في إحرامه لقطة الله أكبر لا غيرها ويرفع يديه معها ممدودة الأصابع مستقبلاً بها القبلة إلى فروع أذنيه ولم يختلف عنه في محل هذا الرفع ثم يضع اليمنى على ظهر اليسرى وكان يستفتح تارة بالهمم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد ، اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . وتارة يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . اللهم انت الملك لا إله إلا أنت انت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعتزنت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً انه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئ الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت . لبيك وسعديك والخير كله بيدك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت ربنا وتعاليت استغفرك وأتوب إليك . وتارة يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفت فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم . وتارة يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن الحديث . وتارة يقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيراً الحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً . اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفسه

وتارة يقول الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشر مرات ثم يحمد عشراً ثم يهال
عشرأ ثم يستغفر عشرأ ثم يقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني عشرأ ثم يقول اللهم
إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشرأ كل هذا صح عنه وكان أفضل الكلام
بعد القرآن سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ومن ذلك ان الثناء أفضل
من الدعاء لهذا كانت سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن لأنها أخلصت لوصف
الرحمن تبارك وتعالى والثناء عليه . وكان يقول بعد ذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ثم يقرأ الفاتحة وكان يحجر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما يحجر بها .
وكانت قراءته مدأ يقف عند كل آية ويمد بها صوته فإذا فرغ من قراءة الفاتحة قال
آمين فان كان يحجر بالقراءة رفع بها صوته وقالها من خلفه . وكان له سككات سكتة
التكبير والقراءة وقبل الركوع ولم يكن يصل القراءة بالركوع بخلاف السكتة الأولى
فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح والثانية قد قيل انها لأجل قراءة المأموم فعلى هذا
ينبغي تطويلها بقدر قراءة الفاتحة وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط . وكان يعجبه إذا
فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه فإذا فرغ من الفاتحة أخذ في سورة
غيرها وكان يطيلها تارة ويخفيها لعارض من سفر أو غيره ويتوسط فيها غالباً . وكان
يقرأ في الفجر بنحو ستين آية إلى مائة آية وصلها بسورة وصلها بالروم وصلها
بإذا الشمس كورت وصلها بإذا زلزلت في الركعتين وصلها بالمعوذتين وكان في السفر
وصلها فافتتح بسورة المؤمنين حتى بلغ ذكر موسى وهارون في الركعة الأولى
أخذته سعة فرجع . وكان يصلها يوم الجمعة بألم تنزيل السجدة وسورة هل أتى
على الإنسان كاملتين لما اشتملنا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول
الجنة والنار وكان يقرأ في المجامع العظام كالأعياد والجمعة سورة ق واقتربت وسبح
والغاشية . أما الظهر فكان يطيل قراءتها أحياناً حتى قال أبو سعيد كانت صلاة الظهر
تقام فيذهب الذهاب إلى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ويدرك النبي ﷺ
في الركعة الأولى مما يطيلها وكان يقرأ فيها تارة بقدر ألم تنزيل وتارة بسبح اسم ربك
الأعلى والليل إذا يغشى وتارة بالسما ذات البروج والسماء والطارق . أما العصر
فعلى النصف من قراءة صلاة الظهر إذا طال وبقدها إذا قصرت . أما المغرب
فصلاها مرة بالاعراف فرقها في الركعتين ومرة بالطور ومرة بالمرسلات قال أبو عمر

ابن عبد البر روى عن النبي ﷺ انه قرأ في المغرب بالمص وان قرأ فيها بالصافات
وانه قرأ بحم الدخان وان قرأ فيها بسم اسم ربك الأعلى وان قرأ فيها بالتين والزيتون
وانه قرأ فيها بالمعوذتين وان قرأ فيها بالمرسلات وان كان يقرأ فيها بقصار المفصل
وهي كلها آثار صحاح مشهورة . أما العشاء الآخرة فقرأ فيها النبي ﷺ بالتين والزيتون
ووقت المعاذ فيها بالشمس وضحاها وسمي اسم ربك الأعلى والليل إذا يغشى ونحوها
وانكر عليه قراءته فيها بالبقرة . أما الجمعة فكان يقرأ فيها بسورة الجمعة والمنافقين
كاملتين وسورة سميع والغاشية . أما قراءة الأعياد فتارة سورة ق واقتربت كاملتين
وتارة سورة سميع والغاشية وكان يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات فالقراءة
بالصافات من التخفيف الذي كان يأمر به وكان لا يعين سورة في الصلاة بعينها لا يقرأ
إلا بها إلا في الجمعة والعيدين وكان يؤم الناس بالسورة الصغيرة والكبيرة وكان يقرأ
السورة كاملة أو في الركعتين وكان يطيل الركعة الأولى على الثانية من صلاة الصبح
ومن كل صلاة ، والصبح أطول لأن الفجر مشهود له لأن الناس لم يأخذوا بعد
في استقبال المعاش وأسباب الدنيا . وكان إذا فرغ من القراءة سكت بقدر ما يتراد
إليه نفسه ثم رفع يديه وكبر راعياً ووضع كفيه على ركبتيه كالقباض عليهما ووتر
يديه فتحاهما عن جنبتيه وبسط ظهره ومدّه واعتدل ولم ينصب رأسه ولم يخفضه بل
يجعله حيال ظهره معادلاً له . وكان يقول سبحان ربّي العظيم أو مقتصراً على سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي . وكان ركوعه المعتاد مقدار عشر تسبيحات وسجوده
وكانت صلاته معتدلة فكان إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود وإذا خفف القيام
خفف الركوع والسجود وكان يقول أيضاً في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح
وكان يطيل الركن بقدر الركوع والسجود وصح عنه أنه يقول سمع الله لمن حمده
اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء
والمجد أحق ما قال العبد وكلنا عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع
ذا الجدة منك الجدة . وكان يكبر ويخر ساجداً ولا يرفع يديه وكان ﷺ يضع ركبتيه
قبل يديه ثم يديه بعدهما ثم جبهته وأنفه وكان يسجد على جبهته وأنفه دون كور العامة
وكان رسول الله ﷺ يسجد على الأرض كثيراً وعلى الماء والطين وعلى الخرة
المتخذة من خوص النخيل وعلى الحصير المتخذ منه وعلى القروة المدبوغة وكان

إذا سجد مكن جبهته وأنفه من الأرض ونحى يديه عن جنبيه وجافى بهما حتى يرى
بياض إبطيه ولو شامت بهمة (الشاة الصغيرة) أن تمر تحتها لمرت وكان يضع يديه
حذو منكبيه وأذنيه وكان يقول سبحان ربى الأعلى وأمر به وكان يقول سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى وكان يقول سبعون قدوس رب الملائكة والروح .
وكان يقول اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاك من عقوبتك وأعوذ بك
منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما ائثبت على نفسك . وكان يكثر فى سجوده من
النوعين دعاء الطالب والمثنى وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد سجد لله سجدة إلا رفع الله
له بها درجة وحط عنه بها خطيئة لأن الساجد يكون فيها أذل ما يكون لربه واخضع
له وذلك أشرف حالات العبد . وكان قيامه وركوعه وسجوده واعتداله قريبا من
السواء . وكان يرفع رأسه مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ثم يجلس
مفترا يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى وكان يضع يديه على فخذه
ويجعل مرفقه على فخذه وطرف يده على ركبته وقبض ثنتين من أصابعه وحلق حلقة
ثم رفع إصبعه يدعو بها ويحركها . وكان هديه فى إطالة هذا الركن بقدر السجود ثم كان
ينتهز على صدور قدميه وركبتيه معتمدا على فخذه . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الثانية
كالأولى سواء إلا فى أربعة أشياء السكوت والاستفتاح وتكبيرة الاحرام وتطويلها
كالأولى ، وإذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى واليمنى على
الفخذ الأيمن وأشار بأصبعه السبابة وكان لا ينصبها نصبا ولا ينيمها بل يحنيها
شيئا ويحركها .



الصلاة

وأثرها في حياة الجماعة

— ٢ —

التربية العملية لتحقيق مبدأ الإخاء والمساواة بين الأفراد والطبقات
البر بالضعفاء - عمل الخير والبر بين الناس

الصلاة من أكبر الوسائل لترويض النفس على كبح جماح شهواتها إذا ما أداها
الإنسان على وجهها المطلوب ، لأنها العلاقة المستمرة المتكررة في اليوم والليلة خمس
مرات بين العبد والرب يعترف فيها الإنسان بربوبية خالقه ويستمد منه العون والهداية
إلى الطريق المستقيم . وإذا كان كل مسلم يؤدي فرائض الصلاة حسب ما شرعها الله
وأداها رسوله فهي بلا نزاع تجعل المسلمين على قدم المساواة في فقرهم إلى الله وطلبهم
رضوانه ، وذلك بانتهاجهم سبيله التي أقرها القرآن المجيد وبينها رسوله الكريم .

الصلاة هي عماد الدين وقوامه ، وداعيته ومنهاجه ، يتساوى فيها الفقير والغني
والأمير والحقير ، قضت على الأرستقراطية فهنتها ، وحرمت البلشفية من معوتتها
وذلك بأن جعلت في أموال الموسرين حقاً للسائل والمحروم . وأمرتهم بالانفاق سرّاً
وعلانية حتى يفوزوا برضوان ربهم . قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ والَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يَوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ والَّذِينَ صَبَرُوا
ابْتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ
بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ سورة الرعد .

بمثل هذه التعاليم السامية ، والأوامر الإلهية العادلة الرحيمة قضى على أسباب
الشقاق بين الإنسان وأخيه الإنسان . وهل هناك صلة أقوى من صلة الرحمة
والإحسان التي يدعو إليها القرآن والتي تذكره بها الصلوات الخمس !!

إذا ما اتبع المسلمون أوامر دينهم وأقاموا الصلوات حسب ما أمروا آمنوا

عادية حرب الطبقات ، وطغيان الاشتراكية الذى إذا ما ساد أمره فانه يهدم دولة الأغنياء من أساسها ، وإذا قلنا دولة الأغنياء قلنا النظام الحاضر .

قال المستر بنيامين : « ليس علينا إلا أن نلقى نظرة على ما يدور حولنا لنشاهد أن تنازع الانسان مع أمثاله هو خلق مسيطر عليه ، ويتجلى هذا الخلق فى جميع أجزاء الجسم الاجتماعى . فلو بحثنا عن علل أعمالنا اليومية وعن علل الأعمال المحدقة بنا لاعترفنا بأنهم أكثريتنا هو العلم بكيفية الدفاع عن النفس فى المجتمع ولم يكن التنازع واقعاً بين الطبقات وحدها بل يتناول أفراد الطبقات أيضاً والتنازع الواقع بين هؤلاء الأفراد هو الأشد كما فى الطبيعة . فمع اجتماع كلمة الاشتراكيين فى بعض الأحيان على غرض واحد أى تخريب المجتمع الحاضر فانهم لا يكادون يتفقون حتى يقع اختلاف شديد بينهم . ان التنازع الواقع اليوم هو أشد منه فى الماضى ، وذلك لأسباب مختلفة ، منها سعيها وراء تحقيق لا تعترف به الطبيعة من أوهام العدل والمساواة . فهذه الألفاظ الباطلة توقع فى الانسان ضرراً أشد من جميع الاضرار الأخرى التى حكم القدر عليه بمعاناتها . »

وقال الدكتور جستاف لوبون : « ان تنازع الطبقات الذى قضت به سنن الطبيعة الصارمة سيشهد بتأثير أطوار الحضارة الحديثة ، وتأثير عدم اطلاع البعض من هذه الطبقات على أمور البعض الآخر ، وباختلاف مصالحها المتزايدة ولا سيما باختلاف أفسكارها . حقاً ان هذا التنازع سيصبح أشد مما كان عليه فى الماضى ، فقد أزفت الساعة التى سيلاقى البناء الاجتماعى فيها مالا عهد له به من الصدمات . »

ولا يهدد البرابرة (أى الاشتراكيون) الممولين وحدهم ، بل يهددون أيضاً الحضارة التى يعتبرونها حامية لما لا فائدة فيه عندهم من نفائس وكاليات .

فلم يصب زعمائهم اللعنات على شيء أكثر مما يصبونها على الحضارة ، ولا توجد أمة هدد العدو ديارها وألتهنها بالفاظ تعادل هذه اللعنات . فأعدل الاشتراكيين يطلبون تجريد الطبقات الموسرة من أموالها ، وأشدّهم حماسة يودون إبادة هذه الطبقات إبادة تامة . وإليك ما قاله أحدهم فى أحد المؤتمرات حسب رواية المسيو

يؤايله : « ان جلود الممولين الاراذل صالحة لصنع القفافين (١) » .

أحاط الاسلام المجتمع بسياج حصين من التعليمات والأوامر فقرر هدم الفوارق الارستقراطية وآخى بين المسلمين جميعاً وجعلهم لافضل لاحد على الآخر إلا بالتقوى أى بصالح الأعمال وأحسن الأقوال ، وهدد وتوعده بسوء العذاب من حاد عن سنن الله وتنكب طريقه وأعرض عن أوامره . انظر إلى قوله تعالى فى المجرمين : ﴿ ما سلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصائب ه ولم نك نطعمهم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين ه وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين ﴾ سورة المدثر .

فالمسلم أخو المسلم يجب أن يواصيه بماله وجهه وعلمه وقوته . وقد جعل الله سبحانه وتعالى صلاة الجماعة خيراً من صلاة الفرد حتى يتعارف المسلمون ويتشاوروا على ما فيه مصلحتهم وجعل صلاة الجماعة فرضاً على كل مسلم فى كل أسبوع مرة وذلك فى صلاة الجمعة (فى منتصف النهار) فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فابعثوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله . واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » (٢) كما سنهنا ﷺ فى صلاة عيد الفطر وعيد الأضحي .

قال عمر رضى الله عنه : صلاة الجمعة ركعتان وصلاة الفطر ركعتان وصلاة الأضحي ركعتان وصلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد ﷺ رواه النسائي وأحمد وابن ماجه .

قال الكاتب البليغ الأستاذ مصطفى صادق الرافعى : وما الاسلام فى جملة إلا هذا المبدأ : مبدأ إنكار الذات و (إسلامها) طائفة على المنشط والمكره لفروضها وواجباتها ، وكلما نكصت إلى منزعه الحيوانى أسلمها صاحبها إلى وازعها الإلهى . وهو أبداً يروضها على هذه الحركة ما دام حياً فينتزعها كل يوم من أوهام دنياها ليضعها ما بين يدي حقيقتها الإلهية . ويروضها على ذلك كل يوم وليلة خمس مرات

(١) روح الاشتراكية تأليف الدكتور غستاف لوبون تعريب الأستاذ زعير ص ٢٢٤ و ٢٢٧ .

(٢) سورة الجمعة .

مساواة في اللغة خمس صلوات لا يكون الإسلام إسلاما بغيرها ، فلا غرو أن كانت الصلاة بهذا المعنى كما وصفها النبي ﷺ : هي عماد الإسلام بين ساعات وساعات في كل مطلع شمس من حياة المسلم صلاة . أي إسلام للنفس إلى الإرادة الاجتماعية الشاملة القائمة على الطاعة للفرض الإلهي . وإنكار لمعانها الذاتية الفانية التي هي مادة البشر في الأرض وإقرارها لحظات في حيز الخير المحض البعيد عن الدنيا وشهواتها وآثامها ومنكراتها . ومعنى ذلك كله تحقيق المسلم لوجود روحه . إذ كانت أعمال الدنيا في جملة طرقا تششت فيها الأرواح وتتبعثر حتى تضل روح الأخ عن روح أخيه فتسكرها ولا تعرفها .

وهذا الوجود الروحي مبعث الحالة العقلية التي جاء الإسلام ليهدى الانسانية اليها . حالة السلام الروحاني الذي يجعل حرب الدنيا المملوكة حربا في خارج النفس لا في داخلها . ويجعل ثروة الإنسان مقدرة بما يعامل الله والانسانية عليه . فلا يكون ذهابه وفضته ما كتب عليه الدول « ضرب في مملكة كذا » ولكن ما يراه هو قد كتب عليه « صنع في مملكة نفسى » ومن ثم لا يكون وجوده الاجتماعي للأخذ وحسب ، بل للعطاء أيضاً . فان قانون المال هو الجمع ، وأما قانون العمل فهو البذل (١) .

ان تعاليم القرآن وفرضه الصلاة على كل مسلم بالغ عاقل كان له أكبر أثر في هدم الفوارق الاجتماعية وجمع القلوب على الهدى بعد أن كانت مبعثرة في طرق الضلال وما أكثرها . وحد الصفوف . ولم الشمل . فاذا ما اجتمع المصلون في صعيد واحد لعبادة الله لا يكون هناك تمييز بين الأغنياء والفقراء والعلماء وغيرهم بل يختلط الحابل بالنابل . لأنهم كلهم على ما بينهم من تفاوت في الثروة والعلم فقراء إلى الله تعالى يستمدون منه العون ويسألونه الهداية يتساوى في ذلك امرؤهم وصعاليكهم . صغارهم وكبارهم . عجمهم وعربهم . أسودهم وأبيضهم وأحرهم وأصفرهم . ولا يتقربون إلى الله بأموالهم وأولادهم وضياعهم وحواشيهم . وإنما

(١) مقال تحت عنوان « نبي الاسلام المثل الأعلى للانسانية » بقلم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي . جريدة الاهرام ٥ يولية سنة ١٩٣٣

بالعمل الرشيد والقول السديد وطاعة الله فيما يريد .

قال المستر هراس ليف الكاتب الانكليزي في مقال نشرته المجلة الاسلامية الانكليزية : ما كان شيء في العالم ليقنعني بأن اى دين من الأديان يدعو إلى المساواة بين الناس . ولو أن بعضها يتظاهر بهذه الدعوى . فقد زرت كثيراً من الكنائس والمعابد مرات فرأيت التفريق بين الطبقات داخل المعابد كما هو موجود خارجها . وكان اعتقادي بالطبع أن الأمر لا بد كذلك داخل المساجد الاسلامية . ولكن ما كان أشد دهشتي حيناً رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين في عيد الفطر في مسجد ووكنج (بلندرة) .

هنالك وجدت أجناساً مختلفين على اختلافهم في المراتب اختلاطاً لك أن تسميه بحق أخوياً . ولم أكن شاهدت مثل ذلك . ترى في المسجد نوبياً من بلاد بمباسة يصافح عظيم من رجال الأعمال المصريين . أو سياسياً من بلاد العرب . وقد ارتفعت الكلفة من بين الجميع فلا يأنف أحدهم مهما عظم قدره من أن يجاوره في الصلاة أقل الناس شأناً منه . وانك لا تجد أقل محاولة لتخطي الصفوف إلى مكان يمتاز بالمسجد لأنه ليس هناك أى مكان يمتاز . فالكل عند الله سواء لا فضل لأحد على أحد .

وانك حين تتحدث إلى قوم مختلفي الأجناس تجد من الود الخالص والثقة التامة ما تعجب له كما أنك واحد منهم . فيدفعك ذلك إلى الاعتقاد بأن الدين يمكن أن يكون وسيلة لازالة جميع الموانع التي تفرق بين الانسان وأخيه الانسان .

وعند ما صرح لى إمام المسجد بأن المسلمين يعتقدون برسالة جميع الأنبياء ويؤمنون بما أنزل إليهم ، كدت لا أصدق أذنى . وكان هذا جديداً استفدته عن الإسلام . ولذلك لم أعد أشك في أن هذا الدين يصلح لأن يكون ديناً عاماً .

نرى أثر المساواة بارزاً في حياة المسلمين كلها كانوا متمسكين بتعاليم دينهم ، حريصين على أداء أوامره . وكلما صعدت بتاريخ الإسلام إلى صدره الاول رأيت العدل والمساواة والاخاء يكاد يكون على أتمه مما لم يحدث به التاريخ في أى أمة من الامم .

كان الخلفاء الراشدون لا يأخذون من أموال الامة أكثر مما يتقوتون به ، فإذا رأوا أن نصيبهم فوق حاجتهم ردوا الزيادة . وعاشوا عيشة الرجل العادى من الامة بل الرجل الزاهد فى اموال المسلمين ، العامل على اسعادهم وراحتهم ، غير ناظر إلى أجر ، أو متطلع إلى شكر ، أو مترقب لصيت ونخر .

كان الانسان لا يفرق بين الحكام والمحكومين فى مظاهر الحياة ، بل كان فى بعض الطبقات المتوسطة والموسرة من هم أحسن حالا من حكاهم . وذلك لشدة ورعهم ومراقبة خلفائهم .

روى الطبرى قال : كتب عمر بن الخطاب إلى العمال (الولاة) : « اجعلوا الناس عندكم فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، إياكم والرشا (الرشوة) والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب . فقوموا بالحق ولو ساعة من النهار .

وجاء فى كبنز العمال عن عاصم بن أبى النجود أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم : أن لا تركبوا برذونا ، ولا تأكلوا نقياً ، ولا تلبسوا رقيقاً ، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، وإن فعلتم شيئاً من ذلك حلت بكم العقوبة .

كان أبو عبيدة بن الجراح عامله على الشام يظهر للناس وعليه الصوف الجافى فعزل فى ذلك . فقال : ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله ﷺ .

وكان عامل عمر بن الخطاب على حمص سعيد بن حذيم ، فشكاه أهل حمص إلى عمر وسأله عزله . وكان عمر يعتقد أنهم ظالمون له ، فقال : اللهم لا تقل فراستى فيهم . وجمع بينهم وبينه ، فقال : ما تتممون منه .

قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار .

فقال : ما تقول يا سعيد ؟

فقال : يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلى خادم فاعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى . ثم أتوضأ وأخرج إليهم . قال : وماذا تتممون منه ؟

قالوا : لا يجيب بليل .

قال سعيد : قد كنت أكره أن أذكر هذا . انى جعلت الليل كله لربى .
وجعلت النهار لهم .

قال عمر : ماذا تنقمون منه ؟

قالوا : يوم فى الشهر لا يخرج الينا .

قال سعيد : نعم ليس لى خادم فاعسل ثوبى ثم أجففه فامسى .

فقال عمر : الحمد لله لم يقل فراستى فيكم يا أهل حص فاستوصوا بوالىكم خيراً .
وبعث اليه بالف دينار (ما يقرب من خمسمائة جنيهه) يستعين بها فابق منها يسيراً
وفرق سائرهما فى اليتامى والفقراء والمساكين . ولم يغير من عادته .

وكان عمر إذا بلغه عن عامل من عماله ريبة فى معصية لم يمهله أن يعزله لأن
استصلاح الرعية بضرره بالعزل خير من الابقاء عليه مع ضرر الرعية .

لسنا فى مقام سرد الحوادث ، على أن تعاليم الدين أثمرت وأينعت ، وأبدلت
القلوب ليناً ورحمة ، وبذرت فى النفوس حناناً وحكمة ، وجعلت من بداوة الاعراب
فى الصحراء هداة ومثلاً علياً لتاريخ البشرية جمعاء .

انظر إلى محاكمة سعيد مدير حص وحاكمها كيف حاله مع محكوميه ؟ وكيف
جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو من أكبر من أنجههم التاريخ للحكم
الديمقراطى العادل ، وذلك بفضل تعاليم الاسلام وسمو مبادئه وقوة أصوله وقواعده ،
ألم يكن هؤلاء هم المتقين الذين حققوا ما وصفهم به القرآن الكريم فى قوله تعالى :
(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، آخِذِينَ ما آتاهم ربهم إِنْهُمْ كانوا قَبْلَ ذلك
مُحْسِنِينَ ، كانوا قَلِيلاً مِنَ الْأَنْبِياءِ ما يَهْتَجِعُونَ ، وبالأَسْحارِ هم يَسْتَغْفِرُونَ ، وفى
أَمْوالِهِمْ حقٌّ لِلنَّسائِلِ وَالْمَحْرُومِ) ، سورة الذاريات .

وهل فى مثل هذه التعاليم الجليلة ومع هذه النفوس الرحيمة تجد حرب الطبقات
مسرحة لتشعل فيها . أو تجد البليشفية مكاناً تفرس فيه بذرها . أو تلقى فيه الفوضوية
بيئة تصالح لتنفيذ برنامجها . ؟ ! ؟

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : قال داود فى مناجاته إلهى

من يسكن بيتك ومن تتقبل صلاته ؟

فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل صلاة من تواضع لعظمتي . وقطع نهاره بذكرى . وكف نفسه عن الشهوات من أجل . يطعم الجائع . ويؤوى الغريب ويرحم المصاب . فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس . ان دعائي لبيته . وان سألتني أعطيته . أجعل له في الجهل علما . وفي الغفلة ذكرا . وفي الظلمات نورا . وإنما مثله في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان . لا تيبس أنهارها . ولا تتغير ثمارها .

إذا كانت الصلاة صلة بين العبد وربّه . صلة الحب والطاعة والاذعان . فهي أيضاً صلة بين الانسان وأخيه الانسان صلة البر والعطف والحنان .

وما ذكرت الصلاة الا وذكرت معها الزكاة أو الانفاق على الفقراء والتصدق على المساكين حتى تتألف القلوب وتتعاون على ما فيه الخير . والصلاة هي عماد الأمر كله في الدعوة إلى الخير والبر .

عن معاذ رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً . وتقيم الصلاة . وتؤتي الزكاة . وتصوم رمضان . وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير . الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار . وصلاة الرجل في جوف الليل . ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون . ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله . قال رأس الأمر الاسلام . وعموده الصلاة . وذروة سنامه الجهاد . ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا . فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟! فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم — أو على مناخرهم — الا حصائد ألسنتهم ^(١) .

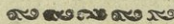
والم تأمل في هذا الحديث يراه جامعاً لأصول البر شاملاً لضروب الخير . آخذاً

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح . كتاب الأذكار للإمام النووي ص ١٩٤

بالنفس الانسانية الى أشرف غاية من السمو على المادة والاشتغال بالنافع والمفيد .
ومراقبة ما يصدر من الوجدان عن طريق اللسان حتى يكون الخير عادة للانسان قولا
وفعلا . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا
أو ليصمت (يسكت) ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه^(١) .

اسداء الخير قولا وفعلًا لبني الانسان هو من أكبر مقاصد الاسلام كما أنه من
أهم الوسائل الى القرب من الله تعالى ، وسعادة الانسان في الدنيا والآخرة . وقد
أبان الله عز وجل عن هذه الغاية السامية ووسايلها الشريفة في القرآن الكريم بأوضح
صورة وأجلى بيان في الكثير من آياته . قال تعالى :

(وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمُ
الْأَرْضَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) سورة الحج .



الصلاة

وأثرها في حياة الجماعة

— ٣ —

المحافظة على الصلوات

ان تعاليم الاسلام حريصة الحرص كله على اصلاح النفوس ، وقد وضعت من القواعد والمبادئ ما يثير لها الطريق واضحا وما يسهل عليها أداء مهمتها في الحياة . وقد عني الاسلام بالصلاة وجعلها عماد الدين . وهي من القرائض التي لا يجوز تركها بحال من الاحوال ما دام الانسان في وعيه وبالع رشده . لانها صلة الانسان بربه فالصلاة واجبة في الحضر وواجبة في السفر مع تقليل ركعاتها (اثنتين) وجواز جمعها . وواجبة في القتال وفي حالة الخوف والمرض لانها سياج النفس من الوسوس والهموم . وباعثها الى العمل الصالح واعتمادها على خالقها . والمحافظة على الصلوات آية الايمان الكبرى وقد جعل الشرع الصلاة والزكاة شرطا لصحة الاسلام وأخوة الدين وما له من الحقوق . قال تعالى في أوائل سورة التوبة في الكلام على المشركين المعتدين ﴿ ٩ : ١١١ ﴾ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » والاحاديث في منطوق الآية ومفهومها كثيرة منها حديث ابن عمر عند أحمد والبخاري ومسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويسيروا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل » والمراد بالناس هنا المشركون أهل الأوثان ، لا أهل الكتاب الذين تقبل منهم الجزية ومن في حكمهم كالنجوس ، ذلك أنهم كانوا يقاومون دعوة الاسلام أكثر مما يقاومها سواهم وكان استقرار الدين من غير دخول مشركي جزيرة العرب في الاسلام ضربا من المحال والكلام هنا في مكانة الصلاة من الاسلام لا في الدعوة وحمايتها . وروى أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » . وروى أحمد وأصحاب السنن

الأربعة وابن حبان والحاكم من حديث بريدة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « العهد الذي بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

وروى أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة . ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » وفي الأثر ما يشعر بأن الصحابة كانوا متفقين على ذلك فقد روى الترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة قال تعالى ﴿ فان خفتهم فرجلأ أو ركبانا ﴾ قال الأستاذ الامام هذا تأكيد للمحافظة وبيان أن الصلاة لا تسقط بحال لان حال الخوف على النفس أو العرض أو المال هو مظنة العذر في الترك . كما يكون السفر عذراً في ترك الصيام وكالعذر الكثير لترك صلاة الجمعة واستبدال صلاة الظهر بها والسبب في عدم سقوط الصلاة عن المكلف بحال أنها عمل قلبي . وإنما فرضت فيها تلك الأعمال الظاهرة لانها مساعدة على العمل القلبي المقصود بالذات وهو تذكر سلطان الله تعالى المستولى علينا وعلى العالم كله . . . وإذا تعذر عليك الايمان ببعض تلك الأعمال البدنية فإن ذلك لا يسقط عنك هذه العبادة القلبية التي هي روح الصلاة وغيرها وهي الاقبال على الله تعالى واستحضار سلطانه مع الاشارة إلى تلك الأعمال بقدر الامكان الذي لا يمنع من مدافعة الخوف الطارئ من سبع مفترس أو عدو مغتال أو لص محتال . وكيف يسقط طلب الصلاة القلبية في حال الخوف وهو يساعد على الخروج منه أو تخفيف دفعه . فالآية تعلمنا أنه يجب أن لا يذهلنا عن الله تعالى شيء من الاشياء ولا يشغلنا شاغل ولا خوف في حال من الاحوال فان كان الوقت وقت صلاة صلى المكلف راجلاً أو راكباً . لا يمتعه من صلاته السكر والفر ولا القفز أو الضرب . ويأتى من أقوال الصلاة بما يأتى مع الحضور والذكر . ويؤم بالركوع والسجود بقدر الاستطاعة ولا يلتزم التوجه إلى القبلة ^(١) وليراجع كتب

(١) تفسير المنار الجزء الثاني .

الفقه في كيفية الصلاة في الاحوال المختلفة والظروف المتباينة .

حدث الاستاذ عبد الله كوليم الانجليزى المسلم أنه حينما كان مسافراً على ظهر باخرة إلى طنجة في بلاد المغرب وكان معه في السفينة جماعة من أهل الغرب وإذا بعاصفة قد هبت وماجت السفينة بركابها وأشرفت على الغرق وأخذ الركاب يتأهبون ويحزمون أمتعتهم وقد اضطربوا ونزل بهم الهول فلا يدرون ماذا يصنعون ، وإذا به يرى جماعة من لابسى البرانس البيضاء يصطفون ويصلون فهاله هذا المنظر وأخذه العجب من عملهم فسأل أحدهم : من أى الاديان أنت ؟ فأجاب : أنا مسلم . فسأل ألم يهلككم اشراف السفينة على الغرق ؟ قال لا . قال وماذا تصنعون ؟ قال كنا نصلى لله الذى بيده أزمة الامور ان شاء أحيا وإن شاء أمات . وكان هذا الحادث سبباً في محبة عن الدين الاسلامى وهدايته للاسلام . وكان من أنصار الدعوة الإسلامية في إنجلترا . وقد أسلم على يديه الكثير من الانكليز وغيرهم .

كانت اقامة الصلاة في الصدر الاول من أعمال الخليفة يقيمها بنفسه أو بواسطة نائبه . وكان في كل مصر مسجد جامع تؤدى فيه الجمعة ولا ينصب منبر في غيره . فلم تكن تقام إلا الجمعة واحدة في المصر يقيمها الخليفة ان كان أو الوالى . ولم يبلغنا أنه تعددت في البلد المساجد في عهد الخلفاء الراشدين . (١) .

يروى عن حاتم الاصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته . فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورأى ، وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخشع ، وأقعد على الورك الايسر ، وأفرش ظهر قدمها ، وأنصب القدم اليمنى على الابهام ، وأتبعها الاخلاص ، ثم لا أدري أقبلت منى أم لا .

وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه .

(١) تاريخ الاسلام . الخلفاء الراشدون .

(٢) تاريخ الاسلام : الخلفاء الراشدون للاستاذ عبد الوهاب النجار .

وكانت صلاة الجماعة من أول الواجبات فتنصّ بهم المساجد . وكان الفرد لا يتخلف عن صلاة الجماعة إلا لعذر قاهر ، روى الامام البخارى أنه واطب على صلاة الجماعة في المسجد أربعين عاما لم يتخلف إلا في صلاة واحدة مرة واحدة وقد عزاه في ذلك الامام ابن سيرين .

كان للصلاة أكبر الأثر في حياة الافراد والجماعات من التقوى والورع والخشوع ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وتعالى وخشوعا له . وكان الربيع بن خيثم من شدة غضبه بصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى . وكان يتخلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها . وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضبا بصره (١) .

وكان اجتماع الناس خمس مرات في المسجد للصلاة له أثر كبير في رفع مستواهم الأدبى والاخلاقى ، وضلع عظيم في تشييد صرح عظمتهم ومجدهم . فالصغير يقلد الكبير والعالم يرشد الجاهل والغنى يواسى الفقير ، والكل يسعى لمرضاة الله . وقد قيل : ان للأخلاق تأثيرا في جميع أطوار الحياة ، فأخو الفضائل يرفع من حوله ، وأخو الرذائل يحط من فضائلهم ، وينقص من أخلاقهم غير شاعر . قال بعضهم : ان فردا صالحا محبا للخير خير من مائة بل من ألف بمن لاخلاق لهم ولا غرو فان أفعاله تسرى إلى من حوله فلا تلبث أن تؤثر فيهم خيرا ولا يزال الرجل حتى يرفع معاشره إلى درجته في الفضائل . فان من طبيعة الأخلاق أن تنتقل إلى غير صاحبها خيرا كانت أو شرا حتى تتسع دائرة تأثيرها ، فهى كالخمر التى فى راكد الماء يحدث تموجات بسيطة تولد أكبر منها وتتسع حتى تعم الماء كله . وعلى هذا النحو انتشر الخير من قديم الزمان . قال رسكين : ما كان منشؤه الشر أنتج الشر وما كان منشؤه الخير علم الخير (٢) .

كان رسول الله ﷺ المثل العالى للمسلمين كافة تتخلق بخلق القرآن ، وعمل

(١) احياء العلوم للامام الغزالى . الجزء الأول .

(٢) كتاب الاخلاق لشمس سميلى . تعريب الاستاذ محمد الصادق حسين ص ٨٩

بأوامره ورغب إلى ربه وزهد فيما عداه فكان لا يقول الا حقاً ولا يعمل إلا صالحاً يرى الدينامية الآخرة لا يركبها إلا خيراً غير حافل بشهواتها ، وغير مكترث بغوايتها قوته السكفاف وعمله ديمة ، وتبعه في ذلك أصحابه فكانوا الملوك الزاهدين والعلماء الورعين ، والقادة الظافرين ، والحكام الموفقين ؛ وأضاءت لهم تعاليم الاسلام في الخافقين .

رأى بعض أصحاب رسول الله ﷺ ما يعاينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من جهد العيش وليس ذلك من قلة الأموال وقد بسط الاسلام نفوذه على ملك كسرى والروم وذهبت الدنيا وأقبلت ، وإنما كان ذلك لعفة عمر عن مال المسلمين ، فاجتمع نفر فيهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطليحة والزبير وقالوا : لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إياها في رزقه (راتبه) فقال عثمان هلم نعلم ما عنده من وراء وراء فأتوا أم المؤمنين حفصة بنت عمر وحدثوها بما اعتزموا عليه وأوصوها ألا تخبر بهم عمر فلقمته حفصة وقالت له في ذلك ، فغضب وقال : من هؤلاء لاسوءهم . قالت : لا سبيل إلى عليهم . قال : أنت بيني وبينهم . ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ من الملبس ؟

قالت : ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع .

قال : فأى الطعام ناله عندك أرفع ؟

قالت : حرقاً من شعير فصبيناً عليه وهو حار أسفل عكة فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها .

قال : فأى مبسط عندك أوطأ ؟

قالت : كساء ثخين نربعه في الصيف ، فاذا جاء الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه .

قال : يا حفصة ، فأبلغهم ان رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية . وإنما مثلي ومثل صاحبي كـثـلـة سـلـكـوا طريـقاً ، فـضـى الأول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر (يريد أبا بكر) فسلط سبيله فأفضى إليه ، ثم اتبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما ، وان سلك طريقاً غير طريقهما لم يلقيهما .

الناس على دين ملوكهم اذا عفوا عفت الرعية ، واذا استقاموا صلحت لهم الامور وذلت لهم الصعاب ، وهابتهم الناس فأطاعوهم وأجلوهم وأحاطوهم بسياج من الاحترام . وهكذا كان عمر ومن سار سيره بين المسلمين .

ما كان عمر مع ذلك يضيق على العامة أو يأخذ الرعية بمذهبه بل كان يرى أن يحملهم على الجادة الوسطى وأن يتعمموا بالطيبات ، وانما كان يأخذ عماله بمذهبه فقد كتب أبو عبيدة الى عمر كتابا يخبره فيه بأنه لا يريد الاقامة بانطاكية لطيب هوائها وخوف اخلاذ الجند الى الراحة . فكان من كتاب عمر اليه : « وأما قولك انك لم تقم بانطاكية لطيب هوائها فالثقة عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات فقال تعالى في كتابه العزيز ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ﴾ وكان يجب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم ، وتدعهم يرغدون في مطعمهم ، ويريحون الابدان النضبة . »

جاء الاسلام بالأمر الجامع لخير الدنيا والآخرة فأمر بتوحيد المعبود ، وتوحيد الجهود لنصرة الحق . وحض على التحلى بمكارم الاخلاق فكانت الرحمة هي صلة الخلق بعضهم ببعض ، فتحابوا وتآلفوا واجتمعت كلمتهم على الهدى . فكانت المساجد تجمعهم لأداء فروض الصلوات ، ويتشاورون فيها في المهمات . فاذا ما نزلت بالمسلمين نازلة في عهدهم الاول سمعت النداء : الصلاة جامعة ، الصلاة جامعة . وسرعان ما يجتمع المسلمون ليروا ما حل بهم ويتداولوا فيما بينهم .

فالصلاة لم تقتصر على صلة العبد بربه ولا كنهها شدة أواصر المعرفة ، وألفت بين القلوب ، وقاربت بين الافهام . فهي تعتبر بحق أساس الدين وعقد الاجتماع بين المسلمين .

كان صدر الاسلام وعهد الخلفاء خير عصر وخصوصاً عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكيف لا يكون خير العصور وقد اجتمع الناس إلى توحيد الله فلم يشركوا به شيئاً ، وإلى توحيد الاجتماع فلم يتفرقوا شيئاً يباذ بعضها بعضاً ، وإلى توحيد الافكار فلا يجادلون في الحق ، وإلى توحيد المقاصد فلا يتخبطهم شيطان الاهواء ، وتفرقهم عن الحق نزعات النفوس . وإلى توحيد اللغة فلا يتسكرون

وبلسان واحد يتفاهمون .

تلقى العرب الدين الاسلامي ، وما لبث أن ظهر أثره فيهم ظهوراً يبشر بمصير السيادة على الأمم الأخرى ، لما أصبحوا عليه من الاخاء بعد التنافر ، والاجتماع بعد التفرق ، والتوحيد بعد الشرك ، والتنبيه بعد الغفلة ، والايمان بعد الكفر ، والتحابب بعد التناكر . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويجاهدون في الله وينصرون دينه ويقيمون حدوده ، ويواسون الفقير ، ويؤدون الحق ، ويرغبون بالقناعة بالكفاف عما بأيدي الناس ، ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

على هذا الاساس قامت حياة المسلمين الاجتماعية . وبذلك الاخلاق وصف الله اتباع النبي محمد ﷺ في كتابه العزيز فقال تعالى فيه ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران . وقال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ وقال تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تأمر بمكارم الاخلاق .

روى القزالي في الاحياء أن تبادل الثقة والحب بين المسلمين يومئذ بلغ بهم أن كانوا خلطاء يأخذ فقيرهم من مال الآخر مصداقاً لقوله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

وبلغت بهم معرفة الحقوق والوقوف عند الحدود أن لا يتخاصم منهم اثنان أمام القضاء في حق صدر من خلافة أبي بكر . فقد روى أن عمر بن الخطاب لما استقضاه أبو بكر رضي الله عنهما بقي سنة لا يحضر عنده خصمان في دعوى ، ولا يتخاصم لديه اثنان في حق (١) .

الصلاة والمسال

نجد في كثير من الآيات القرآنية أن الصلاة وإقامتها مقرونة بالزكاة أو الحض

(١) راجع كتاب أشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظيم الجزء الأول ص ١٤٤ وما بعدها .

على بذل المال ، كما نجد أيضا ذكر الايمان مقرونا بالدعوة الى صالح الأعمال ، وذلك لربط الهيئة الاجتماعية بأواصر المحبة والعطف والاحسان ، قال عيسى عليه السلام حينما تكلم في المهد يخبر باداء ما فرضه الله تعالى عليه :

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ^(١) ﴾ وقال تعالى في وصف المؤمنين الذين كتبت لهم سعادة الدارين ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا لِإِسْتِعْآءِ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ^(٢) .

وقد ورد في القول المسأثور من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرّض تلك النعمة للزوال . وقيل الجنة دار الاسخياء . وبمثل هذه التعاليم نجد المسلم المتمسك بتعاليم دينه جوادا بنفسه في سبيل ربه ، جوادا بماله في سبيل قومه ووطنه والانسانية .

اجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو من أفقه أهل زمانه ان لم يكن أفقهم وأعلمهم وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جارصوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به . فقام عبد الله ابن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا خملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكون أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى . ففعل وفعلوا .

قال علي بن الحسين رضى الله عنهما : من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن من الاسخياء وإنما السخى من يتدىء بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ، ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقيمه بثواب الله تماما . وقيل للحسن البصرى ما السخاء : فقال ان تجود بمالك في الله عز وجل ، قيل فما الحزم : قال أن تمنع مالك فيه ، قيل فما الاسراف : قال الانفاق لحب الرئاسة . وقال جعفر الصادق

رحمة الله عليه : لا مال أعون من العقل ، ولا مصيبة أعظم من الجهل ، ولا مظاهره كالمشاورة ، ألا وإن الله عز وجل يقول : انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر ، وأهل الكفر فى النار ، والجود والكرم من الإيمان ، وأهل الإيمان فى الجنة .

قيل لسفيان بن عيينة : ما السخاء ؟ قال البر بالآخوان ، والجود بالمال . قال ورث أبى خمسين ألف درهم فبعث بها صرراً الى آخوانه وقال كنت أسأل الله تعالى لآخوانى الجنة فى صلاتى أفأبخل عليهم بالمال .

وكان الليث بن سعد وهو من أمثال أبى حنيفة ومالك ويعبد من أفقه علماء عصره وأكثرهم مالاً لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناً .

وحكى أنه أجذب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال : والله لأعلن الشيطان أبى عدوه . فعال محاربهم وواسى فقيرهم الى أن رخصت الأسعار . ثم عزل فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفضل منها الى من لم تنله صلاته (١) .

يتعذر علينا سرد الكثير من أحوال المتقين المصلين ، وآثار تقواهم وخشوعهم وأعمالهم الصالحة ، مما يزيد البرهان وضوحاً على أن أثر الصلاة فى نفوسهم روض جوارحهم بطاعة الله والبذل فى سبيل مرضاته بكل ما يملكون من نفس ونفيس ، فهم الذين صدعوا بأمر الله تعالى ، إذ قال عز وجل لنبيه :

﴿ قُلْ لِعِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ﴾ .

فلما سمعوا وأطاعوا نالوا الحسينين وسعادة الدارين .

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْسِرِينَ ﴾ (المتواضعين لعبادته) الذين إذا ذكر الله

(١) كتاب آحياء علوم الدين للإمام الغزالى الجزء الثالث .

وَجِيَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَبِمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ^(١) .

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أَمْرِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ^(٢)﴾ .

«اعتراف أجنبي بفضل الاسلام»^(٣)

جاء في كتاب العقيدة الاسلامية لمؤلفه السير توماس أرنولد بصفحة ٢٩ وما يليها بمناسبة كلامه في الصلاة ما ترجمته :

هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الامارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية ، فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس . ودونك ما قاله فيه الأسقف لوفروا قال « لا يستطيع أحد يكون خالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم فإنك حينما كنت ، سواء أوجدت في شارع مطروق أم في محطة سكة حديدية أم في حقل ، كان أكثر ما تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلاً ليس عليه أدنى مسحة للرياء ، ولا أقل شائبة من حب الظهور ، يذر عمله الذي يشغله كائناتاً ما مكان وينطلق في سكون وتواضع لأداء صلاته في وقتها المعين . ولننتقل من صلاة الفرد الى صلاة الجماعة فنقول : إنه لا يتأتى لأحد يكون قد رأى مرة في حياته ما يقرب من خمسة عشر ألف مصل في عرصة المسجد الجامع بمدينة دهلي « بالهند » يوم الجمعة الأخيرة من شهر الصيام « رمضان » وكلهم مستغرقون في صلاتهم ، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم . نقول : إنه لا يتأتى لأحد يكون رأى ذلك المشهد أن لا يباغ تأثره به أعماق قلبه ، وأن لا يلحظ بصره القوة التي

تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها . على أن توقيت الأذان اليومى للصلاة بأوقات معينة حينئذ به صوت المؤذن فى أبكر البكور قبل الإسفار ، وعند الظهيرة والناس مضطربون ومصطخبون فى أعمالهم وعند المساء ، هذا الأذان الذى يحصل فى هذه الأوقات على تلك الصورة مشحون بذلك الجلال عينه .

ومما يؤثر عن رينان (رينان حكيم فرنسى شهير) أيضاً قوله : إنه ما دخل مسجداً مرة إلا تأثر تأثراً شديداً بل شعر بشيء من الأسف أن لم يكن مسلماً . وقد كان ذلك المشهد « مشهد الصلاة » من الأسباب المساعدة على دخول رجل يهودى من أهل الاسكندرية فى الاسلام سنة ١٢٩٨ كما حكاه هو عن نفسه إذ قال : « كنت مريضاً مرضاً شديداً فتمثل لى فى أثنائه أن هانفاً يهيب بى أن أعلن الاسلام ، ولما دخلت المسجد ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفاً كالملائكة ، سمعت فى نفسى صوتاً ينادى بى بقوله : هذه هى الجماعة التى أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولما رأيت الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء أسود وقع فى نفسى وجدان الرهبة والحشية ، ولما ختم خطبته بهذه الآية ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ وأقيمت بعد ذلك الصلاة آمنت من نفسى أنها سمت سمواً كبيراً ، فقد بدت لى صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة ، وأن الله سبحانه وتعالى قد تجلى عليهم فى سجودهم وركوعهم ، وسمعت فى نفسى مناجياً يناجى بى بقوله : إن الله سبحانه إذا كان قد خاطب شعب إسرائيل مرتين فى جميع القرون الخالية ، فلا جرم أنه يخاطب هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات صلاتهم واقنعت فى نفسى بأنى خلقت لأن أكون مسلماً .

موجز عن الصلاة وتوابعها

أول وقت الظهر الزوال وآخره مصير ظل الشيء مثله سوى فى الزوال وهو أول وقت العصر وآخره ما دامت الشمس بيضاء نقية وأول وقت المغرب غروب الشمس وآخره ذهاب الشفق الأحمر وهو أول العشاء وآخره نصف الليل وأول وقت الفجر إذا انشق الفجر وآخره طلوع الشمس . ومن نام عن صلاته فوقتها حين يذكرها ومن كان معذوراً وأدرك ركعة فقد أدركها . والتوقيت واجب والجمع لعذر جائز

والمتيمة وناقص الصلاة أو الطهارة يصلون كغيرها من غير تأخير . وأوقات الكراهة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس وعند الزوال وبعد العصر حتى تغرب .

والجمع بين الصلاتين إذا كان صورياً وهو فعل الأولى في آخر وقتها والأخرى في أول وقتها . فليس بجمع في الحقيقة لأن كل صلاة مفعولة في وقتها المضمون لها وإنما هو الجمع في الصورة . ومنه جمعه صلى الله عليه وسلم في المدينة من غير مطر ولا سفر كما في الصحيح من حديث ابن عباس وغيره فإنه وقع التصريح في بعض الروايات بما يفيد ذلك بل فسره من رواه بما يفيد أنه الجمع الصوري والمراد بالجمع الجائز للعدو هو جمع المسافرين والمريض وفي المطر كما وردت بذلك الأدلة الصحيحة وقد اختلف في جواز الجمع بين الصلاتين بغير هذه الأعذار ومع عدم العذر والحق عدم جواز ذلك .

وأما كون المتيمة وناقص الصلاة كمن به مرض يمنعه عن استيفاء بعض أركانها وناقص الطهارة كمن في بعض أعضائه وضوئه ما يمنعه من غسله بالماء يصلون كغيره من غير تأخير فوجهه أنهم داخلون في الخطاب المشتمل على تعيين الأوقات وبيان أولها وآخرها ولم يأت ما يدل على أنهم خارجون عنها وأن صلاتهم لا تجزى إلا في آخر الوقت ولم يعول من أوجب التأخير على شيء تقوم به الحجة بل ليس بيده إلا مجرد الرأي البحت لقولهم أن صلاتهم بدنية ونحو ذلك وهذا لا يغني عن الحق شيئاً .

الأذان

يشرع لأهل كل بلد أن يتخذوا مؤذناً ينادى بألفاظ الأذان المشروع عند دخول وقت الصلاة ويشرع للسامع أن يتابع المؤذن ثم تشرع الإقامة على الصفة الواردة .

ما يجب على المصلي

يجب على المصلي تطهير ثوبه وبدنه ومكانه من النجاسة ويستتر عورته ولا يشتمل الصماء ولا يسدل ولا يسبل ولا يكفت ولا يصلي في ثوب حرير ولا ثوب شهرة ولا مغصوب^(١) . وعليه استقبال الكعبة إن كان مشاهداً لها أو في حكم المشاهد وغير المشاهد يستقبل الجهة بعد التحري .

(١) اشتمال الصماء هو أن يحلل جسده بالثوب لا يرفع منه جانباً ولا يبق =

كيفية الصلاة

لا تكون الصلاة شرعية الا بالنية واركناها كلها مفترضة الا قعود التشهد الاوسط والاستراحة ، ولا يجب من أذكارها الا التكبير والفاحة في كل ركعة ولو كان مؤتما والتشهد الأخير والتسليم . وما عدا ذلك فسنن ، وهى الرفع فى المواضع الأربعة والضم والتوجه بعد التكبيرة والتعوذ والتأمين وقراءة غير الفاتحة معها التشهد الاوسط والاذكار الواردة فى كل ركن والاستكثار من الدعاء لخير الدنيا والآخرة بما ورد وبما لم يرد .

بطان الصلاة

وتبطل الصلاة بالسكلام وبالاشتغال بما ليس بها وبترك شرط أو ركن عمداً ،

== ما يخرج منه يده وأما قوله ولا يسدل فلحديث النبي ﷺ عن السدل فى الصلاة وهو عند أحمد وإبى داود والترمذى والحاكم فى المستدرک وفى الباب عن جماعة من الصحابة . والسدل هو إسدال الرجل رداءه من غير أن يضم جنبيه بين يديه بل يلتحف به ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد وهو كذلك ، وفى معنى آخر كما جاء فى مختصر النهاية هو أن يضع وسط الرداء على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه وهو شعار اليهود وأما قوله ولا يسبل فلما ورد فى الأحاديث الصحيحة من النهى عن اسبال الازار والمراد بالاسبال أن يرخى إزاره حتى يجاوز الكعبين . وأما قوله ولا يكفت فقد ورد النهى عن أن يكفت الرجل ثوبه أو شعره أما كفت الثوب فكمن يأخذ طرف ثوبه فيغرزه فى حوزته أو نحو ذلك ، وأما كفت الشعر فنحو أن يأخذ خصلة مسترسلة فيكفتها فى شعر رأسه ويربطها بخيط إليه أو نحو ذلك . وأما قوله ولا يصلى فى ثوب حرير فالأحاديث فى ذلك كثيرة كلها تدل على المنع من لبس الحرير الخالص ، وأما المشوب فالمذاهب فى ذلك معروفة فبعض الأحاديث يدل على أنه إنما يحرم الخالص لا المشوب لحديث ابن عباس رضى الله عنهما عند أحمد وأبى داود قال : « إنما نهى رسول الله ﷺ عن الثوب المسط من القطن »

ولا تجب الصلاة على غير مكلف وتسقط عن عجز عن الإشارة أو أغمى عليه حتى خرج وقتها ويصلي المريض قائماً ثم قاعداً ثم على جنب .

صلاة التطوع

هي أربع قبل الظهر وأربع بعده وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل صلاة الفجر وصلاة الضحى وصلاة الليل وأكثرها ثلاث عشرة يوتر في آخرها وتحية المسجد والاستخارة وركعتان بين كل آذان وإقامة .

صلاة الجماعة

هي من أكد السنن وتنعقد باثنين وإذا كثر الجمع كان الثواب أكثر وتصح بعد المفضل والاولى أن يكون الامام من الخيار ويؤم الرجل بالنساء لا العكس والمفترض بالمتنفل والعكس . وتجب المتابعة في غير مبطل ولا يؤم الرجل قوماً هم له كارهون ويصلي بهم صلاة اخفهم ويقدم السلطان ورب المنزل والأقرب ثم الأعم ثم الأسن . وإذا اختلت صلاة الامام كان ذلك عليه لا على المؤتمين وموقفهم خلفه إلا الواحد فعن يمينه ، وإمامة النساء وسط الصف . ويقدم صفوف الرجال ثم الصبيان ثم النساء . واللاحق بالصف الاول أو لو الاحلام والنهي . وعلى الجماعة أن يسووا صفوفهم وأن يسدوا الخلل ويقيموا الصف الاول ثم الذي يليه ثم كذلك .

سجود السهو

سجود السهو هو سجدتان قبل التسليم أو بعده باحرام وتشهد وتحليل ويشرع لترك مسنون وللزيادة ولو ركعة سهواً وللشك في العدد . وإذا سجد الامام تابعه المؤتم .

أما كون السجود يكون على التخيير اما قبل التسليم من الصلاة أو بعده فوجهه أن النبي ﷺ صح عنه أنه سجد قبل التسليم وصح عنه أنه سجد بعده . أما كون سجود السهو باحرام وتشهد وتحليل فقد ثبت عنه ﷺ أنه كبر وسلم كما في حديث ذي الديدن الثابت في الصحيح وفي غيره من الأحاديث أما التشهد فلحديث عمران بن حصين « أن النبي ﷺ صلى بهم فسهوا فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم » أخرجه أبو داود

والترمذى وحسنه وابن حبان وصححه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .
أما كونه يشرع ترك مسنون فلحديث سجوده ﷺ ترك التشهد الاوسط والحديث
لكل سهو مسجدان .

وأما الشك في العدد ففيه أن من شك في العدد بنى على اليقين وسجد للسهو .

القضاء للفوائت

ان كان الترك عمداً لا لعذر فدين الله أحق أن يقضى وان كان لعذر فليس بقضاء
بل أداء في وقت زوال العذر إلا صلاة العيد في ثانيه . قال عليه الصلاة والسلام
ومن نام عن صلاته أو سهى عنها فوقتها حين يذكرها .

أما كون صلاة العيد المتروكة لعذر وهو عدم العلم بأن ذلك اليوم يوم العيد تفعل
في اليوم الثانى ولا تفعل في يوم العيد بعد خروج العيد إذا حصل العلم بأن ذلك اليوم
يوم عيد فلحديث عمير بن انس عن عمومة له لأنه غم عليهم الهلال فاصبحوا فجاء
ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله ﷺ أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمر
الناس أن يفطروا من يومهم وأن يخرجوا لعيدهم من الغد أخرجه أحمد وأبو داود
والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

صلاة الجمعة

تجب على كل مكلف إلا المرأة والعبد والمسافر والمريض ، وهى كسائر الصلوات
لا تخالفها إلا في مشروعية الخطبتين قبلها ووقتها وقت الظهر وعلى من حضرها أن
لا يتخطى رقاب الناس وأن ينصت حال الخطبتين وندب له التكبير والتطيب والتجمل
والدنو من الامام ومن أدرك ركعة منها فقد أدركها وهى في يوم العيد رخصة .

صلاة العيدين

هى ركعتان الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة وفى الثانية خمس كذلك ويخطب
بعدها ويستحب التجمل والخروج إلى خارج البلد ومخالقة الطريق والأكل قبل
الخروج فى الفطر دون الأضحية ووقتها بعد ارتفاع الشمس قدر رمح إلى الزوال
ولا أذان فيها ولا إقامة .

صلاة الخوف

قد صلاها رسول الله ﷺ على صفات مختلفة وكلها مجزأة وإذا اشتد الخوف والتحم القتال صلاها الراكب والراجل ولو إلى غير قبلة ولو بالإيماء .
صلاة الخوف قد وردت على أنحاء مختلفة قيل على ستة عشر وقيل على سبعة عشر وقيل أقل من ذلك وقد صح منها أنواع . فمنها أنه صلى بكل طائفة ركعتين فكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان وهذه الصفة الثابتة في الصحيحين من حديث جابر . ومنها أنه صلى بكل طائفة ركعة فكان له ركعتان وللقوم ركعة وهذه الصفة أخرجهما النسائي بإسناد رجاله ثقات . ومنها أنه صلى بهم جميعاً فكبر وكبروا وركع وركعوا ورفع ورفعوا ثم سجد وسجد معه الصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي ﷺ السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر للسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم وفعلوا كالركعة الأولى ولكنهم قد صار الصف المؤخر مقدماً والمقدم مؤخراً ثم سلم النبي ﷺ وسلموا جميعاً . وهذه الصفة ثابتة في صحيح مسلم رحمه الله وغيره من حديث جابر وليرجع إلى كتب الفقه والحديث .

باب صلاة السفر

يجب القصر على من خرج من بلده قاصداً للسفر وإن كان دون بريد وإذا أقام ببدة متردداً قصر إلى عشرين يوماً وإذا عزم على إقامة أربع أتم بعدها وله الجمع تقديماً وتأخيراً وأذان وإقامتان ويرجع في ذلك إلى كتب الفقه والسنة .

صلاة الكسوفين

هي سنة . وأصح ما ورد في صفتها ركعتان في كل ركعة ركوعان وورد ثلاثة وأربعة وخمسة يقرأ بين كل ركوعين . وورد في كل ركعة ركوع وندب الدعاء والتكبير والتصدق والاستغفار .

صلاة الاستسقاء (١)

يسن عند الجذب ركعتان بعدها خطبة تتضمن الذكر والترغيب في الطاعة والزجر عن المعصية ويستكثر الإمام ومن معه من الاستغفار والدعاء برفع الجذب ويحولون جميعاً أردبتهم .

(١) الدراري المضية شرح الدرر البهية كلاماً للإمام العلامة الفقيه المجتهد محمد بن علي الشوكاني .

الزكاة

وأثرها

الزكاة وفوائدها — اعتراف الاجانب بفضلها لحل المشكلات الطائفية
والعمالية — مراعاة الاسلام لوقت الزكاة ونصا بها
تحريم الخيل في ابطال فرائض الشريعة — الصدقات
(ملخص عن الزكاة - ما هي الزكاة - مصرف الزكاة - مانع الزكاة)

أصبحت مشكلة رأس المال والعمل الشغل الشاغل للمدنية الغربية .
والاشتراكيون يزداد عددهم يوما فيوما بانتشار الفقر والعطالة . ويزيد في حلق
الفقراء على الاغنياء ما لهؤلاء من الاموال الطائلة وصرفها في البذخ والترف . ونتج
عن هذا العبث بالمال انحطاط في الاخلاق . وفساد النفوس المتكاثر عند الطبقات
الوسطى حجة بينة يحتج بها اشتراكيو هذا العصر في مطاعنهم بعدم المساواة في توزيع
الارزاق . وقد سهل عليهم الادعاء بأن الاموال الوفرة في هذه الايام اخذت في
الغالب خلسة من ألوف البائسين

كتب الفيلسوف بوانيه : « خلع الاقوياء العذار وجاروا على الضعفاء فأبادوا
الامريكيين (البوروج) : (سكان أمريكا أصحاب الجلود الحمراء) ، وامتنص الانجليز
عظام الهنود ثم اقتسم الاوروبيون أفريقيا باسم الحضارة . والواقع أنهم لا يبحثون
إلا عن أسواق لبيعوا فيها سلعهم وقد أوجب ذلك حسداً لا مثيل له بين الدول .
وما تهديد دول الاتفاق الثلاثي لمانا إلا عن طمع وقلق . . .

ضغائن وحسد في الجمهور — عدم اكتراث وأثرة شديدة . وعبادة كثيرة للمال
عند القادة — تطير عند المفكرين . هذه هي شعائر العصر الحاضر . فيجب أن تكون
الامة وطيدة الاركان لتقاوم مثل هذه العلل المؤدية الى الانقراض . واننا نشك في
أنها تستطيع مقاومتها زمناً طويلاً (١)

(١) كتاب روح الاشتراكية للدكتور جستاف لوبون . تعريب الاستاذ زعيتير ص ٢٤

يحمل الاسلام بين مبادئه الاصلية صيانة الهيئة الاجتماعية اذا ما اعتصمت بها
وهي الزكاة ، وهي حق معلوم للفقير في مال الغني

ورد في الاثر ثلاث مهلكات : (١) شح مطاع (٢) وهوى متبع (٣) وإعجاب
المرء بنفسه . وقال تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١) ﴾ وإنما
تزول صفة البخل بتعود بذل المال ، فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على
مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً . فالزكاة بهذا المعنى طهارة أى تطهر صاحبها من
خبث البخل المهلك ، إنما طهارته بقدر بذله ، وبقدر فرجه بأخراجه ، واستبشاره
بصرفه إلى الله تعالى (٢) وتطهر الهيئة الاجتماعية من بغض الفقراء للاغنياء الذى
ينجم عنه حرب الطبقات وتهديد السلام

الزكاة واجبة على المسلمين كوجوب الصلاة ، وأوجبها الله عز وجل على عباده
وقرنها بها في غير ما آية من كتابه . فقال تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (٣) ﴾
وقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة (٤) ﴾ وقال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ،
والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم الزكاة فاعلون (٥) ﴾ وقال تعالى ﴿ قد أفلح
من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ﴾ (٦)

والزكاة إحدى دعائم الاسلام الخمس . قال رسول الله ﷺ « بُنى الاسلام على
خمس : شهادة أن لا إله إلا الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان .
وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » وروى عنه ﷺ أنه قام في الناس فقال : « يا
أيها الناس إنه أتاني آت من ربى في المنام فقال لى يا محمد لا صلاة لمن لا زكاة له ولا
زكاة لمن لا صلاة له ، مانع الزكاة في النار والمتعدى فيها كإنعائها . » وقد توعد الله في
غير ما آية من كتابه مانعها . فقال تعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون . الذين هم يراهم ويعنعون الماعون (٧) ﴾ والماعون الزكاة في قول أكثر
أهل العلم . وقال تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله

(١) الحشر (٢) احياء علوم الدين . للامام الغزالي الجزء الاول (٣) الزمل

(٤) القيمة (٥) المؤمنون (٦) سورة الاعلى (٧) سورة الماعون

فبشرهم بعذاب أليم يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكمنون^(١) والكنز هو المال الذي لا تؤدى زكاته وإن لم يكن مدفوناً ، وما أدى زكاته من المال فليس بكنز وإن كان مدفوناً .

وقال تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم . سيطر قون ما بخلوا به يوم القيامة^(٢) ﴾ معناه بخلوا بالزكاة الواجبة عليهم فيما آتاهم الله من فضله .

ومن جحد فرض الزكاة فهو كافر يستتاب فإن تاب والا قتل كالمترد . وقال ابن حبيب : إن تركها كفر وإن كان مقرأ بفرضها كالصلاة على مذهبه . وليس بصحيح . وأما من أقر بفرضيتها ومنعها فإنه يضرب وتؤخذ منه كرهاً إلا أن يمنع في جماعة ويدفع بقوة فانهم يقاتلون عليها حتى تؤخذ منهم كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بأهل الردة حين شحوا بأداء الزكاة ، فقال : والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجأهدهم عليه . فقَاتلهم وأمر بقتالهم ، وقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة^(٣) .

الزكاة واجبة على كل مسلم حرّ ، ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون . والزكاة تكون في التجارة وقيمتها اثنان ونصف في المائة أى ربع العشر وإذا زاد عن النصاب (أى إذا زاد عن عشرة جنيهات مصرية تقريباً) وقيمتها ٢٠ ٪ أى ربع العشر . والزكاة تكون أيضاً في الابل والبقر والغنم وفي كل مستنبت مقعات . ويرجع في تفاصيل ذلك الى كتب الفقه .

والزكاة تؤدى كل سنة كما أمر رسول الله صلوات الله عليه ، ولا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول .

وزكاة الفطر وهى واجبة على لسان رسول الله ﷺ على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر (العيد الصغير) وليلتته صاع مما يقتات وهو

(١) التوبة . (٢) آل عمران . (٣) كتاب المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته

رسوم المذونة من الأحكام الشرعية (للعلامة ابن رشد . الجزء الأول

(منوان وثلاثاً من) يخرج من جنس قوته أو من أفضل منه ، ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومساكنه وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٦٠ - سورة التوبة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله ﷺ معاذاً الى اليمن فقال : « انك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله تعالى ، فاذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » . أخرجه الخمسة .

راعى الاسلام في الزكاة وقتها وقدرها ونصابها ومن يجب عليه ومصرفها ، وراعى مصاحبة أرباب الأموال ومصلحة المساكين وجعلها الله سبحانه وتعالى طهرة للمال ولصاحبه ، وقيد النعمة به على الاغنياء فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته بل يحفظه عليه وينمي له ويدفع عنه بها الآفات ، ويجعلها سوراً له وحصناً له وحارساً له . ثم انه جعلها في أربعة أصناف من المال وهي أكثر الأموال دوراً بين الخلق وحاجتهم إليها ضرورية :

(١) الزرع والثمار .

(٢) بهيمة الانعام : الابل والبقر والغنم .

(٣) الجوهران اللذان بهما قوام العالم وهما الذهب والفضة .

(٤) أموال التجارة على اختلاف أنواعها .

أوجب الاسلام الزكاة مرة كل عام وجعل حول الزروع والثمار عند كمالها واستوائها وهذا عدل ما يكون إذ وجوبها كل شهر أو كل جمعة يضر بأرباب الأموال ، وجوبها

في العمر مرة مما يضر بالمساكين فلم يكن أعدل من وجوبها كل عام مرة ، ثم إنه فإوت
بين مقادير الواجب بحسب سعي أرباب الأموال في تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته
فأوجب الخمس فيما صادفه الانسان بمجموعا محصلا من الأموال وهو الركاز ، ولم يعتبر
له حولا بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به .

وأوجب نصف الخمس أو العشر فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك
وذلك في الثمار والزروع التي يباشر حرث أرضها وسقيها وبذورها ، ويتولى الله
سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ولا شراء ماء ولا إثارة بئر ودولاب .

وأوجب نصف العشر فيما يتولى العبد سقيه بالكلفة والدوالي والنواضح وغيرها ،
وأوجب نصف ذلك - وهو ربع العشر - فيما كان النماء فيه موقوفاً على عمل
متصل من رب المال بالضرب في الأرض تارة وبالإدارة تارة وبالتربص تارة ،
ولا ريب أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزرع والثمار ، وأيضا فإن نمو الزرع والثمار
أظهر وأكثر من نمو التجارة فكان واجبا أكثر من واجب التجارة وظهور النمو
فيما يسقى بالسماء والأنهار أكثر مما يسقى بالدوالي والنواضح وظهوره فيما وجد
محصولا بمجموعاً كالسكنز أكثر وأظهر من الجميع . ثم إنه لما كان لا يحتمل المواساة
كل مال وإن قل جعل للمال الذي يحتمل المواساة نصيبا مقدرة المواساة فيها لا ينحرف
بأرباب الأموال وتقع موقعها من المساكين ، فجعل للورق مائتي درهم وللذهب
عشرين مثقالا وللحبوب والثمار خمسة أوسق وهي خمسة أحمال من أحمال إبل
العرب وللغنم أربعين شاة وللبقر ثلاثين وللابل خمسا لكن لما كان نصابها لا يحتمل
المواساة من جنسها أوجب فيها شاة فإذا تكررت الخمس خمس مرات وصارت
خمسا وعشرين احتتمل نصابها واحداً منها فكان هو الواجب . ثم إنه لما قدر سن هذا
الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها من ابن مخاض وبنات مخاض
وفوقه ابن لبون وبنات لبون وفوقه الحق والحقة وفوقه الجذع والجذعة وكلما
كثرت الابل زاد السن إلى أن يصل السن إلى منتهاه فحينئذ جعل زيادة عدد الواجب
في مقابلة زيادة عدد المال فاقضت حكمته أن جعل في الأموال قدرا يحتمل المواساة
ولا ينحرف بها ويكفي المساكين ولا يحتاجون معه إلى شيء ، ففرض في أموال
الغنياء ما يكفي الفقراء فوقى الظلم من الطائفتين الغني يمنع ما وجب عليه والآخذ

يأخذ مالا يستحقه فتولد من بين الطائفتين ضرر عظيم على المساكين وفاقة شديدة
أوجبت لهم أنواع الخيل والاحلاف في المسألة، والرب سبحانه تولى قسمة الصدقة
بنفسه وجزأها ثمانية أجزاء يجمعها صنفان من الناس أحدهما من يأخذ بحاجته
فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب
وابن السبيل، والثاني من يأخذ لمنفعته وهم العاملون والمؤلفة قلوبهم والغارمون
لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة
للمسلمين فلا سهم له في الزكاة. وكان من هديه صلى الله عليه وسلم إذا علم من الرجل أنه من أهل
الزكاة أعطاه وإن سأله أحد من أهل الزكاة ولم يعرف حاله أعطاه بعد أن يخبره
أنه لاحظ فيها لغنى ولا لقوى يكتسب، وكان يأخذها من أهلها ويضعها في حقها.
وكان من هديه تفريق الزكاة على المستحقين الذين في بلد المسال وما فضل عنهم
منها حملت اليه ففرقها هو صلى الله عليه وسلم ولذلك كان يبعث سعاته إلى البوادي ولم يكن يبعثهم إلى
القرى، بل أمر معاذاً أن يأخذ الصدقة من أهل اليمن ويعطيها فقراءهم ولم يأمره
بحملها اليه. ولم يكن من هديه أن يبعث سعاته إلى أهل الأموال الظاهرة من المواشي
والزروع والثمار، وكان يبعث الخارص يخرص على أبواب النخيل ثم نخيلهم
وينظر كم يجي منه وسقا فيحسب عليهم من الزكاة بقدره وكان يأمر الخارص أن يدع
لهم الثلث أو الربع فلا يخرصه عليهم لما يعرفون النخيل من النوائب وكان هذا الخرص
لكي تحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمار وتصرم ويتصرف فيها اربابها بما شاؤوا
ويضمنوا قدر الزكاة ولذلك كان يبعث الخارص الى من ساقاه من أهل خير وزارعه
فيخرص عليهم الثمار والزروع ويضمنهم شطرها وكان يبعث اليهم عبد الله بن رواحة
فاذا أرادوا أن يرشوه قال عبد الله تطعموني السمحت والله لقد جئتمكم من عند احب
الناس إلى ولا تتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنزير ولا يحملني بغضى لكم
وحبي اياه أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السماوات والأرض. ولم يكن من هديه
أخذ الزكاة من الخيل والرقيق ولا البغال ولا الحمير ولا الخضروات ولا الأباطح
والمقاتي والفواكه التي لا تكال ولا تدخر إلا العنب والرطب فانه كان يأخذ الزكاة منه
جملة ولم يفرق بين ما يابس وما لم ييبس^(١).

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد للإمام الحافظ ابى عبد الله بن قيم الجوزية الجزء الاول ص ٢٠٩

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا (العثري : ما يشرب بعروقه . وكذلك البعل) العشر ، وفيما سقى بالنضح نصف العشر » رواه البخارى ، ولأبى داود « إذا كان بعلا العشر ، وفيما سقى بالسواني أو النضح نصف العشر » .

وللدارقطنى ، عن معاذ رضى الله عنه قال : فأما القثاء والبطيخ والرمان والقصب فقد عفا عنه رسول الله ﷺ . واسناده ضعيف .

وعن سهل بن أبى حنمة رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ « إذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث ، فإن لم تدعوا الثلث فدعوا الربع » رواه الخمسة إلا ابن ماجه . وصححه ابن حبان والحاكم .

وعن عتاب بن اسيد رضى الله عنه قال : أمر رسول الله ﷺ « أن يخرص العنب كما يخرص النخل ، وتؤخذ زكاته زيبيا » رواه الخمسة ، وفيه انقطاع .
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما : ان امرأة اتت النبي ﷺ ، ومعها ابنة لها ، وفي يد ابنتها مسكتان (المسكة الاسورة والخلخال) من ذهب فقال لها « اتعطين زكاة هذا ؟ » قالت لا . قال أيسرك ان يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ؟ » فالقتهما (تخلعتهما) رواه الثلاثة واسناده قوى . وصححه الحاكم من حديث عائشة .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا « أن نخرج الصدقة من الذى نعدده للبيع » رواه أبو داود ، واسناده لين .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « وفى الركاز (فى النهاية : الركاز عند أهل الحجاز كنوز الجاهلية المدفونة فى الأرض . وعند أهل العراق المعادن . والقولان تحتلهمما اللغة ، لأن كلا منهما مركز . والحديث إنما جاء فى التفسير الأول وهو الكسندر لكثرة نفعه وسهولة أخذه) الخمس » متفق عليه .

وعن بلال بن الحارث رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ من المعادن القبلية الصدقة . رواه أبو داود .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ، صاعا

من تمر أو صاعا من شعير : على العبد والحر ، والذكر ، والانثى ، والصغير ، والكبير ، من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة . متفق عليه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو ، والرفث ، وطعمة للمساكين ، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات ، رواه أبو داود وابن ماجه . وصححه الحاكم .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس » رواه ابن حبان والحاكم .

وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعمل ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » متفق عليه ، واللفظ للبخارى .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل ؟ قال : « جهدا المقل ، وأبدأ بمن تعمل » أخرجه احمد وابو داود وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تصدقوا » فقال رجل : يا رسول الله ، عندى دينار ؟ قال : « تصدق به على نفسك » قال : عندى آخر ، قال « تصدق به على ولدك » قال : عندى آخر . قال : « تصدق به على زوجتك » قال عندى آخر ، قال « تصدق به على خادمك » قال : عندى آخر ، قال « انت ابصر به » رواه ابو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم .

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جاءت زينب امرأة ابن مسعود ، فقالت : يا رسول الله ، انك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندى حلى لى ، فأردت ان أتصدق به ، فزعم ابن مسعود انه وولده أحق من أتصدق به عليهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صدق ابن مسعود ، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم » رواه البخارى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال الرجل

يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم، (المزعة القطعة). قال الخطابي: يحتمل ان يكون المراد يأتي ساقطاً لا قدر له ولا جاه أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه عقوبة له في موضع الجنابة لكونه أذله بالسؤال). متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من يسأل الناس أموالهم تكثراً، فإنما يسأل جحراً فليستقل أو ليستكسر» رواه مسلم.

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حمله، فيأتى بحزمة من الخطب على ظهره، فيبيعها، فيكف بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» رواه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تحل الصدقة لغني إلا الخمسة: لعامل عليها، أو رجل اشتراها بماله، أو غارم، أو غاز في سبيل الله، أو مسكين تصدق عليه منها، فأهدى منها لغني» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الحاكم، وأعلل بالارسال.

وقد لخص الاستاذ مسنيون أدب الاسلام الاجتماعي تلخيصاً يثير الإعجاب في قوله: يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل افراد الشعب بالعشر في موارد الجماعة (الزكاة). ومبادئ الاسلام تبذل التبادل غير المقيد كما تناسى بالعداء الاموال الصرفية (الربا) والقروض الحكومية والضرائب غير المباشرة على ضروريات الحياة، في حين أنه شديد التمسك بحقوق الولد والزوج والملكية ورءوس الاموال التجارية، فهو بذلك يقف موقفاً وسطاً بين البورجوازية والرأسمالية والشيوعية (البلشفية).

والاسلام مطالب كذلك بخدمة أخرى يسديها للانسانية فهو الى الشرق الحقيقي أقرب من أوروبا اليه. وله ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها. وليس من مجتمع آخر له مثلاً ما للاسلام من ماض كله نجاح في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات.

ولقد برهنت الطوائف الاسلامية الكبرى في أفريقيا، والهند، والهند الشرقية، والجماعات الصغيرة منهم في الصين واليابان، على أن الاسلام يستطيع أن يوفق بين

العناصر التي لا سبيل الى التوفيق بينهما .

واذا ما أريد إحلال التعاون محل الخلاف بين المجتمعات في الشرق والغرب فإن وساطة الاسلام ضرورية لا غنى عنها . فهو وحده الكفيل بحل المشكلة التي تواجه أوروبا في علاقتها مع الشرق . فإذا اتحدنا عظم الأمل في أن تكون النتيجة سلاما . أما ان رفضت أوروبا معاونة الاسلام وألقت بنفسها في أحضان خصومه فإن العاقبة لا يمكن أن تكون إلا نكبة لها معاً ^(١) .

تحريم الخيل في إبطال فرائض الشريعة

لا يجوز الخيلة لمن أراد إبطال الزكاة وإسقاط فرضها عنه بالكلية بأن يملك ماله عند الخول لابنه أو امرأته أو أجنبي ساعة من زمان ثم يسترده منه . ويفعل هكذا كل عام فيبطل فرض الزكاة عنه أبداً لأن مقصود الشارع الحكيم من إيجاب الزكاة سد خلة المساكين وذوى الحاجات وحصول المصالح لمن أرادها بتخصيص هذه الاوصاف من حماية المسلمين والذب عن حوزة الاسلام فإذا أسقطها بالتحيل فقد خالف مقصود الشارع وحصل مقصود المتحيل ^(٢) . والواجب الذي لا يجوز غيره أن يحصل مقصود الله ورسوله . ويبطل مقاصد المتحيلين المخادعين .

ومن الخيل الباطلة المحرمة أن يكون للزكي على رجل مال وقد أفلس غريمه وأيس من أخذه منه وأراد أن يحسبه من الزكاة . فالخيلة أن يعطيه من الزكاة بقدر ما عليه فيصير مالكا للوفاء فيطالبه حينئذ بالوفاء . فإذا أوفاه برى . وسقطت الزكاة عن الدافع . وهذه خيلة باطلة . سواء شرط عليه الوفاء أو منعه من التصرف فيما دفعه اليه أو ملكه إياه بنية أن يستوفيه من دينه . فكل هذا لا يسقط عنه الزكاة ولا يعد مخرجاً لها لا شرعاً ولا عرفاً كما لو أسقط دينه وحسبه من الزكاة .

قال مهني : سألت أبا عبيد الله عن رجل له على رجل دين برهن ، وليس عنده قضاؤه ، ولهذا الرجل زكاة مال ، قال يفرقه على المساكين فيدفع اليه رهنه . ويقول له : الدين الذي لي عليك هو لك ويحسبه من زكاة ماله . قال لا يجوز ذلك . فقلت له

(١) كتاب اتجاه الاسلام لناشره الاستاذ جيب المستشرق الانجليزى .

فيدفع اليه زكاته فان رده اليه قضاء بما أخذه من ماله . قال نعم . وقال في موضع آخر وقيل له فان أعطاه رده اليه . قال اذا كان بحيلة فلا يعجبني . قيل له فان استقرض الذى عليه الدين دراهم فقضاه إياها ، ثم ردها عليه وحسبها من الزكاة !! قال إذا أراد بهذا إحياء ماله فلا يجوز . ومطلق كلامه ينصرف الى هذا المقيد . فينحصر من مذهبه ان دفع الزكاة الى الغريم جائز سواء دفعها ابتداء واستوفى حقه . ثم دفع ما استوفاه اليه . إلا أنه متى قصد بالدفع إحياء ماله ، واستيفاء دينه لم يجوز ، لان الزكاة حق لله وللمستحق . فلا يجوز صرفها الى الدافع ويقوز بنفعها العاجل . وبما يوضح ذلك أن الشارع منعه من أخذها من المستحق بعوضها فقال لا تشتريها ولا تعد في صدقتك . وجعل الشارع شارى الصدقة بتمنئها عائداً فيها فكيف اذا دفعها اليه بنية أخذها منه . قال جابر بن عبد الله اذا جاء المصدق فادفع اليه صدقتك ولا تشتريها فانهم كانوا يقولون ابتعها فأقول انما هي لله . وقال ابن عمر لا تشتري طهور مالك . وللنوع من شرائه عاتان :

احدهما : أنه يتخذ ذريعة وحيلة الى استرجاع شيء منها ، لان الفقير يستحي منه فلا يماسكه في ثمنها وربما رخصها ليطمع أن يدفع اليه صدقة أخرى . وربما علم أو توهم أنه ان لم يبعه إياها استرجعها منه فيقول ظفري بهذا الثمن خير من الحرمان . العلة الثانية : قطع طمع نفسه عن العود في شيء أخرجه الله بكل طريق . فان النفس متى طمعت في عوده بوجه ، فأمالها بعد متعلقة به فلم تطب به نفسها لله وهي متعلقة به فقطع عليها طمعها في العود ولو بالثمن لئلا يحض الاخراج لله . وهذا شأن النفوس الشريفة ذات الآداب والهمم أنها اذا أعطت عطاء لم تسمح بالعود فيه بوجه ، لا بشراء ولا بغيره ، وتعد ذلك دناءة . ولهذا مثل النبي ﷺ العائد في هيبته بالكلب يعود في قيئه لحسته ودنائة نفسه وشحه بما قاءه أن يفوته . فمن محاسن الشريعة منع المتصدق من شراء صدقته .

أوجب الله تعالى الواجبات ، وحرم المحرمات لما تتضمن من مصالح عباده في معاشهم ومعادهم ، فالشريعة لقلوبهم بمنزلة الغذاء الذى لا بد لهم منه . والدواء الذى لا يندفع الداء الا به . فاذا احتمل العبد على تحليل ما حرم الله ، واسقاط ما فرض الله وتعطيل ما شرع الله ، كان ساعياً في دين الله بالفساد .

وقد وضع في العهد الغابر كتاب للحيل قال فيه النضر بن شميل : في كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرون أو ثلاثون مسألة كلها كفر . وقال ابن عبد الله قاضي الكوفة وذكر له كتاب الحيل : من يخادع الله يخدعه . وقال فيه حفص بن غياث : ينبغي أن يكتب عليه كتاب الفجور .

قال بعض أهل الحيل انا نحتال للناس منذ كذا وكذا سنة في تحليل ما حرم الله عليهم ، قال احمد بن زهير بن مروان : كانت امرأة ههنا بمر ، أرادت أن تختلع من زوجها عليها ففعل لها لو ارتدت عن الاسلام لبنت منه . ففعلت . فذكرت ذلك لعبد الله بن المبارك وهو من أعلم أهل زمانه فقال من وضع هذا الكتاب فهو كافر ، ومن سمع به ورضى به فهو كافر ، ومن حمله من كورة الى كورة (من بلد الى بلد) فهو كافر ، ومن كان عنده فرضى به فهو كافر .

قال العلامة ابن القيم : ان الحيل المحرمة في الدين تقتضى رفع التحريم مع قيام وجبه ومقتضيه واسقاط الوجوب مع قيام سببه وذلك حرام من وجوه :

أحدها — استلزامها فعل المحرم وترك الواجب .

الثاني — ما يتضمنه من المسكر والخداع والتليس .

الثالث — الاغراء بها والدلالة عليها وتعليمها من لا يحسنها .

الرابع — اضافتها الى الشارع وأن أصول شرعه ودينه تقتضيها .

الخامس — ان صاحبها لا يتوب منها ولا يعدها ذنباً .

السادس — أنه يخادع الله كما يخادع المخلوق .

السابع — أنه يسلط أعداء الدين على القدح فيه وسوء الظن به وبمن شرعه .

الثامن — أنه يعمل فكره واجتهاده في نقض ما أبرمه الرسول وابطال ما أوجبه وتحليل ما حرمه .

التاسع — انه اعانة ظاهرة على الاثم والعدوان ، وانما اختلفت الطريق فهذا يعين عليه بحيلة ظاهرها صحيح مشروع ويتوصل بها اليه . وذلك يعين عليه بطريقه المفضية اليه بنفسها فكيف كان هذا معيناً على الاثم والعدوان والمتحيل المخادع يعين على البر والتقوى .

العاشر — ان هذا ظلم في حق الله ، وحق رسوله ، وحق دينه ، وحق نفسه وحق العبد المعين وحقوق عموم المؤمنين ، فانه يغرى به ويعلمه ويدل عليه . والمتوصل اليه بطريق المعصية لا يظلم الا نفسه ومن تعلق به ظلمه من المعينين ، فانه لا يزعم أن ذلك دين وشرع ولا يقتدى به الناس ، فأين فساد أحدهما من الآخر وضرره من ضرره (١).

الزكاة هي شكر نعمة المال فان لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وماله . فالعبادات البدنية شكر نعمة البدن ، والمالية شكر نعمة المال . وما أخسر من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق ، وأحوج اليه ، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال ، وأحواج غيره اليه بربع العشر أو العشر من ماله .

فرضت الزكاة في مال الاغنياء لا للبر والعطف على الفقراء فحسب بل لحماية الاغنياء أيضاً من خطر الجوع وألم الفاقة ، وشر المسغبة التي اذا ما هاج ثائرها لا تبقى ولا تذر . وقد أبان عن نفسية المضطر أعرابي خرج من مقصبة بغتة للمأمون حينما كان راكباً يتنزه فنفرت دابته فألقته على الارض صريعاً فأمر بقتل ذلك الرجل فقال امهل على يا أمير المؤمنين حتى أكلبك . قال قل وأوجز قال : ان المضطر يركب الصعب من الامور وهو عالم بركوبه ، ويتجاوز الادب وهو كاره لتجاوزه . ولو أحسنت الايام مطالبتي لأحسننت مطالبتك ، ولأنت على رد ما لم تفعل أقدر مني على رد ما قد فعلت !!

هذه القصة تمثل الغنى والفقير وموقف بعضهما إزاء البعض ، فاذا أحسن الاغنياء وأدوا ما افترضه الله تعالى عليهم في أموالهم من زكاة الى الفقراء رأوا من هؤلاء ألسنة مادحة . وقلوباً مخلصة . وأيدياً قوية تذب عنهم السوء ويصبح الفقير شريك الغنى يتمنى له الخير لانه مشاطره فيه ، وأما اذا بخل الغنى بماله وحرم الفقير حقه دب الحقد الى قلبه وملاً الغيظ فؤاده وتمنى له السوء ، واذا ما حلت به نازلة كان فيه من الشامتين ، واذا ما نزل به مكروه واحتاج الى المعونة كان الفقير

(١) اعلام الموقعين للعلامة ابن القيم الجزء الثالث .

عنه من المبعدين . والله يقول وهو أصدق القائلين ﴿ انْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ
وإنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (١) .

وربما كان كنز المال ، والتفاخر بالاموال الطائلة ، والكيفية التي تبذل فيها
من أشد العوامل في انتشار مبادئ الاشتراكية . قال الميسو (فاغيه) : « لا يتوقع
المرء الا من سعادة غيره . وهذا هو شقاء الفقير » فالاشتراكيون يعلمون أن المساواة
في الرزق لا تتحقق . ولكنهم يرجون أن تتم المساواة في الفقر على أيديهم .

ولم تظهر الناشئة المترفة أيضاً بمظهر لائق تكون به قدوة لطبقات الناس .
فهي تعمل على زعزعة جميع التقاليد الاخلاقية التي هي قوام الامم ، وترى أن
مبادئ الواجب ، والوطنية ، والآباء اوهام باطلة . وقيود تستحق الهزء . واذ
درّ عليها المال من مضاربة أو مكيدة أو زواج موسع أو ميراث فلا تبذله الا في أحط
اللذات والشهوات (٢) .

فالزكاة هي من أكبر الوسائل لمحاربة الفقر الذي هو جرثومة كل بلاء فردي
 واجتماعي ينشأ عنه كثير من الجرائم التي اذا ما انتشرت قضت على سلامة الهيئة
 الاجتماعية ويسرها . والفقر كما قال أحد الحكماء رأس كل بلاء . وجالب الى صاحبه
 كل مقت . ومعدن النيمة . والرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا . وأساء به
 الظن من كان يظن به حسنا . فان أذنب غيره كان هو للتهمة موضعاً . وليس من خلة
 هي للغنى مدح الا وهي للفقير ذم فان كان شجاعاً قيل أهوج (أحق طائش) . وان
 كان جواداً سمي مبذراً . وان كان حليماً سمي ضعيفاً . وان كان وقوراً سمي بليداً ؛ وان
 الكريم لو كلف أن يدخل يده في فم الأفعى فيخرج منه سمّاً فيبتلعه كان أهون عليه
 وأحب اليه من مسألة البخيل اللئيم .

ان البلاء الذي يحتاج الهيئة الاجتماعية بالعطب والانحلال له انواع عدة ، منها
 ناحيتان مهمتان يجب أن لا يغفلا : احدهما الفقر وقد تكلمنا على أثره في النفوس ،
 الثانية الحرص والشره على المال وعدم انفاقه في وجوهه . وقد قيل ان الغنى الذي

(١) الاسراء . (٢) روح الاشتراكية — للدكتور جستانف لوبون ص ٢١ .

لا مروءة له — إن كان كثير المال : كالكلب لا يحفل به وإن طوق وخلخل بالذهب . قال تعالى ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ (١) .

لا تصلح الافراد والجماعات الا اذا استقامت على الطريق التي سنّها الله تعالى في كتابه العزيز وادوا فرائضه وفقاً لما أرشدهم به رسوله الكريم . وأن يحرصوا على اداء الزكاة حرصهم على بقية الفروض . وأن تخرج الزكاة من أجود المال واحبه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل الا طيباً فقال عز وجل : ﴿ انفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ (٢) .

ويجب على المتصدقين أن لا يفسدوا صدقاتهم بالمن والاذى قال تعالى : ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ﴾ (٣) . واختلفوا في حقيقة المن والاذى ف قيل المن أن يذكرها والاذى أن يظهرها . وقال سفيان من من فسد صدقته . فقيل له كيف المن ، فقال أن يذكره ويتحدث به . وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء . والاذى أن يعيره بالفقر . وقد قيل لا يتم المعروف الا بثلاثة أمور : تصغيره ، وتعجيله . وستره .

لو أخرج الاغنياء زكاة أموالهم المفروضة عليهم وتولى تنظيمها جماعة من أهل الرأي والسادد لا يمكن أن يخففوا من ويلات بؤس الناس وشقائهم . ويكفوهم عوز الحاجة ومرارتها فيمكن مثلاً : —

- ١ — إقامة منشآت للصناعات الزراعية . يشتغل فيها فقراء الجهة المقام فيها كعامل الزبدة وتربية النحل . والدجاج والارانب .
- ٢ — إنشاء جماعات تعاونية لاستئجار حقول لزراعتها وأن تكون الزكاة عوناً لهم على استئجار الآلات والبذور ودفع بعض الايجار كتأمين .
- ٣ — إقامة مصانع في المدن وتشغيل العاطلين فيها والمحتاجين .
- ٤ — إنشاء ملاجئ للعجزة .
- ٥ — إنشاء مستشفيات للرضى .

٦ - انشاء مستوصفات لعلاج الفقراء مجاناً

٧ - انشاء جماعات تعاونية متعددة الانواع حسب ما تتطلبه حاجة الافراد والجهات .

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا . وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلْ اعْمَلُوا أَفَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥) . سورة التوبة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ان النبي ﷺ بعث معاذاً الى اليمن - فذكر الحديث - وفيه « ان الله قد افترض عليهم صدقة في اموالهم تؤخذ من اغنيائهم ، فترد في فقرائهم » متفق عليه ، واللفظ للبخاري .

وعن انس أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب له : هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين ، والتي امر الله بها رسوله « في كل أربع وعشرين من الابل فما دونها الغنم (اي تؤخذ الغنم في زكاتها ، في كل خمس شاة) في كل خمس شاة ، فإذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض اثني (ما استكملت السنة الاولى ودخلت في الثانية) فإن لم تكن فابن لبون ذكر ، فإذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس واربعين ففيها بنت لبون (ما استكملت الثانية ودخلت في الثالثة) اثني فإذا بلغت ستا واربعين الى ستين ففيها حقة (ما استكملت الثالثة ودخلت في الرابعة) طروقة الجمل ، فإذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة (التي اتي عليها أربع سنين ودخلت في الخامسة) فإذا بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون ، فإذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل ، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة ، ومن لم يكن معه الا أربع من الابل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها . وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين الى عشرين ومائة شاة شاة ، فإذا زادت على عشرين ومائة الى مائتين ففيها شاتان ، فإذا زادت على مائتين الى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه .

فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة . فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة ، إلا أن يشاء ربها ، ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعا بينهما بالسوية ولا يخرج في الصدقة هرمة (هي الكبيرة التي سقطت أسنانها) ولا ذات عوار (بفتح العين معيبة العين . وبضمها عوراء العين) ولا تيس إلا أن يشاء المصدق . وفي الرقة (الرقة : الفضة الخالصة) في مائتي درهم ربع العشر (الدرهم قرشان مصريان وربيع) فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها ، ومن بلغت عنده من الأبل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة ، فإنها تقبل منه ، ويجعل معها شاتين إن استيسرتا له أو عشرين درهما ، ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الحقة ، وعنده الجذعة ، فإنها تقبل منه الجذعة ، ويعطيه المصدق عشرين درهما أو شاتين ، رواه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة » رواه البخاري ، ولمسلم « ليس في العبد صدقة إلا صدقة الفطر »

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كانت لك مائتا درهم - وحال عليها الحول - ففيها خمسة دراهم ، وليس عليك شيء حتى يكون لك عشرون دينارا ، وحال عليها الحول ، ففيها نصف دينار ، فما زاد فبحسب ذلك ، وليس في مال زكاة حتى يحول عايه الحول » رواه أبو داود ، وهو حسن ، وقد اختلف في رفعه .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من ولي يتيما له مال فليمتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة » رواه الترمذي والدارقطني ، واسناده ضعيف وله شاهد مرسل عند الشافعي .

وعن علي أن العباس سأل النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل ، فرخص له في ذلك . رواه الترمذي والحاكم .

وعن جابر عن رسول الله ﷺ قال : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود من الأبل صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة » رواه مسلم .

وله من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر ولا حب صدقة ، وأصل حديث أبي سعيد متفق عليه .

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر » رواه البخاري ، ولأبي داود « إذا كان بعلا العشر ، وفيما سقى بالسواني أو النضح نصف العشر » .

ملخص عن الزكاة

تجب الزكاة في الأحوال التي ستأتي إذا كان المالك مكلفاً .

زكاة الحيوان : إنما تجب منه في النعم وهي الابل والبقر والغنم .

إذا بلغت الابل خمسا ففيها شاة ثم في كل خمس شاة فإذا بلغت خمسا وعشرين ففيها ابنة مخاض (وهي ما بلغت الحول) أو ابن لبون وفي ست وثلاثين ابنة لبون (وهي ما بلغت حولين) وفي ست وأربعين (حقة) (وهي ما بلغت ثلاثة أعوام) وفي إحدى وستين جذعة (وهي ما بلغت أربعة أعوام) وفي ست وسبعين بنتا لبون وفي إحدى وتسعين حقتان إلى مائة وعشرين فإذا زادت ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة .

ويجب في ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة (وهي ذات الحول) وفي كل أربعين مسنة (وهي ذات الحولين) . ثم كذلك . يدل على ذلك ما أخرجه أحمد وأهل السنن وابن حبان والحاكم وصحاحه من حديث معاذ بن جبل قال بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعا أو تبيعة ومن كل أربعين مسنة فإذا زادت على الأربعين فلا شيء في الزائد حتى تبلغ سبعين وفيها تبيع ومسنة إلى ثمانين وفيها مسنتان ثم كذلك . قال ابن عبد البر في الاستدكار لا خلاف بين العلماء أن السنة في زكاة البقر على ما في حديث معاذ وأنه النصاب المجمع عليه .

ويجب في أربعين من الغنم شاة إلى مائة وإحدى وعشرين وفيها شاتان إلى مائتين وواحدة وفيها ثلاث شياه إلى ثلثمائة وواحدة وفيها أربع ثم في كل مائة شاة . وهذا التفصيل هو الثابت في حديث انس وفي حديث ابن عمر وقد وقع الإجماع على ذلك . ولا يجمع بين مفترق من الأنعام ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ولا شيء فيما

دون الفريضة ولا في الأوقاص^(١) وما كان من خليطين فيتراجعان بالسوية ولا تؤخذ
هرمة ولا ذات عور ولا عيب ولا صغيرة ولا أكلة ولا رُبِّي^(٢) ولا ما خض^(٣)

زكاة الذهب والفضة

هي إذا حال على أحدهما الحول ربع العشر، ونصاب الذهب عشرون ديناراً،
ونصاب الفضة مائة درهم ولا شيء فيما دون ذلك، ولا زكاة في غيرهما من الجواهر
وأموال التجارة والمستغلات.

ثبت عن رسول الله ﷺ في الصحيح من حديث ابن هريرة: ليس على المسلم
صدقة في عبده ولا فرسه. وظاهر ذلك عدم وجود الزكاة في جميع الأحوال. وقد نقل
ابن المنذر الإجماع على زكاة التجارة وهذا النقل ليس بصحيح وأول من يخالف في
ذلك الظاهرية وهم فرقة من فرق الإسلام، وأما عدم وجودها في المستغلات كالدور
التي يكرها مالكمها وكذلك الدواب ونحوها فلعدم الدليل كما قدمنا.

زكاة النبات

يجب العشر في الحنطة والشعير والذرة والتمر والزبيب وما كان يسقى بالمتى منها
ففيه نصف العشر ونصابها خمسة أوسق ولا شيء فيما عدا ذلك كالخضروات وغيرها.
ويجب في العسل العشر. ويجوز تعجيل الزكاة وعلى الإمام أن يرد صدقات اغنياء كل
محل في فقرائهم، ويرأ رب المال بدفعها إلى السلطان وإن كان جائراً.

مصارف الزكاة

وهي ثمانية كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾.

(١) الأوقاص (جمع وقص) : ما بين الفريضتين من نصب الزكاة مما لا زكاة فيه ، وهو في
البحر خاصة . والأشناق في الأبل

(٢) ربي : الشاة أو المعزى إذا ولدت

(٣) التي دنا ولادها وأخذها الطلق

وتحرم على بنى هاشم ومواليهم وعلى الأغنياء والأقوياء المسكتسين .

صدقة الفطر

هو صاع من القوت المعتاد عن كل فرد والوجوب على سيد العبد ومنفق الصغير ونحوه ، ويكون اخراجها قبل صلاة العيد . ومن لا يجد زيادة على قوت يومه وليسته فلا فطرة عليه ومصرفها مصرف الزكاة .

أما ما يجب فيما يغنم في القتال وفي الركاز فهو الخمس ولا يجب فيما عدا ذلك ، ومصرفه قوله تعالى ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ .

الصوم

وأثره من نواحيه الطبية والفقهية والاجتماعية

كفل الاسلام حياة الانسان بأحسن الأنظمة الاجتماعية ليتحلى بمكارم الاخلاق، وبما وضعه من الخطط الحكيمة التي توصله الى سعادته في معاشه ومعاذه، كما كفل حياة الجماعة بخير النظم وأقوم المبادئ. ومن ذلك الصوم وهو من فرائض الاسلام التي بنى عليها، وقد كتب على القادرين من الاغنياء والفقراء والعلماء والجهلاء، يتساوى فيه الجميع بالحرمان من الطعام والكف عن الشهوات من الفجر الى غروب الشمس شهرا كاملا وهو شهر رمضان من كل سنة هجرية.

شهر رمضان يتساوى فيه المعسر والموسر، من التزام أمر الله تعالى باجتنب المأكل والمشرب فيشعر الغنى بمرارة الجوع فيعطف على أخيه الفقير فتزداد أواصر الاجتماع بالعطف، وتقوى بالتوادد والبر.

الصوم عدة لأدب النفس على أن تسمو على شهواتها فتخضعها، ووسيلة لتذيقها ألم الحرمان فيدعوها ذلك الى الرأفة والبذل للهجرومين والمعوزين، فتسعد الهيمنة الاجتماعية بتهذيب الاغنياء وسد حاجة الفقراء، فما أجل الصوم ان عمل بأحكامه، وقد فرض من حكيم خبير.

قال أحد فلاسفة الانكليز: لو قام بيننا مستبد طاغية يسلبنا أمواتنا، ويأمرنا بتعاطي مادة تحط من قدرنا، وتنتزع صفات الانسانية من نفوسنا حتى نصير أشبه بالبهائم، ثم تقضى على راحة بيوتنا، وتبذر فينا بذور المرض والموت العاجل، لأصبحنا وكلنا جماعات ساخطة تعقد، ومظاهرات ضخمة تنظم، وخطباء مفوهون للحرية ينتصرون، وللخلاص مما ألم بهم من الظلم يطلبون، مع أن هذا الحاكم المستبد مقيم بيننا، لا تقوى عليه الجنود ولا تسقط جبروته الاصوات، ونحن بالاذعان لسلطانه والنزول على حكمه راضون، ذلك هو سلطان الشهوات.

ألا لا سبيل إلى انزال هذا الطاغية عن عرش جبروته إلا بالوسائل الأدبية، أى بتهذيب النفس ورياضتها، ومراعاة حرمتها وضبطها. وكل وسيلة غير هذه للخلاص

من استجداد الشهوات عديمة الجدوى . وليس تهذيب القوانين ، ولا تحسين طرق الانتخاب ، ولا اصلاح الحكومات ، ولا التعليم المدرسى برافعة من أخلاق قوم بينهمكون في الملاحى بمحض رغبتهم . والانهك في الملاحى غير الشريفة يدعو لا محالة الى نقص السعادة الحققة . لانه يقضى على الآداب ويضعف الهمم . ويذهب برجولة الافراد وصحتهم وسلامة الامم وعظمتها ^(١) . ليس الصوم من كبرى الوسائل لضبط النفس وكبح شهواتها ولو الى حين ؟ !

أمر الله المسلمين البالغين القادرين كافة ذكورا واناثا شيوخاً وشباناً بصيام شهر رمضان ، ويعد هذا الشهر شهر الرياضة الحققة للنفس ، والعبادة الصادقة ، لانه ليس على الصائم رقيب غير نفسه وربه . قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَمَنْ شَهَرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ . فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ^(٢) 》 .

ذكر الاستاذ الأمام الشيخ محمد عبده أن الصيام يعد نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى ، ويظهر ذلك من وجوه كثيرة : أعظمها شأننا وأنصعبها برهاننا وأظهرها أثراً وأعلاها خطراً ، أنه أمر موكول إلى نفس الصائم ، لا رقيب عليه فيه الا الله تعالى ، وسر بين العبد وربّه ، لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه . فاذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التى تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتنال لامر ربه والخضوع لارشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظاً عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس وشراب عذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها ، وهو في أشد التوق لها ، لاجرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة

(١) كتاب الأخلاق لصمول سميلز تعريب الاستاذ محمد صادق حسين . (٢) سورة البقرة .

المصاحبة للعمل مملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه . وفي هذه المراقبة من كمال الايمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الآخرة . وكما تؤهل هذه المراقبة النفوس المتحملة بها لسعادة الآخرة تؤهلها لسعادة الدنيا أيضا ، انظر هل يقدم من تلبس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم ؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلا لا موالهم بالباطل ؟ هل يحتال على الله تعالى في منع الزكاة وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه ؟ هل يحتال على أكل الربا ؟ هل يقترف المنكرات جهارا ، هل يجترح السيئات ويسدل بينه وبين الله ستارا ؟ كلا ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي اذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى . وإذا نسي وألم بشيء منها يكون سريع التذكر ، قريب الفى والرجوع بالتوبة الصحيحة ﴿ ٧ : ٢٠١ ﴾ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (١) .

فالصيام أعظم مرب للارادة وكأج الجاه الاواء ، فأجدر بالصائم أن يكون حرا يعمل ما يعتقد أنه خير لا عبدا للشهوات .

ومن وجوه اعداد الصوم للتقوى أن الصائم عند ما يجوع يتذكر من لا يجد قوتاً فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين الى البذل والصدقة . وقد وصف الله تعالى نبيه بأنه رؤوف رحيم ويرضى لعباده ما ارتضاه لنبيه ﷺ ، ولذلك أمرهم بالتأسي به بل وصف المؤمنين بقوله ﴿ رحماء بينهم ﴾ (٢) .

والصوم كما قال أمير الشعراء شوقي : هو « حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع . واسل فريضة حكمة ، وهذا الحكيم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة . يستثير الشفقة ويحض على الصدقة ، ويكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن جلال البر ، حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه اذا لدغ » .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف . قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة

عند لقاء ربه ، ولخلاف (تغيير ريح) فم الصائم (من ترك الاكل والشرب) أطيب
عند الله من ريح المسك . وفي رواية : الصيام جنة (وقاية) فاذا كان يوم صوم أحدكم
فلا يرفث ولا يصخب (الضجة والجلبة) فان شأته أحد أو قاتله فليقل : انى صائم ،
انى صائم (أخرجه الستة) .

وذكر الامام الغزالي أن الصوم ثلاث درجات : (١) صوم العموم (٢) وصوم
الخصوص (٣) وصوم خصوص الخصوص .

١ -- أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

٢ -- وصوم الخصوص فهو الكف المذكور ، مع كف السمع والبصر واللسان
واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

٣ -- وصوم خصوص الخصوص فهو ما ذكر ، مع صوم القلب عن الهمم الدنيئة
والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله تعالى بالسكينة . ويحصل الفطر في هذا الصوم
بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ، وبالفكر في الدنيا ، الا دنيا تراد للدين
فان ذلك من زاد الآخرة ، وليس من الدنيا ، وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين

الصوم والعافية

فرض الله سبحانه وتعالى صوم شهر في السنة ، وفي ذلك من الفوائد الكثيرة
ما لا يخفى على بصير خبير . نذكر بعضا منها :

ان الاسترسال في شهوة البطن مما يفضى في كثير من الاحيان الى مرض الجسم
ببشتى الامراض . والصوم هو من أكبر الوسائل في تخفيف حدة النهم ، وذلك بما
يدعو الى راحة المعدة وصحة الجسم .

يقول الدكتور هيج ان أسباب الامراض هي الحوامض السامة التي تنضاف
الى الدم من سوء التغذية . أكبرها خطرا حمض البولييك (اسيد اوريك) وحمض
الاوكساليك والنطرون . وصرح بأن لا سبب للنوراستينيا وهو مرض ضعف الاعصاب
الذى ينتشر اليوم انتشارا مريعا بين جميع الطبقات إلا حمض البولييك . وكذلك هو
من الأسباب الاصابة بالنقطة والروماتيزم وألم الرأس والصداع والجنون وضعف

القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكرى وأمراض القلب ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البولييك ، ولكنه أول من حدد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية .

قال هيج وهذا القول أساس مذهبه : إن السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تثبت في تفرعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية ، فتقل قوة سريان الدم ويشد ضغطه على القلب ، ويكون سببا لضعف عام للبيئة ولاختلال جميع الاعضاء . ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالي تواردها على سائر الاعضاء فتمرضها أيضا . فيشكو صاحبها العوارض المختلفة . ويعرض نفسه على الأطباء فيشخصه كل منهم على ما تسمح به نظرياته ، فتارة ينصحونه بتعاطي المقويات ، وأخرى بأخذ المنوعات ، ومرة يأمرونه بالسياحة ، وأخرى بالراحة ، وحينما يمزقون جلده بابر الحقن . وهم في ذلك كله بعيدون عن حقيقة الداء . فلو علموا أنه ناشئ عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحمية صحية لشفي المصاب (١) .

حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال : ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه .

فقال الهندي : الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الأسود .

وقال العراقي : هو حب الرشاد الأبيض .

وقال الرومي : هو عندي الماء الحار .

وقال السوادي وكان أعلمهم : الاهليلج الاسود يعفص المعدة وهذا داء ، وحب الرشاد يزلق المعدة وهو داء ، والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء . قالوا فما عندك ، فقال الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيبه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيبه . فقالوا صدقت .

وقد قيل البطننة أصل الداء والحمية أصل الدواء . وعودوا كل جسم ما اعتاد .

(١) دستور التغذية للاستاذ محمد فريد وجدي .

وفي الأثر : صوموا تصحوا . ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسام
من الاسقام ، وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما .

الصوم والخلق

الصوم أداة لتهديب الخلق ورفع مستوى النفس الى مكارم الأخلاق والبعد عن
القبائح والمعاصي ومفاسد الأمور .

وقد ذكر الامام الغزالي أن صوم الصالحين يتم بستة أمور (١) :

الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل
ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله ، ويجب أن يبتعد الصائم عن الكذب والغيبة
والتيمة واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة .

الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والفحش والجفاء والخسومة والمراء ، والزامه
السكوت وشغله بذكر الله سبحانه تعالى وتلاوة القرآن والاشتغال بما هو نافع ، فهذا
صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . وروى ليث عن مجاهد خصلتان
يفسدان الصيام : الغيبة والكذب .

الثالث : كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لأن ما حرم قوله حرم الاصغاء
اليه ، ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وأكل السمحت فقال تعالى ﴿ سماعون
للكذب آكلون للسمحت ﴾ وقد ورد في الأثر : المغتاب والمستمع شريكان في الاثم .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل . ومن المكروه . وكف
البطن عن الشهوات وقت الافطار . فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال
ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا . وقد ورد
في الأثر كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش . فقليل هو الذي يفطر
على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة
وهو حرام . وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام .

(١) احياء علوم الدين للامام الغزالي . الجزء الاول والثاني

الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه ، فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن مليء من حلال . وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضخوة نهاره ؟ ومن الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده .

السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين . وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى الحسن بن أبي الحسن البصري أنه من يقوم وهم يضحكون فقال : ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته . فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام خابوا . فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وغاب فيه المبطولون . أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل الحسن باحسانه والمسيء بامسائه . أي كان سرور المقبل يشغله عن اللعب ، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك

قيل للاحنف بن قيس : انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك . فقال : اني أعدده لسفر طويل . والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه .

كان الحسن رحمه الله عليه اذا تلا قوله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ . قال : عرضها على السماوات السبع والطباق والطرائق التي زينها بالنجوم فقال لها سبحانه وتعالى : هل تحملين الامانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت . وإن أسأت عوقبت . فقالت لا . ثم عرضها على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشواخ الصلاب الصعاب فقال لها : هل تحملين الامانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة ، فقالت لا ، ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه . فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة بأموالهم فأصابوا آلافا فمادوا صنعوا فيها ؟ وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم . واسمنوا يراذبنهم ، وأهزلوا دينهم . واتبعوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان

يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية . يقول أحدهم : تبيعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا . يتكبر على شماله ويأكل من غير ماله . حديثه سخرة وماله حرام . حتى اذا أخذته السمكة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء أهضم به طعاعى . يا لكع اطعامك تهضم ؟ انما دينك تهضم . أين الفقير ؟ أين الارملة ؟ أين المسكين ؟ أين اليتيم ؟ الذين أمرك الله تعالى بالبر اليهم والعطف عليهم .

الصيام زكاة للنفس ، ورياضة للجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، وللرحمة بالانسانية دعاية .

في جوع الجسم صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة . لان الشمع يورث البلادة ، ويعمى القلب ، ويكثر البخار في الدماغ فيتبدل الذهن . والصبي اذا ما كثر أكله بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، وصار بطيء الفهم والادراك ، وقد قيل : أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق .

وقال أيضا : من أجاج بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه .

يفيد الصوم وقلة الأكل الجسم صحة ، ويدفع الامراض التي تسبب من كثرة وزيادة الشبع كما قدمنا . ثم ان المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش .

اذا ما أحس الانسان بألم الجوع تذكر بلاء الله وعذابه ، فتذكر أهل البلاء فيعطف عليهم ويبرهم ويسد باب الثورات الاجتماعية التي كثيرا ما تحدث من حرمان الطبقات الفقيرة من حاجياتهم الضرورية .

قال الدكتور غوستاف لوبون : زادت حاجات البشر في العصر الحاضر على الوسائل اللازمة لقضائها زيادة عظيمة ، فقد أثبت رجال الاحصاء أن الترف لم يبلغ في زمان ما بلغه الآن ، وان الحاجات لم تكن ذات صولة كما هي اليوم . . . وأخذ أكثر الناس يتدبون سوء حظهم ويسعون في تحطيم الحواجز التي تحجب المال عنهم ، وبذلك ازدادت عندهم الاثرة الذاتية التي لا وازع لها ، وصاروا لا يبالون بالمصالح العامة والمبادئ ، وأصبح المال الغاية الوحيدة التي يحرقون وراها ، تلك الغاية أنستهم جميع الغايات .

تتج عن التهافت على تحصيل المال انحطاط عام في الاخلاق وكل ما يتفرع عن هذا الانحطاط من العواقب .

وتتج عن العبث بالمسال وعن فساد الاخلاق المتكاثر عند الطبقات الوسطى حجة بيّنة يحتاج بها اشتراكيو هذا العصر في مطاعنهم لعدم المساواة في توزيع الارزاق . وها قد سهل عليهم الادعاء بأن الاموال الوفيرة في هذه الايام أخذت في الغالب خلسة من ألوف من البائسين . . .

ولذلك نادى الاشتراكيون بتغيير النظم الحالية وقلبها رأساً على عقب واستبدالها بنظم أخرى يكون الحكم فيها للعمال والطبقات الفقيرة (١) .

ولو أن الاسلام انتشر في أوروبا والعالم وأخذت الامم بتعاليمه لما وجدت تعاليم الاشتراكية أرضاً صالحة ولا أنصاراً ، ولقسام المجتمع الانساني على تضامن الفقير والغني يعملون لغاية واحدة وهي الخير العام ، لان من صفات المسلم وواجباته العطف على الفقير ، وان العبادات الاسلامية ترمي الى توحيد الله والبر بالمجتمع والانسانية فما ذكرت الصلاة إلا وذكرت الزكاة ، وما ذكر الايمان الا وذكر معه صالح الاعمال ، وما ذكر الصوم إلا وذكرت الصدقة . انظر الى صفة المسلم النقي الناجي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِلَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

(١) روح الاشتراكية للدكتور جوستاف لوبون . ص ٢٠ - ٢١

(٢) سورة الاحزاب .

بعض الأحاديث

التي وردت عن النبي ﷺ في الصيام

فرض الصوم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يعجبنا أن يحكي الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، اتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . قال صدق . قال فمن خلق السماء . قال الله . قال فمن خلق الأرض . قال الله . قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل . قال الله . قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آله أرسلك ؟ قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا . قال صدق . قال فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا ؟ قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا . قال صدق . قال فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا ؟ قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا صوم رمضان في سنتنا . قال صدق . قال فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا . قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال صدق . قال ثم ولي وقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليكم ولا أ نقص منهم . فقال النبي ﷺ : لئن صدق ليسدخلن الجنة . وزاد في رواية فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورأي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر . رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : اتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم . وتغل فيه مردة الشياطين . لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم . رواه النسائي والبيهقي .

وعن النضر بن شيبان رضي الله عنه قال : قلت لأبي سلمة بن عبد الرحمن حدثني شيء سمعته من أبيك سمعه أبوك من رسول الله ﷺ ليس بين أبيك وبين رسول الله

ﷺ أحد في شهر رمضان . قال نعم حدثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم ومننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . رواه النسائي وأحمد .

أدب الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يقول : قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب . فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

وفي رواية : كل عمل ابن آدم يضاعف الخمسة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجله وعنه عن النبي ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين . رواه الخمسة إلا أبا داود . ولفظ الترمذي إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر . ولله عتقاء من النار . وذلك كل ليلة . وعنه عن النبي ﷺ قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . رواه الخمسة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وزاد : وما تأخر .

وعن سهل رضي عنه عن النبي ﷺ قال : إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد . رواه الشيخان البخاري ومسلم والنسائي .

عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال عمر من يحفظ حديث النبي ﷺ في الفتنة ؟ قال حذيفة : أنا سمعته يقول فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة . قال ليس أسأل عن هذه أسأل عن التي تموج كما يموج البحر . قال إن دون

ذلك بابا مغلقا. قال فيفتح أو يكسر قال يكسر. قال ذاك أجدر ألا يعاقب الى يوم القيامة فقلنا لمسروق سله أكان عمر يعلم من الباب فسأله فقال نعم كما يعلم أن دون غد الليلة . رواه البخارى ومسلم والترمذى .

عن جابر رضى الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : أرأيت اذا صليت الصلوات المكتوبات وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم ازد على ذلك شيئا أَدْخَلَ الجنة . قال نعم . قال والله لا أزيد على ذلك شيئا رواه مسلم . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال : لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين . قال ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى يبلغ يعملون ثم قال : الا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه . قلت بلى يا رسول الله . قال : رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : الا أخبرك بملاك ذلك كله . قلت بلى يا نبي الله . فأخذ بلسانه وقال كيف عليك هذا . فقلت يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما تتكلم به . فقال نكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد السنتهم . رواه الترمذى فى الايمان وصححه .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه . قلت يا رسول الله مرني بأمر يتفغننى الله به . قال عليك بالصيام فانه لا مثل له . رواه النسائى والحاكم وصححه .

أوقات الصوم

وعن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال اذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر الصائم . روى هذه الثلاثة الاصول الخمسة (البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان للنبي ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم الأعمى فقال رسول الله ﷺ ان بلالا لا يؤذن بليل فسلوا

واشربوا حتى يؤذن ابن مكتوم . قال ولم يكن بينهما الا أن ينزل هذا ويرقى هذا .
رواه الشيخان (البخارى ومسلم) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : لا تصوموا حتى تروا الهلال
ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له . رواه الخمسة (البخارى ومسلم وأبو
داود والترمذى والنسائى) . ولفظ الترمذى لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته
وافطروا لرؤيته فان حالت دونه غيابة فأكلوا ثلاثين يوما . وللبخارى : فان غم
عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين . وفى رواية فان غم عليكم فصوموا ثلاثين
يوما . وعنه عن النبي ﷺ قال إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا
يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .
وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تسحروا فان
فى السحور بركة » متفق عليه .

وعن سليمان بن عامر الضبي عن النبي ﷺ قال « اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر .
فان لم يجد فليفطر على ماء ، فانه طهور » رواه الخمسة ، وصححه ابن خزيمة وابن
حبان والحاكم .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال ، فقال رجل
من المسلمين : فانك تواصل يا رسول الله ؟ فقال « وأيكم مثلى ؟ إني أبيت يطعمنى
ربى ويسقئنى » فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ، ثم يوما ، ثم رأوا
الهلال فقال « لو تأخر الهلال لذتكم » كلمنكل لهم حين ابوا أن ينتهوا . متفق عليه .
وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من لم يدع قول الزور والعمل
به والجهل ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه » رواه البخارى وأبو داود ،
واللفظ له .

أحكام في الصيام

حكم من أكل أو شرب ناسيا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من نسي وهو صائم ، فاكل أو شرب ، فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه » متفق عليه .
وللحكم « من أفطر في رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » وهو صحيح .

حكم من ذرعه القيء

وعن ابن هريرة رضي الله تعالى عنه : قال رسول الله ﷺ « من ذرعه القيء فلا قضاء عليه ، ومن استقاء فعليه القضاء ، رواه الخمسة ، وأعله أحمد ، وقواه الدارقطني .

الصيام في السفر

وعن حمزة بن عمرو الاسلمي رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، اني أجد في قوة الصيام في السفر فهل على جناح ؟ فقال رسول الله ﷺ « هي رخصة من الله ، فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » رواه مسلم . وأصله في المتفق عليه من حديث عائشة أن حمزة بن عمرو سأل .

حكم الشيخوخة في الصيام

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ، ولا قضاء عليه » رواه الدارقطني والحاكم وصحاه .

أحكام عامة في الصيام

الوطء — الجنابة

وعن ابن هريرة رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : هلكك يا رسول الله . قال « وما أهلكك ؟ » قال وقعت على امرأتى في رمضان . فقال « هل تجد ما تعتق رقبة ؟ » قال لا . قال « فهل تستطيع ان تصوم شهرين

مستأبعين؟ قال لا ، قال فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ قال لا ، ثم جلس .
فأتى النبي ﷺ بهرق فيه تمر . فقال « تصدق بهذا » فقال أعلى أفقر منا ؟ فابين
لابتيها أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه . ثم قال
« اذهب فأطعمه أهلك » رواه السبعة واللفظ لمسلم .

وعن عائشة وام سلبية رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ كان يصبح جنباً من
جماع . ثم يغتسل ويصوم . متفق عليه . وزاد مسلم في حديث ام سلبية ولا يقضى .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال « من مات وعليه صيام صام
عنه وليه » متفق عليه .

وعن أبي قتاده الانصارى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم
يوم عرفة . فقال « يكفر السنة الماضية والباقية » وسئل عن صوم يوم عاشوراء
فقال « يكفر السنة الماضية » وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال « ذلك يوم ولدت
فيه وبعثت فيه وانزل علي فيه » رواه مسلم .

صوم النافلة

وعن أبي أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « من
صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما من
عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم عن وجهه النار سبعين خريفاً »
متفق عليه واللفظ لمسلم .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول
لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام
شهر قط الا رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان . متفق عليه .
واللفظ لمسلم .

وعن أبي ذر رضى الله تعالى عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ « أن نصوم من

الشهر ثلاثة أيام ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، رواه النسائي والترمذي وصححه ابن حبان

لا تصوم المرأة المتزوجة الا باذن زوجها فيما يختص بالنفل

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا بإذنه، متفق عليه واللفظ للبخاري، زاد أبو داود (غير رمضان)».

صيام العيدين

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن صيام يومين يوم الفطر ويوم النحر. متفق عليه

الحج وأثره

من نواحية التعبدية والاجتماعية والعملية

وضع الاسلام نظام الحياة الفردية من القصد في المعيشة والتجلى بمسكارم الاخلاق ، حتى تقوم الجماعة على أمتن الاسس وأقواها ، من التضامن في صالح الاعمال ، وتوحيد غايتها في رضاء الله ، والتقرب اليه بعمل الخير واسداء البر لاهله . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ (١) ﴾

فرض الله الصلاة ليتصل العبد بربه بالاقرار بعبوديته ، وليصل الانسان أخاه الانسان بالرحمة والعطف امثالا لامره ، كما فرض عليه الزكاة تطهيراً لماله ، ولبنائها للفقراء من اخوانه وأبناء جنسه . واذا ما اشتد ساعد الجماعة وشبت على خير الاخلاق وأزكى مثل الفضيلة احتاجت الى تعارف اخوانها من الجماعات الاخرى لتزداد أواصر الانسانية احكاماً فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٢) ﴾

وكما فرض الله تعالى صلاة الجماعة لتعارف أهل الجهة والقرى فقد فرض الحج ليم التعارف بين أهل البلاد والمدن والممالك ، وبذلك يتم بناء الانسانية ، وتبادل المنافع بين أبنائها . قال تعالى :

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ (٣) ﴾

والحج في اللغة القصد مرة بعد أخرى ، فقبل حج البيت لان الناس يأتونه في كل

سنة . فقال تعالى ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ^(١) ﴾ أى مرجعاً يأتونه فى كل سنة ثم يرجعون اليه فلا يقضون منه وطراً ، أى لا يدعونه الناس اذا أتوا اليه أن يعودوا اليه ثانية .

وحج البيت فى الشرع قصده على ما هو فى اللغة ، الا أنه قصد على صفة معينة ، فى وقت معين ، اقترنت به أفعال معينة .
وحج البيت الحرام (ومقره مكة) فريضة كفريضة الصلاة والصيام والزكاة ، قال الله عز وجل :

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ^(٢) ﴾

أمر الله تعالى ابراهيم واسماعيل أن يبنيا البيت ، فصدعا بالامر وبنيا الكعبة ، فى مكة . ولما تم بناؤها أمر الله تعالى ابراهيم أن يعلم الناس بأنه بنى بيتاً لعبادة الله تعالى وأن عليهم أن يقصدوه للنسك . وطلب ابراهيم واسماعيل من الله تعالى أن يريهما المناسك التى ينسكانهما .

والكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى ، فى حين أن بقية الشعوب والقبائل فى سائر أنحاء الارض كانوا يبنون البيوت لعبادة الاصنام والتماثيل . قال تعالى :
﴿ ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة ^(٣) مباركاً وهدى للعالمين ^(٤) ﴾

﴿ وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين ^(٥) والعاكفين ^(٦) والركع السجود ^(٧) ﴾

﴿ واذا رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم ^(٨) ﴾
وقد ذكر الله تعالى كيفية الحج فى كتابه بمناسكه ومشاعره واحكامه ووقت ادائه وما يحل فيه وما يحرم ، وبين رسول الله ﷺ كل ما أجمل الله عز وجل فى كتابه من أمر الحج ، فوقت المواقيت لأهل الآفاق ، وبين عدد الطواف بالبيت والسعى

(١) سورة البقرة (٢) سورة آل عمران (٣) سورة آل عمران (٤) سورة البقرة

بين الصفا والمروة ، وما يبدأ به من ذلك وكيف يصنع فيه ، ووقت الوقوف بعرفة والمزدلفة والجمع بين الصلاتين بهما وصفة رعى الجمار والنحر ، وما يجب في ذلك كله وما لا يجب قولاً وعملاً ، في حجته التي حججها بالناس .
وفرائض الحج أربعة : النية ، والوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة (١)

اثر الحج

ان ذهاب عشرات الآلاف من مسلمي العالم على اختلاف بلادهم وأجناسهم وألوانهم ولغاتهم الى مكة لاداء فريضة الحج له أثر بالغ في تربية النفس ، وذلك باحتمال مشقة السفر ووعث الطريق في سبيل تحقيق المبدأ . وهذا رياضة الوجدان على طاعة الرحمن .

اجتماع الألوف المؤلفة من مختلف الاجناس البشرية الاسلامية من بقاع الكرة الارضية بين فقير مقل وغنى كبير الثراء : الالبيض والاسود والاصفر والاسمر ، وعالم وجاهل ، وأمير ورفيع ، وصغير ووضيع في صعيد واحد بلباس واحد في وقت واحد تنفيذا لامر الله الواحد ، وطلباً لغفرانه ومرضاته من أكبر الاسباب في تحقيق المساواة .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ ما يلبس المحرم (الحاج والمعتمر) قال : لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا البرنس (كل ثوب رأسه منه) ولا السراويل ولا ثوباً مسه ورّس (ثوب مصبوغ له لون أحمر يضرب الى الصفرة) ولا زعفران ولا الخمين الا أن لا يجد نعلين فليقطعهما حتى يكونا أسفل من السكعين . أخرجه الستة . وهذا لفظ الشيخين وزاد البخاري ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من لم يجد ازاراً

(١) يراجع في ذلك كتب الفقه

فليلبس سراويل ، ومن لم يجد فعيلن فليلبس خفين (أى وليقطعهما ، كما فى الحديث السابق) . أخرجه الخمسة .

وقد جمع الحج العوامل الاربعة التالية التى تعتبر أساسا لظواهر اجتماعية راقية يشيد عليها بناء الجامعة الاسلامية والرابطة الانسانية :

١ - الاتصال بين أفراد الشعوب وهو أساس المجاملة والتعارف الى ما هنالك من درجات التفككة .

٢ - التقليد أساس التطور الاقصادى فى الصناعات والمعاملات الخ

٣ - التساهل أساس تقرير العدالة وتطور القضاء .

٤ - التحالف والتعاون أساس النظـامات السياسية والاقتصادية والدفاعية الحربية . ونشر السلام العام .

قال الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزى « متى وجدت العلاقة بين الناس تشابهوا لا محالة وان تفاوتوا فى الثروة وقسموا فى طبقات » .

كان من الاعمال الكبرى لامام المسلمين اقامة حجهم . وكان الحج معتبرا فى نظر الخلفاء الراشدين موسما عاما يجتمع فيه أمراء الجهات ليدلوا الى الخليفة بما عندهم من الاحوال فى بلادهم : ولتسمع شكوى من يشكوه من رعيتهم ، وكان الخلفاء يلونه بأنفسهم ، وقلما يتخلفون ، وكان أكثرهم توليا لأمر الحج بنفسه عمر بن الخطاب فإنه حج سنه كلها لم يتخلف فى واحدة منها إلا أنه حصل خلاف فى السنة الاولى من حكمه فقلل انه أناب عنه عبد الرحمن بن عوف .

كان الاهتمام بأمر الحج قد جعل له مظهرا كبيرا عظيما ، وفائدة كبرى فى تعارف المسلمين بعضهم ببعض ، وكان الخلفاء يحثهم به من الاخبار مالا يمكن أن يصل اليهم بواسطة الولاة (١)

حج الاستاذ الحاج ناصر الدين دينه المستشرق الفرنسى والمصور المشهور الى بيت الله الحرام سنة ١٩٢٩ وألف فى ذلك كتابا يشمل جميع ذكرياته يقع فى مقدمة

(١) تاريخ الاسلام : الخلفاء الراشدون . للاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤٩٩

موسبعة فصول وخاتمة وملحق ذى فصلين فى أكثر من مائتى صفحة . قال المؤلف فى خاتمة كتابه :

لقد استرعت أنظارنا بصفة خاصة أنشاء رحلتنا أمور ثلاثة على جانب عظيم من الاهمية بالنسبة للمستقبل وهى :

أولا - قوة الحياة الكامنة فى اللغة العربية .

ثانيا - قوة العقيدة الاسلامية .

ثالثا - اصرار أوربا فى عداوتها للاسلام لإصراراً ظاهراً .

ولنذكر باختصار رأيه فى هذه الامور الثلاثة :

أولا - قوة الحياة الكامنة فى اللغة العربية .

وهناك الالوف من الحجاج الاعاجم (غير العرب) الذين يقبلون على تعلم اللغة العربية بشغف زائد ليتسنى لهم قراءة القرآن واستيعاب معانيه . والكثيرون منهم يقدرون على التعبير بها من غير ما خطأ بالرغم من سقم فطنتهم . ولقد تسنى لنا محادثة بعض الجاويين والهنود والفارسيين والخراسانيين وأهالى البوسنة والأتراك والالبانيين وأهل القوقاز والسفغال والسودان من غير أن تصادفنا صعوبة تذكر .

ويجد الانسان فى دراسة تلك اللغة العجيبة ميزة خاصة بها ، فانها من بين جميع اللغات القديمة اللغة الوحيدة التى لا تزال حية للآن ، ولو عاد اليوم أحد معاصرى النبى ﷺ لما وجد أية صعوبة فى التفاهم مع جميع الناطقين بالضاد ، على حين أنه لو عاد أحد معاصرى قيصر لما تأتى له إلا ان يتكلم مع بعض الاساتذة المدرسين ، ومع ذلك فن المشكوك فيه أن يتسنى له أن يفهمهم كل الفهم . كما أن أحد معاصرى فرنسوا الاول لو عاد لوجد صعوبة قامة فى التخاطب مع فرنسى اليوم الخ .

ثانيا - قوة العقيدة الاسلامية ... لا حاجة بنا الى تكرار ما رأيناه من المعجزات التى تجلت لنا من جراء فعل هذه العقيدة بالنفوس

لو كان الاسلام الحقيقى معروفا فى أوروبا لكان من المحتمل أن ينال أكثر من أى دين آخر من العطف والتأييد من جراء روح التدين التى نجمت عن الحرب الكبرى ، فانه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم ، فهو ببساطته المتناهية كما يذهب اليه المعتزلة وباشتغاله على روح التصوف كما يذهب اليه

أهل الصوفية يهدى علماء أوروبا وآسيا إلى الطريق المستقيم ، ويجدون فيه تعزية وسلى من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامة في آرائهم وأفكارهم ، كما أنه هدى وتعزية لزوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهاهم الوثنية ، ويرقى بروح ذلك التاجر الانكليزي رجل العمل الذي يعتبر الوقت من ذهب كما يرقى بروح الفيلسوف المدين ، ويسمو بنفس الشرقي المفكر ذى التأملات والخيالات ، كما يسمو بنفس الغربي الشغوف بالشعر ، بل هو يسحر لب الطبيب العصري بما قرره من الضوء المتكرر كل يوم ، وبما فى الصلاة من حركات منتظمة تفيد الجسم والروح معاً . وفى وسع حر الفكر - وهو ليس ملحدًا حتمًا - أن يعتبر أن الوحي الاسلامى عمل من أعمال تلك القوة الخفية التى نسميها « الالهام » ، وأن يعتقد به من غير أية صعوبة بما أنه لا يحتوى على أسرار خفية لا يسيغها العقل .

ثالثًا - عداوة أوروبا للإسلام . . . يوجد اليوم جماعة من المستشرقين لا غرض لهم من دراسة اللغة العربية والبحث فى الدين الاسلامى سوى تشويبهما والطعن فيهما . . . لقد اعترف مسيو مونتيه أحد العلماء المنصفين أن القرآن ربما كان الكتاب الوحيد الذى قرر نظرية التوحيد ، ولذلك أخذ بعض المستشرقين على عاتقهم محاربة هذه الميزة التى امتاز بها الاسلام (١)

يرى البصير الفطن أن الاسلام فى مبادئه ووسائله يدعو إلى الوحدة والارتباط بين الافراد بعضها ببعض وبين الشعوب المسلمة من ناحية وغير المسلمة من ناحية أخرى ما دامت قائمة بحق الجوار والمحافظة على العهود .

الاسلام فى أصوله ومراميه دين سلم وخير ورحمة للعالم كافة ، انظر فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ

(١) كتاب الحج إلى البيت الحرام تأليف الحاج ناصر الدين دينة والحاج سليمان بن ابراهيم .

ويبينه عداوة كانه وليّ حميم . وما يسلّطها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم (١)

وقد دعا الله تعالى المسلمين الى السلام في غير ما آية حتى يتفرغوا لشئونهم ويعملوا ما فيه صالح دنياهم وآخرتهم فقال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) (٢) وقال (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) (٣)

والسلام الذى دعا اليه القرآن الكريم يجب أن يقوم على العزة والمنعة لا على الاستسلام والعبودية وضياع الحقوق والتفريط فى الواجبات ولذلك دعا الله تعالى الى الجهاد فى سبيل الدفاع عن الحق والنفس والمال والعرض واعلاء كلمة الدين حتى يقف المعتدى عند حده ويعود الى رشده ، وحذر الله تعالى من العدوان وتخطى الحدود حتى لا تكون فتنة وحتى يعود السلام الى نصابه فقال تعالى :

(وقَاتِلُوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتُلُوهم حيث نَبَقْتُمُوهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جُزَاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) (٤)

قال المستر روبرت ل . بيكر فى مقال تحت عنوان الاسلام فى سبيل الوحدة : -
وللإدابة الغربية والتعليم والآراء والافكار الاجتماعية أيضا أثرها العميق على المعاهد الإسلامية . وهناك أخيرا كثرة المذاهب وتعددتها وهى تقسيم الاسلام حتى فى المسائل الدينية البحتة فى كل النقط ما عدا أركان الدين الخمسة وهذه العناصر الخمسة

الجامعة هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله من استطاع إليه سبيلا .
والاسلام في صورته الاولى كالمسيحية في صورتها الاولى . ففكرة شائعة عن مهمته في الدنيا ، فلا القرآن ولا الأحاديث النبوية ولا أقوال الصحابة تفرق بين الأجناس أو اللغات أو الألوان .

وعلى أساس هذه العالمية قامت نظرية وحدة سياسية وهي وحدة وان لم تتحقق عمليا ابدا إلا أن المتمسكين بالدين بقوا على مر القرون مؤمنين بأن تحقيقهم رهن بوجود ظروف أصلاح ووجود خلفاء أقوى (١)

وان الجامعة الاسلامية بين جميع الأمم الاسلامية والرابطة الانسانية بين المسلمين وغير المسلمين هي رهن اعتصام المسلمين بالتمسك بأوامر دينهم والمحافظة عليها ومعاملة الأمم الاخرى لهم معاملة النظير للنظير وان يسود حسن التفاهم والوثام بين الجميع .

(١) الاسلام في سبيل الوحدة . بقلم روبرت ل . بيكر في مجلة كارنت هستوري . راجع جريدة السياسة ٩ أغسطس سنة ١٩٣٣

بعض الأحاديث التي وردت عن الحج وأحكامه

فريضة الحج مرة واحدة - حج البذل في الشيوخوخة والوفاة
حج العبد والأجير - حج الأسير - أشهر الحج - لباس الحج في الاحرام
ما يحرم من الصيد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال « أيها الناس ،
قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت .
حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ « لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم » ثم
قال « ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .
رواه مسلم والنسائي والترمذي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الأقرع بن حابس رضي الله عنه قال : يا
رسول الله الحج في كل سنة أو مرة واحدة ؟ قال « بل مرة واحدة ، فمن زاد فهو
تطوع » . رواه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وصححه .

وعنه عن النبي ﷺ قال ، من أراد الحج فليتعجل . رواه أبو داود وأحمد
وزاد « فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة » .

عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من ملك زاداً وراحلة تبليغه إلى بيت
الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً » . وذلك لقول الله في كتابه :
(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة من خثعم (اسم قبيلة)
فقلات : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا
يثبت على الراحلة . أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وذلك في حجة الوداع . رواه الخمسة
(البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي)

وعنه قال سمعت النبي ﷺ يخطب . يقول : لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعهما ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم ، فقام رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال « انطلق فحج مع امرأتك » . رواه الأربعة

وعن بريدة رضي الله عنه قال جاءت امرأة الى النبي ﷺ فقالت : إن امي ماتت ولم تحج ، أفأحج عنها ؟ قال « نعم حجي عنها » . رواه الترمذي ومسلم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : إن ابني مات وعليه حجة الاسلام ، أفأحج عنه ؟ قال أرأيت لو أن اباك ترك ديننا عليه أتقضيه عنه ؟ قال : نعم . قال « فأحج عن أبيك » رواه النسائي والشافعي

وعنه قال : رفعت امرأة صلياً لها فقالت : يا رسول الله ألهذا حج ! قال « نعم ، ولك أجر » رواه مسلم والترمذي .

وقال السائب بن يزيد : حج بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين . رواه الترمذي بسند صحيح

وعن أبي أمامة التيمي رضي الله عنه قال : كنت رجلاً أكرى في هذا الوجه (أى أوجر) . وكان ناس يقولون إنه ليس لك حج . فلقيت ابن عمر فسألتهم ، فقال أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترى الجمار ؟ قلت بلى . قال فإن لك حجاً : وسأل رجل رسول الله ﷺ عن ذلك فسكت عنه ، حتى نزلت هذه الآية ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ فأرسل اليه وقرأها عليه وقال : لك حج . رواه أبو داود بسند صالح

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة . رواه البخاري

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب ؟ قال : لا يلبس القمص ولا العمام ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف ، إلا أحد لم يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين . ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسه زعفران أو ورس (الورس كالورد نبات أصفر بالين

حليب الرائحة يصيغ به ، ولونه بين الصفرة والحمرة) وفي رواية من لم يجد نعاين
فليلبس خفين ومن لم يجد ازاراً فليلبس سراويل .

وقال الله تعالى ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرماً . واتقوا الله الذي اليه تحشرون ﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أهدى الصعب بن جثامة إلى النبي ﷺ
حماراً وحشياً وهو محرم ، فردّه عليه وقال : لولا أنا لمحرّمون لقبلائه منك . وفي رواية
أهدى له عضو من لحم صيد فردّه وقال : إنا لا نأكله . إنا حرم . رواه الخمسة

وعن حفصة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال « خمس من الدواب لا حرج على
من قتلهن : الغراب ، والحدأة ، والفأرة ، والعقرب ، والكلب العقور » وفي رواية
« خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم . الحية ، والغراب الأبقع ، والفأرة ، والكلب
العقور ، والحدايا » رواه الخمسة

وعن أبان بن عثمان رضي الله عنهما قال سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ
« لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب ، رواه الخمسة إلا البخاري »

كيف حج رسول الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حج نحر جننا معه ، حتى إذا أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس (هى امرأة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، ولدت له محمداً) فقال « اغتسلي ، واستنفرى بثوب (هو جعله كغفر الدابة ، تشد على وسطها شيئاً ثم تأخذ خرقة عريضة تشد طرفيها من ورائها وقدامها) ، وأحرى . وصلى رسول الله ﷺ فى المسجد . ثم ركب القصواء (لقب ناقة النبي ﷺ) حتى إذا استوت به على البيداء ، أهلَّ بالتوحيد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، حتى إذا أتينا البيت استلم الركن (أى الحجر الأسود) ، فرمل (أى هرول مسرعاً فى نشاط وقوة) ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم أتى مقام إبراهيم فصلى ، ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى الصفا ، فلما دنأ من الصفا قرأ ﴿ ان الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ . « أبدأ بما بدأ الله به ، فرقى الصفا ، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ، فوحد الله وكبره وقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة ، حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى ، حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا - وذكر الحديث وفيه : فلما كان يوم التروية (هو الثامن من ذى الحجة سعى بذلك لأنهم يملئون فيه قريتهم لعرفة) توجهوا الى منى ، وركب النبي ﷺ فصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ، فأجاز حتى أتى عرفة . فوجد القبة قد ضربت له بنمرة (موضع) فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس ، ثم أذن ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً ، ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات ، وجعل حبل المشاة (أى طريقهم) الذى يسلكونه فى الرمل . وقيل أراد صفهم ومجتمعهم فى مشيهم تشبيهاً بحبل الرمل بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً

حتى غاب القرص ، ودفع ، وقد شقق للقضواء الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله ، ويقول بيده اليمنى : « يا أيها الناس ، السكينة السكينة » . وكلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد . حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء ، بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر ، حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا ، وكبر ، وهلل ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، حتى أتى بطن محسر (سمي بذلك لان فيل أصحاب الفيل حسر فيه) فرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجرة الكبرى حتى أتى الجرة التي عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، كل حصاة مثل حصي الخذف ، رمى من بطن الوادي ثم انصرف الى المنحدر ، ثم ركب رسول الله ﷺ ، فأفاض الى البيت ، فصلى بمكة الظهر . رواه مسلم مطولا .

كيف تحج ؟

الاستعداد للسفر : ما يجب ان يأخذ الحاج من الملابس واللوازم

أولا : من عزم على أداء فريضة الحج يجب أن يتقدم الى مأمور المركز أو القسم الذي يقطنه في دائرة اختصاصه ليستطيع أن يقيد اسمه ضمن الذين يريدون أداء فريضة الحج ، وبذلك يسهل له أمر السفر براً وبحراً ، ويكتب طلبا بذلك متعهدا بدفع الرسوم المطلوبة . ذا كرا نوع الدرجة التي يسافر بها (الأولى او الثانية او الثالثة) وتوجد استمارات تملأها لهذا الغرض ، وبعد دفع الرسوم يتوجه الحاج الى مكتب الصحة التابع لها لعمل الحقن اللازمة والتطعيم قبل السفر ويعد عدته بالآتي : -

شنطة جلد كبيرة أو خرج سفر توضع لوازمه فيه ، وأهمها ما يأتي :

جلابان أو ييجامتان صيفيتان أو مثلهما شتويتان . ملابس داخلية لتغييرتين أو ثلاث . بشكيران للاحرام كأزار ورداء . كمر جلد ذو جيوب لحفظ النقود والمفاتيح . فوطه وصابونة وإبريق زنك وفرشاة للأسنان أو مسواك . إسعافات ضرورية

(كلمينات واسبرين وفينيك) بطارية كهربائية صغيرة باليد . فرش النوم يكون مؤلفا من نجاد وبطانية ووسادة على حسب المقدرة . شنطة جلد صغيرة لوضع النقود والمصحف والاوراق حين الاحرام . شمسية لاتقاء حرارة الجو تكون من قماش أبيض ثقيل . بالطور أو عباءة .

أما ملابس السيدات الاحرام فهى كالعادة ، وغطاء للرأس يستعمل فى غير وقت الاحرام لاتقاء الحر

ملحوظة : يجب أن لا تكثر من حمل الامتعة والملابس ، ولا تكلف نفسك بحمل الفراكة والعيش والسجاير ، ولا تأخذ إلا الضرورى من الادوية ، وهناك كل ما يلزمك .

فاذا تيسر لك ذلك كله فمما فر على بركة الله لأداء هذه الفريضة

واذا وصلت الى ميقات الاحرام (وهى ميناء رابغ عند المصريين) وهنا تطلق السفينة صفارتها ايدانا بالاحرام . فأحرم بنية الحج أو العمرة ان شئت اوهما معا ، قائلا : اللهم انى نويت الاحرام لحج بيتك المعظم فيسره لى وتقبله منى . ويسن الاغتسال وتقليم الأظافر وحلق ما شعث تحت البطن « العانة » . وتسريح الشعر ، وصلاة ركعتين ينوى بهما سنة الاحرام

كيفية الاحرام : أن يتجرد الرجل من تخطيط الثياب . ويلبس ازارا معه رداء إن تيسر له ذلك . أما المرأة فتلبس ملابسها . وتكشف وجهها إن لم تخش الفتنة . ثم تلبي قائلا :

التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك .

ولا تزال تكرر التلبية من وقت إلى آخر حتى تدخل مكة :

دخول مكة والطواف : يستحب الاغتسال لدخول مكة ، فقد كان النبي ﷺ يغتسل له وكان يبيت بذي طوى وهو موضع عند الآبار التى يقال لها آبار الزاهر فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة والافضل دخول مكة نهارا وأن يقصد المسجد الحرام ثوبا والافضل أن يدخل من باب بنى شيبه (باب السلام)

وروى في حديث ضعيف أن النبي ﷺ كان يقول إذا رأى البيت (أى الكعبة المعظمة) : « اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه وعن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً وتكريماً وبراً » ، وروى أن عمر رضى الله عنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم انت السلام ومنك السلام ، فحينما ربنا بالسلام

واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقنه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع إلى النبي ﷺ ومنه ما هو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الأمة

وقد كان النبي ﷺ يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك . فعلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبي ﷺ من ذلك لا يكلفه أحد ولا يمنع منه . والشعائر لا تثبت إلا بنص الشارع . والظاهر أن الشارع ترك هذا الأمر للناس ليدعوا كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه . ويسن أن يصلى بعد الطواف ركعتين

طواف القدوم : والثابت أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف . والطواف الاول من الحاج أو المعتمر يسمى طواف القدوم ، وهو واجب عند المالكية وسنة عند الاثنية الثلاثة

شروط الطواف : يراعى في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والياب وستر الغورة ، لما رواه الترمذى والشافعى من حديث ابن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ « الطواف بالبيت مثل الصلاة ، إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير » ووردت آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أى وإن كان بخير لم تمس إليه الحاجة ، لأنه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة

الحائض والنفساء : ولما كانت الطهارة شرطاً لصحة الطواف امتنع الطواف على الحائض والنفساء . فهى تؤدى جميع أعمال الحج سواء ، فمترىص به إلى أن تطهر

كيفية الطواف : يبدأ الإنسان من الحجر الأسود ، يستقبله ويستلمه ويقبله إن أمكن من غير إيذاء نفسه أو إيذاء أحد بالراحمة ، والا اكتفى باستلامه بيده (أى مسحه بها) وتقبيلاً فان لم يكن أشار إليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجعل البيت

عن يساره ليطوف سبعة أشواط أى مرات . ويستلم من الأركان الركنتين اليمانيين
لأنهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون الشاميين لأنهما في داخل البيت
والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذى فيه الحجر الأسود منهما الركن
الأسود اذا ذكر وحده واذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني . والشاميان هما
الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قيل الركن الشامي وهو المقابل لبلاد الشام
والركن العراقى وهو المقابل لبلاد العراق وانما يقال فى تثنيتهما اليمانيان والشاميان
من باب التغليب .

أنواع الطواف : ان فى الحج ثلاثة أطوفة :

(١) طواف القدوم الذى ذكرناه

(٢) طواف الافاضة . وهو ركن من أركان الحج باتفاق الأئمة ، ووقته بعد

الوقوف بعرفة

(٣) طواف الوداع . وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند المالكية ، ووقته

قبل مغادرة مكة

وللحاج أن يكثر من طواف التطوع ما استطاع

أدعية مأثورة تقال عند دخول مكة والحرم : اذا دخلت مكة قل : اللهم ان هذا

الحرم حرمك والأمن أمنك والعبد عبدك . اللهم إني جئتك من بلاد بعيدة بذنوب

كثيرة راجيا أن تستقبلني بمحض عفوك وكرمك ، وأن تحرم جسدى على النار .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دخول الحرم

اذا جئت الى الحرم فادخل من باب السلام قائلا : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم انت السلام ومنك السلام خينا بالسلام وأدخلنا الجنة

دار السلام بفضلك يا ذا الجلال والإكرام . ثم سر نحو البيت من جهة الشرق قائلا :

اللهم ان هذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك . اللهم حرم جسدى على النار . فاذا

وقع بصرك على الكعبة فقل بسم الله والله اكبر (ثلاثاً) لا اله الا الله وحده

لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وادخل من باب بنى شيبة
قائلا رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . ونزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا . فاذا اتيت الحجر الأسود فاستقبله وقل
بسم الله ، الله أكبر والله الحمد . اللهم اغفر لي ذنبي وطهر لي قلبي واشرح لي صدري
وعافني برحمتك فيمن تعافى . ثم استلمه بيمينك وقبله (ان امكنك) أو أشر اليه
بيمينك وانو الطواف قائلا : اللهم اني نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط
لوجهك الكريم ، اللهم يسرها لي وتقبلها مني . ثم انطلق في طوافك قائلا :

في الشوط الاول :

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم . اللهم ايماننا بك وتصديقنا بكتابتك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلی الله
عليه وآله وسلم
اشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، اللهم اني أسألك
العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من
النار . ويقول بين الركعتين اليمينين في كل شوط : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وادخلنا الجنة مع الابرار يا عزيز يا غفار .

دعاء الشوط الثاني :

اللهم ان هذا البيت بيتك والحرم حرمك والامن امنك والعبد عبدك وأنا
عبدك وابن عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار فحرم لحومنا وبشرتنا على النار .
اللهم حبيب الينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا
من الراشدين . اللهم قتي عذابك يوم تبعث عبادك ، اللهم ادخلني الجنة بغير حساب .

دعاء الشوط الثالث :

اللهم اني أسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة اللهم
اظلني تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، واسقني من كأس نبيك محمد صلی الله
عليه وآله وسلم شربة
هنيئة لا أظما بعدها أبدا .

دعاء الشوط الرابع :

اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنباً مغفوراً وعملاً صالحاً مقبولاً
وتجارة لن تبور يا عالم ما فى الصدور اخرجنى يا الله من الظلمات الى النور . اللهم انى
أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر
والفوز بالجنة والنجاة من النار . رب قنعنى بما رزقنى وبارك لى فيما أعطيتنى واخلفنى
فى كل غائبة لى منك بخير .

دعاء الشوط الخامس :

اللهم اظلمنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ولا باقى الا وجهك . اللهم
انى أسألك من خير ما سألك منه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، واعوذ بك من شر ما
استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . اللهم انى أسألك الجنة ونعيمها وما يقربنى اليها من
قول أو عمل ، واعوذ بك من النار وما يقربنى اليها من قول أو عمل .

دعاء الشوط السادس : اللهم ان لك على حقوقا كثيرة فيما بينى وبينك ، وحقوقا
كثيرة فيما بينى وبين خلقك . اللهم ما كان لك منها فاغفره لى وما كان لخلقك فتحمله
عنى وأغنى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عن سواك يا
واسع المغفرة . اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت يا الله حليم كريم عظيم
تحب العفو فاعف عنى .

دعاء الشوط السابع : اللهم انى أسألك ايمانا كاملا ويقينا صادقا ورزقا واسعا
وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وحللا طيبا وتوبة نصوحا وتوبة قبل الموت وراحة عند
الموت ومغفرة ورحمة بعد الموت والعفو عند الحساب والفوز بالجنة والنجاة من النار
برحمتك يا عزيز يا غفار ، رب زدنى علما وألحقنى بالصالحين .

وكما قربت من الحجر الاسود قل : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار . فاذا حاذيته فقل مستلماً ان امكنك أو مشيراً عليه بيمينك من
بعد : بسم الله الله أكبر . ثم ادع الله تعالى بما تشاء من الادعية السابقة أو بما
يحضرك من غيرها ، والا فحسبك الذكر والتوحيد والاستغفار ويجمعها قولك سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ويسن الاضطباع في طواف القدوم وهو اخراج الذراع الايمن فوق الرداء الذي تشتمل به . وكذلك يسن فيه الرمل (اى الجرى بخطى ضيقة) اشارة الى ان الجسم ممتلئ قوة وشهامة ولم تؤثر فيه عوامل مشقة السفر في سبيل الله ، وبعد طوافك سبعة اشواط على هذا النظام توجه خلف مقام ابراهيم وصل ركعتين سنة الطواف ثم قل : اللهم انك دعوت عبادك الى بيتك الحرام وقد جئت طائعا لامرك فاغفر لى وارحمنى . اللهم اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما رحمتا صغيرا . اللهم اغفر لى ولجميع المؤمنين والمؤمنات . ثم اقصد الملتزم والصق صدرك به وافرد ذارعيك عليه وادع بالدعاء الآتى : اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقابتنا ورقاب آبائنا وامهاتنا وأخواتنا واولادنا من النار ، يا ذا الجود والكرم والفضل والمن والعطاء والاحسان . اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم انى عبدك وابن عبدك واقف تحت بابك ملتزم باعتابك متذل بين يديك ارجو رحمتك واخشى عذابك يا قديم الاحسان . اللهم انى اسألك ان ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح امرى وتطهر قلبى وتنور لى فى قبرى وتغفر لى ذنبى ، وأسألك الدرجات السعوى من الجنة آمين . ثم اذهب الى بئر زمزم فاشرب منها هنيئا مرينا ثم توجه الى المسعى .

السعى بين الصفا والمروة : السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ، وعند الحنفية واجب غير ركن . ويشترط ان يكون بعد الطواف . وعند المالكية يجب ذلك وليس بشرط . ويجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف . وقال الجمهور إنه سنة لا واجب . ويطلق على السعى اسم الطواف والتطواف كما ثبت فى القرآن والاحاديث واختار الفقهاء اسم السعى للتمفرقة بينه وبين الطواف بالبيت .

كيف تسعى : وكيفيته ان يبدأ بالصفا فيصعد اليه ويستقبل البيت (الكعبة) فيهلل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فاذا انتهى اليها توجه الى المسعى ليكون مستقبلا للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا فهذه مرة ، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة اشواط يرمل فى ثلاثة منهن بين الميلىين الاخضرين وهما عمودان فى جدار الحرم . والرمل سرعة فى السعى ولا يشترط فى

السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة، ولكن يستحب. ويجوز السعي راكباً وماشيًا والمشى افضل للقادر عليه.

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي ﷺ لما دنا من الصفا قرأ ﴿ ان الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ وقال « أبدأ بما بدأ الله به » وفي حديث عن النسائي (ابدوا بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا فرقى عليه ، حتى اذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده . ثم دعا بعد ذلك ففسال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة : الحديث . وفيه انه فعل في المروة كما في الصفا فينبغي ان يحفظ هذا وأن يدعو الساعى بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله واخوانه وأمته .

ومن الادعية المأثورة للسعي بين الصفا والمروة لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير . لا إله الا الله ولا نعبد الاياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . اللهم إني أعوذ بك من عضال الداء وخيبة الرجاء وشماتة الاعداء وزوال النعمة ونزول النقمة ، وتهول بين الميئين الاخضرين (وهما عمودان مبنيان في جدار الحرم . واحد بجوار باب القبلة والآخر بجوار باب على والمسافة بينهما سبعون مترا) قائلاً : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك أنت الاعز الاكرم ، ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا عزيز يا غفار يا أرحم الراحمين . ثم ادع الله بما شئت . ثم اذا كنت متمتعاً (محرماً بالعمرة) خلقت أو قصرت بعد سبعة أشواط وتحللت وفككت إحرامك حتى اذا كان يوم التروية (اليوم الذي قبل يوم عرفة) احرمت للحج .

أما إذا كنت قارناً (أعنى محرماً بالحج والعمرة معاً) او مفرداً (محرماً بالحج فقط) بقيت باحرامك في مكة الى يوم التروية ثم توجه إلى عرفة .

الوقوف بعرفة

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية أى اليوم الثامن من ذى الحجة (وهو الذى قبل عرفة ويسميه العوام بمصر والشام يوم العرفة ويسمون يوم عرفة يوم الوقفة) محرمين . اما من كان متمتعا فانه يحرم فى ذلك اليوم كاحرامه من الميقات . والسنة ان يحرم كل واحد من المكان الذى هو نازل فيه وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكى فان المكى انما يحرم من أهله . والسنة أن يبيتوا بمبى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي ﷺ ، وان يسيروا منها الى « نمرة » من موضع (ضب) عن يمين الطريق وهو موضع فى حدود عرفة ببطن عرنة فيقيموا فيها إلى الزوال ثم يسيروا منها إلى بطن الوادى وهو الذى صلى النبي ﷺ فيه الظهر والعصر قصرا وجما وخطب ، فيصليها الحجاج كذلك ، ويخطب بهم الامام . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم بنى فى أول دولة بنى العباس ، ثم يذهبون إلى عرفات . والعدول عن هذه الطريق الى طريق المأزم ودخول عرفة قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة ، ولكن لا يجب به شيء لانه ليس تركا لشيء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات إلى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلبين أو من جانبيهما ، ويجتهد الحجاج فى الذكر والدعاء فى هذه العشية فهى افضل الاوقات وأرجاها للمغفرة والرحمة ، ولم يعين النبي ﷺ لعرفة دعاء ولا ذكرا فيجتهد كل انسان فى ذلك بقدر معرفته فيهلل ويكبر ويدعو ما شاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الغسل يوم عرفة ولا يسن الصعود الى الجبل الذى هناك ويسمى جبل الرحمة ولا دخول القبة التى فوقه ويقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها ، والسنة ان يفيضوا من عرفات عند الخروج على طريق المأزمين فان النبي ﷺ خرج منها على هذا الطريق لانه دخلها عن طريق ضب . فسنته فى المناسك كسنته فى الاعمال والمواسم إذا جاء من طريق رجع من أخرى كما كان يدخل المسجد من باب بنى شيبه ويخرج بعد الوداع من باب حزورة .

ويكنى الوقوف بعرفة لحظة من اليوم التاسع وليلة العاشر ، ولو فاتك الوقوف فقد فاتك الحج من عامك فتحلل بعمره وعليك قضاءؤه فى العام القادم ولو كان حجك نفلا . ويسن الجمع وتقديم العصر مع الظهر مع الامام بعرفة

فإذا أفاض الإمام أو نائبه من عرفة فانفر معه الى المزدلفة ، وان كنت مالهيا
فحسبك من اقامتك بها مقدار ما تجمع فيه جمارك وهي تسع وأربعون حصاة في حجم
القولبة تقريبا . وان كنت شافعيًا فحسبك الاقامة فيها جزءا من نصف الليل الثاني .
وان كنت حنفيًا فبت بها وانزل بعد صلاة الصبح الى منى وارم جمرة العقبة بسبع
حصيات تقول في اثنائها : بسم الله والله أكبر رجما للشيطان وحزبه . اللهم تصديقا
بكتابك واتباعا لسنة نبيك وخليفك عليهما الصلاة والسلام . ثم اذبح ان كان عليك
هدى . ثم اطلق أو قصر وقل : الحمد لله الذي قضى عني نسكي . اللهم زدني إيمانا
وبقينًا . وهالك يحل لك ما حرم عليك في الاحرام الا النساء والطيب . وفي اليوم
الثاني ارم جمرة العقبة ثم ارم الجمرة الثانية ثم الثالثة بسبع حصيات في كل جمرة وكذلك
تعمل في اليوم الثالث ، ثم انزل الى مكة وطف طواف الافاضة ، ومن الناس من
ينزل في عاشر ذي الحجة الى مكة . حتى إذا طاف طواف الافاضة وسعى إن كان
عليه سعي ، عاد من يومه الى منى ونزل منها الى مكة بعد زوال اليوم الثالث عشر ،
وبهذا ينتهي الحج

المبيت بمزدلفة

ورمى الجمار

يسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهي المشعر الحرام الذي قال الله فيه ﴿ فاذا
انفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ . والوقوف عند جبل قروح
أفضل . ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا اتوا منى رموا جمرة العقبة
بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها . وكيفية الرمي ان يستقبل الجمرة بحيث
يكون البيت عن يساره ومنى عن يمينه ويرفع يديه بالرمي ويكبر مع كل حصاة . وان
شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجًا مبرورًا وسعيًا مشكورًا وذنبًا مغفورًا .
ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى
منى . ولم يصح في السنة التلبية في عرفة ولا مزدلفة . فاذا شرع في رمي الجمرة استبدل

التكبير بالتلبية أى جعل التكبير للعيد بدلا من التلبية للحج لانه حينئذ يشرع فى التحلل الذى تنتهى به المناسك ومتى رمى جرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدى ، وكل ما سيق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدى بالاتفاق ، ويسمى اضحية أيضا . واما ما يذبح يوم النحر فى الحل فانه اضحية وليس بهدى ، واما ما يشتري فى منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدى عند المالكية وعند الاثنية الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر . اللهم منك ولك . اللهم تقبل منى كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

الحلق والتقصير : بعد رمى جرة العقبة يحلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بان يقص منه مقدار الانملة أو أقل أو أكثر . وتقص المرأة ولا تحلق ولا تزيد على قدر الانملة . والحلق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به فى مذهب الشافعى ، وعند الجمهور واجب لاركن ، وبالحلق والتقصير يكون التحلل الاول من الاحرام فيحل به للحرم ما كان محرما عليه فى الاحرام الا النساء .

وبعد هذا يأتى الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة كما تقدم ، فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شىء مما ذكر حتى النساء .

ثم يرجع الى منى فيرمى بقية الجمرات ، والافضل ان يرميها فى أيام التشريق الثلاثة وله أن يرميها فى يومين لقوله تعالى ﴿ واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى ﴾

ويكون رمى الجمار بعد الزوال ، وأن يبدأ بالاولى وأن يكبر مع كل حصاة ويدعو فيطيل الدعاء ، واذا قال فى دعائه اللهم اجعله حججا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبنا مغفورا فهو حسن .

طواف الوداع

تقدم حكمه . وينبغى أن يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة ليكون معك الحتام .

محرمات الاحرام

يحرم على المحرم لبس الخيط وتغطية الرأس وإزالة شعره بنشف أو حلق فإن فعل شيئاً من ذلك متعمداً أو ناسياً فعليه الفدية (بذبح شاة) إلا إذا كان الشعر الذي أزيل منه يسيراً فعليه أن يتصدق بخفّة من بر، ويحرم عليه أيضاً تقليم أظافره وعاليه الفدية إن فعل. إلا إذا كان ظفراً أو ظفرين فعليه أن يتصدق بمس أو مدين، ويحرم عليه الطيب في بدنه أو ثوبه أو فراشه أو أكله أو شربه، ويجب عليه به الفدية. ويحرم عليه صيد الحيوان أو قتله أو تنفيره أو إزعاجه، كما يحرم عليه قطع حشيش الحرم وشجره وعليه به دم، ويحرم عليه الجماع وبه يفسد الحج.

وإذا فات الحاج شيء من أركان الحج أو العمرة أو شروطهما - سهواً أو عمداً - بطل حجّه وعمرته. وإن فاته شيء من الواجبات وجب عليه دم لكل واجب تركه، وذلك بأن يذبح شاة في الحرم، فإن عجز عن الذبح صام ثلاثة أيام في الحج من وقت إحرامه إلى يوم النحر وسبعة إذا رجع إلى بلده. هذا إذا كان ترك شيئاً منها قبل الوقوف بعرفة، أما إن تركه بعده فله صوم العشرة الأيام بعد عودته إلى وطنه، وإن فاته شيء من السنن أو المندوبات فعليه أن يتصدق.

ملاحظة

الركن : ما لا يتحقق الشيء إلا به كالقيام والنية في الصلاة

الواجب : ما ثبت وجوده لدليل فيه ظني

المندوب : ما فعل عن طريق الأدب والاستحسان دون الحتم، ونعله أولى من تركه

الشرط : هو ما يتوقف وجود المشروط على وجوده كالطهارة للصلاة وهو أمر

خارج عن المشروط

جدول مناسك الحج على المذاهب الاربعة

الحنفي	الشافعي	المالكي	الحنبلي
ركن	ركن	ركن	شرط (١)
»	»	»	ركن
»	»	»	واجب
»	»	»	شرط
سنة	سنة	واجب	سنة
واجب	واجب	»	واجب
سنة	سنة	»	سنة
شرط	شرط	»	واجب
»	»	شرط	»
»	»	»	»
سنة	سنة	واجب	»
شرط	شرط	»	شرط
سنة	سنة	»	سنة
شرط	شرط	شرط	واجب
سنة	سنة	واجب	»
شرط	»	»	سنة
ركن	ركن	»	ركن
واجب	واجب	ركن	واجب

الاحرام للعمرة

طواف العمرة

السعي في العمرة

الاحرام للحج وهو نية الدخول فيه

التلبية مع الاحرام واعادتها بعد السعي

الاحرام من الميقات

طواف القدوم

البدء بالحجر في الطواف

ستر العورة في الطواف

الطهارة في الطواف من الحدثين

ركعتا الطواف

وقوع السعي بعد الطواف

عدم الفصل بين السعي والطواف

البدء في السعي من الصفا

المشي في الطواف والسعي مع القدرة

موالاة الاشراف في الطواف والسعي

الوقوف بعرفة نهارا

» ليلا

(١) وقيل انه ركن

تابع جدول مناسك الحج

الحنفي	الشافعي	المالكي	الحنبلي	مناسك الحج
سنة	سنة	واجب	واجب	الدفع من عرفة مع الامام (النفرة)
واجب	واجب	»	»	الوقوف بمزدلفة
سنة	سنة	سنة	»	تأخير جمع المغرب والعشاء بمزدلفة
واجب	واجب	واجب	سنة	المبيت بمنى ليالى أيام التشريق
»	»	»	واجب	رمي الجمار
سنة	سنة	»	سنة	عدم تأخير الرمي الى الليل
واجب	ركن	»	واجب	الحلق أو التقصير
سنة	سنة	سنة	»	الترتيب بين الرمي والذبح والحلق
»	»	»	»	الحلق بالحرم وتوقيته بايام النحر
ركن	ركن	ركن	ركن	طواف الافاضة
شرط	شرط	شرط	واجب (١)	» السبعة الأشواط
»	»	»	»	الطواف من وراء الحجر والشاذروان
سنة	سنة	واجب	سنة	تأخير طواف الافاضة عن الرمي
سنة	سنة	» (٢)	واجب	فعل طواف الافاضة في ايام النحر
ركن	ركن	ركن	»	السعي في الحج
واجب	واجب	مندوب	»	طواف الوداع

خاتمة

هذا ما استطعنا جمعه بعد التمهيص والتدقيق من فروض الحج وسننه وشروح العلماء الصالحين والفقهاء المبرزين ، فان كنا وفقنا إلى الصواب فذلك فضل الله وهديته وان فاتنا شيء فترجو العفو والمغفرة من الله . والله نسأل الهداية والتوفيق والرضاء .

(١) الركن عنده أربعة اشواط فقط (٢) الى آخر شهر ذي الحجة

القدر

القدر شغل الناس الشاغل لنفوسهم المخرج لهم تارة والمفرج لهم تارة أخرى إذا ما أزموا كانت الاقدار موضع سنخ الساطين . وهدف الصاخبين . وحبجة العاجزين وسخرية الساخرين .

القدر لا يذكر غالبا الا في حالة نزول البلاء . وحلول الشقاء . وتغيير الحال من نعماء الى ضراء .

القدر أكثر الاشياء ذكراً . وأقلها فهما . وأكبرها وضوحاً وأشدّها خفاءً وأعصاها اتّباعاً .

القدر ميزان الله الاكبر الدال على واسع علمه وعظم سلطانه وقدرته البالغة ورحمته الشاملة وعدله الكامل .

القدر معناه أن الله عز وجل لا تصدر عنه أعمال الا بحساب دقيق ونظام محكم وسير معروف أوله ، معلوم نهايته .

الله تعال عظمته لم يخلق الاشياء جزافا واعتباطا . ولم يدعمها هملا وفوضى بل قدر كل شيء تقديراً قال تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ ^(١) وقال أيضاً : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ^(٢) وقال أيضاً : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ ^(٣) .

وان اختلاف الناس في الحجم واللون وتفاوتهم في العقول والافهام والنفوس وتنوع أعمالهم وغاياتهم ومقاصدهم كل ذلك يدعو الى اختلافهم في الارزاق والمعيشة وفي اليسار والاقتار والصحة والمرض . هذا الاختلاف هو مثار الشك والنعمة للناقين كما أنه موضع الرضى للمؤمنين العارفين .

فالعالم الذي نعيش فيه له نظام محكم غاية في الدقة يخضع لسلطان الله القاهر

(٣) سورة الحجر

(٢) سورة القمر

(١) سورة الفرقان

العادل فتح نرى أكبر الأفلاك جرماً ومشاهدة وهي الشمس خاضعة لسير معين دقيق تظهر وتغرب في أوقات معينة تعد بالثواني بل بما هو أقل من ذلك وكذلك القمر . وعلى مثل هذا النظام تسير الأفلاك الأخرى التي لم تشاهدها العين الباصرة وهي أكبر من الأفلاك الدنيوية بكثير .

والإنسان وهو أحد العوالم لهذا العالم يسير بنظام محكم دقيق وله خط سير معين لا بد من أن يسلكه .

فالإنسان قبل أن يولد قد رزقه وأجله وعمله . هذا هو خط السير للإنسان يعتبر كمدار الأفلاك بالنسبة للكواكب ، وكما لهذه بروج تنزل فيها فكذلك الإنسان بروج ، وهي كثيرة نذكر منها الصحة والمرض واليسار والاقتار ، والمنع والعطاء والرفعة والفضة والظهور والخمول والسعادة والشقاء ثم الموت والحياة . وهذه المقادير تجري على كافة الخلق ملوكاً وصعاليك علماء وجهلاء أغنياء وفقراء أفراداً وشعوباً . وهذه موضع امتحان الإنسان لأن في هذه المنازل التي ينزلها يعرف المرء نفسه ومبلغ قوة إيمانه أو ضعفه .

قال تعالى ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ﴾ * الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم (يختبركم) أيثكم أحسن عملاً (١) .

في هذه المنازل التي ينزلها الإنسان في الحياة الدنيا قد تطيش الأفهام عند ما تصادف ما لا تهوى وغير ما تحب ، فترى القدر بوابل من السباب وتثير زوابع من الغضب والسخط في النفس ، وهذا دليل العجز وسقم الفهم وإن الإنسان لم يفهم الحياة على وجهها الصحيح . وكثيراً ما يتبين للإنسان أن فيما يكره خيراً كثيراً كما أن فيما يحب شراً مستطيراً .

واجب على كل من يريد أن يعيش عيشة راضية هنيئة في هذه الحياة القصيرة الأجل أن يعرف أن الله عز وجل ما خلقه إلا لعبادته والعمل بأوامره ونهيه ، وهذه العبادة تتضمن عمله والاخلاص فيه وأدائه حسب جهد المستطاع قال تعالى ﴿ وما

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۚ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ^(١) ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٢)﴾ وان من تكاليف العبادة الشكر على النعماء ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء .

حكى في زمان النبوة الأولى أن بعض من يوحى إليه من المتقدمين فكر في أمر التكليف والبلوى ولم يتجه له وجه الحكمة في ذلك وقد أمره الله بالتفكر في عبادته . فأخذ يناجي ربه في خلوته بسرّه ولسانه فقال يا رب خلقتني ولم تستأمرني ثم تبتني ولا تستشيرني ، وأمرتني ونهيتهني ولم تحيّرني ، وسلطت عليّ هوى مرديا ، وشيطانا مغويا ، وركبت في نفسي شهوات مركوزة . وجعلت بين عيني دنيا مزينة ثم خوفتني وزجرتني بوعيد وتهديد ، وقلت استقم كما أمرت ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل ، واحذر الشيطان أن يقربك والدنيا أن تغرّك ، وتجنب شهواتك لئلاّ ترديك ، وآمالك وأمانيك ألاّ تلهيك ، وأوصيك بأبناء جنسك فذارهم ، ومعيشتك فاطلبها من وجه حلال فانك مسئول عنها ان لم تطلبها ومسئول عنها ان طلبتها من غير وجهها ، ولا تنس الآخرة كما لم تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تمغ الفساد في الارض ، ولا تعرض عن الآخرة فتحسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

فقد حصلتُ يارب بين أمور متضادة وقوى متجاذبة وأحوال متقابلة فلا أدري كيف أعمل ؟ ! ولا أهتدي أي شيء أصنع ؟ وقد تحيرت في أموري !! وضللت عن حلي ، فأدركني يارب وخذ بيدي ودلني على سبيل نجاتي وإلا هلكت . !!

فأوحى الله عز وجل إليه يا عبدى ما أمرتك بشيء تعاونني فيه . ولا نهيتك عن شيء كان يضرني ان فعلته . بل انما أمرتك لتعلم أن لك رباً وإلها هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك وحافظك ، وصاحبك وناصرك ومعينك ، ولتعلم بأنك محتاج في جميع ما أمرتك الى معاونتي وتوحيدي وهدايتي وتيسيري وعنايتي ولتعلم أيضاً

بأنك محتاج في جميع ما نهيتك عنه الى عصمتي وحفظي ورعايتي . وانك الى محتاج في جميع تصرفاتك وأحوالك في جميع أوقاتك من أمور دنياك وآخرتك ليلا ونهارا ، وانه لا يخفى عليّ من أمورك صغير ولا كبير سرّاً وعلانية . وليتبين لك وتعرف انك مفتقر ومحتاج الى ولا بد مني . فعند ذلك لا تعرض عني ولا تتشاغل عني ولا تنساني ولا تشغل بغيري . بل تكون في دائم الاوقات في ذكرى وفي جميع أحوالك وجميع حوائجك تسألني . وفي جميع تصرفاتك تحاطبني . وفي جميع خلواتك تناجيني . وتشاهدني وتراقبني وتكون منقطعاً الى من جميع خلقي ومتصلاً بي دونهم . وتعلم أني معك حيث ما تكون أراك ولم ترى . فاذا أردت هذه كلها وتيقنت وبأن لك حقيقة ما قلت . وصحة ما وصفت تركت كل شيء ورايك واتصلت بي وحدثك فعند ذلك أقربك مني وأوصلك اليّ وأرفعك عندي . وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي في جوارى مع ملائكتي مكرماً مفضلاً مسروراً فرحاً منبهاً ملذذا آمناً مبقى سرمداً أبداً دائماً .

فلا تظن بي يا عبيد ظن السوء ولا تنوهم على غير ما يقتضيه كرمي وجودي . واذكر سالف أنعمائي عليك . وقديم احساني اليك . وجميل آلائي لديك . اذ خلقتك ولم تك شيئاً مذكوراً خلقاً سوياً . وجعلت لك سمعاً لطيفاً وبصراً حاداً وحواس دراية . وقلبا ذكياً . وفهما ثاقباً . وذهننا صافياً . وفكراً لطيفاً . ولساناً فصيحاً . وعقلارصيناً وبنية تامة . وصورة حسنة وأعضاء صحيحة . وأدوات كاملة وجوارح طائعة ثم ألهمتك الكلام والمقال وعرفتكَ المنافع والمضار وكيفية التصرف في الافعال . والصنائع والاعمال . وكشفت الحجب عن بصرك وفتحت عينيك لتنظر الى ملكوتي ، وترى مجارى الليل والنهار والافلاك الدوارة ، والسموات والسيارة ، وعلمتكَ حساب الاوقات والازمان والشهور والاعوام والايام ، وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنباتات والحيوان تتصرف فيها تصرف الملاك وتحكم فيها تحكم الارباب .

فلما رأيتك متعدياً جائراً باغياً خائناً ظالماً طاغياً متجاوزاً الحدود والمقدار . عرفتكَ الحدود والاحكام ، والمقياس والمقدار ، والانصاف والحق والصواب والخير

والمعروف والسيرة العادلة، ليدوم لك الفضل والنعم ويصرف عنك العذاب والنقم (١)
لما نزلت الآية الكريمة ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾ قال عمر : يا بني الله علام نعمل ؟
على أمر فرغ منه أو لم يفرغ منه ؟ قال لا ، على أمر قد فرغ منه قد جرت به الأقاليم
ولم يكن كل ميسر لما خلق له ﴿ أما من أعطى واتقى ﴾ وصدق بالحسن فستيسره
لليسر ﴿ وأما من بخل واستغنى ﴾ وكذب بالحسن فستيسره للعسر (٢) وقد
اتفقت الأحاديث على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ، بل
يوجب الجهد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهاداً
منى حتى الآن . وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فإن
النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الحقيقة بالأسباب فإن العبد ، ينال
ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه وممكن منه وهيء له ، فإذا اتى بالسبب أوصله إلى
القدر الذي سبق له في أم الكتاب ، وكلما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب كان حصول
المقدور أدنى إليه ، وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنه لا ينال ذلك
إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه . وإذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك
إلا بالنكاح . وقد فطر الله سبحانه وتعالى عباده على الحرص على الأسباب التي بها
قوام معاشهم ومصالحهم الدنيوية بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات ، فكذا
الأسباب التي بها مصالحهم الآخروية في معادهم فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة وهو
الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسر كلاً من خلقه لما خلقه له
في الدنيا والآخرة فهو مهياً له ميسر له (٣) .

رمت طائفة من الأفرنجة الملحدين الإسلام بالوهن والضعف لأن المسلمين اتكأوا
على القدر ففقدوا إلى الكسل والخمول فالضعف فالاستعباد والذل . وأن صلاحهم لا
يأتى إلا عن تركهم إيمانهم بالقدر أى تركهم لدينهم !!

وقد وهم القائلون فيما ادعوا ، وأرجف الملحدون فيما زعموا . لأن مسألة القدر

(١) الفتوحات المكية لابن عربى . الجزء الرابع (٢) سورة الليل .

(٣) كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر وحكمة التنزيل لابن قيم الجوزية (ص ٢٥) .

على وجهها الصحيح من أكبر مفاخر الدين الاسلامي ، وقد وضع حداً لمشكلة الفوضى الفكرية والفلسفة الجاحدة والنظريات الطائشة . فالدين الاسلامي بما أبانه في تعاليمه في القدر يقول لنا في إنجاز وحسن بيان وفي برهان واضح :

(١) ان هذا العالم لم يخلق عبثاً بل وفق برنامج محكم الوضع حسن الصنع ، وأن خالق الكون أحاط علمه بما في السماوات والارض ودون ذلك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١)

(٢) جعل العمل فريضة لازمة على الانسان وأنه مجزى بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر فقال تعالى ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٣)

(٣) جعل السعادة والعزة والامن لمن آمن وعمل صالحاً فقال تعالى : ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤)

(٤) جعل سيادة الامة رهن أعمالها ، والقيام بكافة وسائل الاصلاح التي يتطلبها الزمان والمكان قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذي عند الله ، والارض الدنيا والصالحون الذين يقومون بما فرضه الله عليهم من صحيح الايمان وصالح الاعمال لمعاشهم ومعادهم وما تقتضيه ظروف الزمان والمكان .

(٥) أعلم الله تعالى الانسان بأن عليه رقابة شديدة وأن كافة أقواله وأعماله محصاة عليه مجزى بها حتى يكون على بينة من أمره فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۖ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۖ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٥)

(حاضر) أى مع الانسان حفظه من الملائكة تدوّن كل أعماله وأقواله
فهل أتى العلم الحديث والفلسفة الحديثة بمبادئ أوفى من هذه لرق الامة ،
وسعادة الافراد ؟ ! ألم يكن نظام المدنية الغربية قائماً على هذه المبادئ فى معاملها
ومتاجرها ومزارعها الخ .

نقرأ القرآن من أوله الى آخره ونعيده تكراراً ومراراً فلا نرى آية تدعو الى
الايمان من غير أن تقرر أن شرط صحة الايمان القيام بصالح الأعمال . فلا إيمان لمن
ترك العمل ، ولا سعادة لمن أخذ الى الكسل . وهذا هو نظام القدر الذى أبان فى
وضوح أن لهذا الكون نظاماً دقيقة يجب أن نفهمها على وجهها الصحيح ، ونسير وفق
ما يطلبه منا خالقنا وبارئنا عز وجل .

وان سبب تدهور المسلمين وانحطاطهم ليس اتكأهم على القضاء والقدر كما يقولون
ولمّا عدم فهمهم لهذه المسألة ، وجهلهم بأوامر قرآنهم ، وخلودهم الى شهواتهم
وملذاتهم فخرى عليهم القدر بما أعده لمن حاد عن سننه من سوء الحال . لأن قوانين
الله خالدة ثابتة من عرفها وتبعها فاز وسعد ومن حاد عنها ضل وشقى ، ولا عبرة
بالأسماء والألقاب فالمسلمون يحملون اسم الاسلام ولا يعملون بأوامره ولا ينتهون
بنواهيهم فجزاهم الله تعالى جزاء العاصين الناكبين عن طريقه المستقيم .

النزاع القائم بين الانسان والقدر ناشئ عن عدم رضائه بما قسم له ، وهذا النزاع
يفسد على الانسان معاشه ويجعله فى خصومة دائمة مع ربه ومع الناس .

هذا النزاع يزيده الاستسلام الى الشهوة الجائعة والمطامع الطائشة . وليس هناك
من دواء ناجع إلا أن يروض الانسان نفسه على الرضا بالمقدور والعمل فى غير
يأس ولا قنوط فى تهذيب نفسه والعمل فى جد واستمرار للأخذ بالأحسن حتى يرقى
ويسعد وسنة التبديل والتغيير هى من نظام القدر وهذا مما يجعل الانسان غير قانط
ولا يائس ما دام يسلك الطريق المستقيم .

علم الله تعالى بما تفعل وتستفعل لا يخياك عن المسؤولية ، ولا يجبرك على ما أنت فاعل
يقول كثير من الناس اذا كان الله يعلم ما نحن عليه قادمون وفاعلون ، فقيم الجزاء ،
وفيم العقوبة ؟ ولنتخسر الطريق بضرب المثل الآتى : لك خادم ضعيف فى خلقه

وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّكَ عَرَّفْتَهُ مَوَاضِعَ الضَّعْفِ ، وَأَرْشَدْتَهُ إِلَى كُلِّ الْوَسَائِلِ
الَّتِي يَحْمِي بِهَا نَفْسَهُ ، وَقُلْتَ لَهُ : أَنْتَ مَعَكَ أَيْنَمَا كُنْتَ ، أَمْرُكَ يَبْعَثُكَ إِذَا طَلِبْتَهُ ،
وَأَمْرُهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى السُّوقِ لِيشْتَرِيَ لَكَ بَعْضَ الْحَاجَاتِ ، وَفِي هَذَا السُّوقِ كَثِيرٌ
مِنَ الْمَغْرِبَاتِ : الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ الْفَاتِنَةُ ، وَالْمَسَالُ الْكَثِيرُ ، وَالسَّلْعُ الْآخِذَةُ بِالْأَبْصَارِ ،
وَفِيهَا الْمَحْتَالُ وَالذَّجَالُ ، فَهَلْ إِذَا وَقَعَ فِي شَرِّكَ هَؤُلَاءِ وَنَسِيَ مَا أَمْرُهُ بِهِ وَأَتَى مَا نَهَيْتَهُ
عَنْهُ تَعْفِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ ؟ ! وَهَلْ عَلَيْكَ بِمَا يَرْتَكِبُهُ مِنَ التَّحْذِيرِ وَالْإِنْذَارِ يَخْلِيهِ مِنْ تَحْمِلِ
الْجَزَاءِ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ لَهُ وَأَعْلَمْتَهُ بِهِ ؟ ! وَمَا أَنْتَ فَاعِلٌ مَعَهُ إِذَا عَصَاكَ وَضَرَبَ بِأَوَامِرِكَ
عَرْضَ الْحَائِظِ وَاسْتَجَابَ لَشَهْوَاتِهِ مُؤَثِّرًا إِيَّاهَا عَلَى طَاعَتِكَ : يَا كُلَّ خَيْرِكَ ، وَيَطِيعُ
غَيْرِكَ . تَأْمُرُهُ فَلَا يَأْتِمِرُ ، وَتَنْهَاهُ فَيَأْتِي مَا نَهَيْتَهُ عَنْهُ ؟ ! فَهَلْ إِذَا أَوْقَعْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ
يَجِدُ التَّحْذِيرَ وَالْإِنْذَارَ تَكُونُ ظَالِمًا لَهُ ، أَمْ أَنْ الْعُقُوبَةُ تَكُونُ عَدْلًا وَحَقًّا ؟

كَانَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَمَمِ الْغَابِرَةِ يَرُوضُ نَفْسَهُ بِأَنْ عُلِقَ فِي عُنُقِهِ وَصَايَا إِلَهِيَّةٍ
يَذْكُرُ بِهَا نَفْسَهُ بَيْنَ آوَنَةٍ وَآخَرَى وَيَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ رَبِّهِ . نَذَرَ مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا :

(١) يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ رَضِيتَ بِمَا قَسَمْتُ لَكَ أَرْحَتَ قَلْبِكَ وَبَدَنَكَ وَأَنْتَ مَحْجُودٌ وَإِنْ
لَمْ تَرْضَ بِمَا قَسَمْتُ لَكَ سَلَطْتَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا حَتَّى تَرْكُضَ فِيهَا رَكْضَ الْوَحْشِ فِي الْبَرِّيَّةِ
ثُمَّ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا تَنَالُ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَرْتَ لَكَ وَأَنْتَ مَذْمُومٌ

(٢) يَا ابْنَ آدَمَ كُلُّ يَرِيدِكَ لَهُ وَأَنَا أُرِيدُكَ لَكَ وَأَنْتَ تَفِرُّ مِنِّي

(٣) يَا ابْنَ آدَمَ مَا تَنْصِفُنِي ، يَا ابْنَ آدَمَ خَلَقْتَنِي مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ وَلَمْ تُعْصِمْنِي
خَلْقَكَ أَكْفِيْعِيْنِي رَغِيْفَ أَسْوَقِهِ إِلَيْكَ فِي حِينِهِ

(٤) يَا ابْنَ آدَمَ إِنِّي وَحَقِّي لَكَ مَحَبٌّ فَبِحَقِّي عَلَيْكَ كُنْ لِي مَحَبًّا

(٥) يَا ابْنَ آدَمَ خَلَقْتَنِي مِنْ أَجَلٍ . وَخَلَقْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجَلٍ . فَلَا تَهْتِكْ مَا
خَلَقْتَ مِنْ أَجَلٍ فِيمَا خَلَقْتَ مِنْ أَجَلٍ

(٦) يَا ابْنَ آدَمَ كَمَا لَا أَطَالِبُكَ بِعَمَلٍ غَدٍ لَا تَطَالِبُنِي بِرِزْقٍ غَدٍ

(٧) يَا ابْنَ آدَمَ لِي عَلَيْكَ فَرِيضَةٌ وَلَكَ عَلَيَّ رِزْقٌ إِنْ خَنَنْتَنِي فِي فَرِيضَتِي لَمْ أَخْنُكَ فِي
رِزْقِكَ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْكَ

(٨) يا ابن آدم لا تخافنّ فوت الرزق ما دامت خزائني مملوءة . وخزائني مملوءة
لا تنفذ أبداً

(٩) يا ابن آدم لا تخافنّ من ذى سلطان ما دام سلطانى باقياً . وسلطانى باق
لا ينفذ أبداً

(١٠) يا ابن آدم لا تأمن مكرى حتى تجوز على الصراط

لو أن الانسان راض نفسه على اتباع أمر ربه وقنع بما قسمه الله له وعمل في
جد وحزم لأداء واجبه على وجهه الأكمل لحال بينه وبين وساوس كثيرة تشغله وتلهيه
وكثيراً ما تؤذيه وترديه كما يخفف عنه أزمات كثيرة بينه وبين الناس تذكىها المطامع
وتؤجج من نارها الشهوات والنزوات .

وقد أبان رسول الله ﷺ عن نظام القدر ، وكشف عن الطريق الواضحة فيما
يجب أن يسلكه الانسان في حياته ليبقى عزيزاً كريماً . مجدداً عاملاً . قال ﷺ :

« احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا
استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك
إلا بشيء قد كتبه الله لك . وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا
بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى .

وفي رواية أخرى : « احفظ الله تجده أمامك . تعرف الى الله في الرخاء يعرفك
في الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك . وفي
آخر : واعلم أن النصر مع الصبر . وأن الفرج مع الكرب . وأن مع العسر يسراً »

روى الامام أحمد بن حنبل في مسنده : قال النبي ﷺ : « ارض بما قسم
الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مسلماً . وأحب لأخيك ما تحبه
لنفسك تكن مؤمناً » .

كان القدر موضع فتنة بين المسلمين ، وهو كما قال اللالكائي في شرح السنة عن
الاوزاعي « اول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً
فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد » .

والقول بالقدر قديم شاع في أيام الصحابة . قال ابن عباس « لما كثرت القدرية بالبصرة خربت البصرة » . أو لفظ هذا معناه ^(١) .

وأورد أبو القاسم بن حبيب في تفسيره بأسناده أن علي بن أبي طالب سأل سائل عن القدر فقال : طريق دقيق لا تمش فيه . فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ فقال : بحر عميق لا تخض فيه . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . فقال : سر خفي لا تفشه . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . فقال رضى الله عنه : يا سائل إن الله تعالى خلقك كما يشاء أو كما شئت ؟ فقال : كما شاء . قال إن الله يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال كما يشاء . فقال : يا سائل لك مشيئة مع الله أو فوق مشيئته أو دون مشيئته ؟ فان قلت مع مشيئته ادعيت الشرك معه . وان قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته . وان قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته ^(٢) .

وخلاصة القول كما جاء عن الكتاب والسنة أن الله تعالى « حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم . ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحكم عليهم ثم يجازيهم عليه . فالعبد هو الفاعل للخير والشر . والایمان والكفر والطاعة والمعصية ^(٣) » وكل انسان مجزى بعمله إن خيرا نفي وإلّا شرا فشر قال تعالى ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ سورة الزلزال

(١) التبصير في الدين للإسفرائيني ص ٥٨ (٢) عنه ص ٨٥

(٣) الملل والنحل للشهرستاني على هامش كتاب الفصل لابن حزم ص ٥٤

الموت !

« الموت اول امتحان يؤدى إما الى فرحة باقية ، وإما الى حسرة دائمة .

لعل أروع الحوادث فى هذا العالم هو الموت ، ولعل الموت هو أكبر المصائب فى هذه الحياة الدنيا . إذ قد يرجى الشفاء من المرض ، وقد يؤمل فى عودة المسافر الذى طال غيابه ، وقد يصلح المعوج ، وقد يذهب المال ويرجع . ولكن لا يعود الميت الى حياته الدنيا . فالموت فراق لا رجعة فيه ، ووداع لا أوبة بعده ، وبلاء نازل بالأمير والحقير ، والكبير والصغير ، والغنى والفقير ، والعالم والجاهل ، ولا مفر منه فقال تعالى ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت (١) ﴾ وقال أيضاً ﴿ قل إن الموت الذى تفرّون منه فانه ملاقيكم ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٢) ﴾

وما هو هذا الموت ؟ يقولون انه حالة انتقال . . وفيما هذا الجزع ؟ لان المتوفى لا يعلم مصيره . . !

وفيما هذا الخوف من الموت ؟

لأن الكثيرين قد عمروا دنياهم بفساد آخرتهم فهم يكرهون أن ينتقلوا من العمار الى الخراب

لا شك فى أن الدنيا متصلة بالآخرة وبينهما حجاب مستور . والموت احدى الوسائل للدخول من هذا الباب فاما إلى نعيم مقيم ، أو عذاب مستديم . وذلك حسب عمل الانسان واستعداده وما كان عليه فى الحياة الدنيا . فالموت إن هو الا أن يخلع الانسان ثوبه المادى (الجسم) ويعود الى حالته الاثيرية النورانية . الا أن هذه الحالة الجديدة تكون متأثرة بما فعله الانسان فى الحياة الدنيا : من جميل الافعال وحميد الخصال أو قبيح الاعمال وسوء الاخلاق فيلقى جزاءهما حسب ما قدمت يداه . والله تعالى يصف لنا هذا فى ايجاز وحسن بيان قال جل شأنه :

﴿ قُلْ يَتُوقْنَا كَمَا تَمُوتُ الْمَوْتُ الَّذِي وَكَلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴾ * وَلَوْ تَرَىٰ
إِذِ الْمُرْجُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا
إِنَّا مُوقِنُونَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ
الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءَ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
فَآرَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ * وَلَتَذُقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْآدِنِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْآكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا . إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْتَقِمُونَ (١١) ﴿

ومثل الموت والعذاب والنعيم ، مثل السلطان الذى أرسل طالبين الى أوربا
ليتعلميا ويحصلوا على الدرجات العلمية المطلوبة وهما تحت رقابة شديدة لا يعلمانها . فأما
أحدهما فقد ألهته مباحج المدينة وزخرفها فانصرف الى الاستمتاع بها ، وغفل عن مهمته
الأصيلة وهى الكد والتحصيل وإرضاء مليكه عليه ، وسار سيرا معوجا فلا يأبه
بوعده أو وعيد ، وبينما هو غارق فى هذه الحالة السومى ونسى مولاه وأوامره
وتواهيه إذا برسول السلطان يضع يديه على كتفيه ويقول له أنت طلبة الملك ! وأدّ
ما عليك وقدم حسابك فى أداء مهمتك ! ؟

فكيف يكون حال هذا الطالب ! ؟

وكيف يكون قدومه على مولاه وهو لم يعمل بما أمر به ، وصحيفته مملوءة بالآثام
والأوزار ! ؟

لا شك فى أن مثل هذا الطالب الساهى لا يريد الرجوع الى سلطانه ، ولا
يريد أن يلتقى مولاه وهو بهذه الحالة المزرية المعيبة ! !

فاذا ما وقف بين يدي مولاه كان العقاب نصيبه ، والعذاب مآله . وأما الطالب الآخر فقد جد واجتهد ولم تشغله الملاذ ولم ينصرف الى الشهوات بل وصل ليله بنهاره في التحصيل وانجاز المهمة التي حضر من أجلها ، وهو دائم لذكر مولاه متتبعا وأوامره متتبعيا عن نواهيهِ . وبينما هو على هذه الحالة إذا برسل السلطان يقول له في رفق وهوادة هلم الى ملاقاتة مليكك فهو في شوق اليك كما كمنت مشتاقا اليه . وهو يريد أن يجزيك الجزاء الأوفى على ما قدمته من حسن العمل والمواظبة على طاعته !!

لا شك أن مثل هذا الطالب يكون فرحا مسرورا مبتهجا ببقاء مولاه يحاسب في يسر ، وينعم بأجر المجتهدين الخالصين ، ويكون عنده من الأبرار المقربين الذين ينعمون بالنعيم المقيم

فالدنيا مزرعة الآخرة . فمن جد وجد ومن زرع حصد . ومن غرس وأحسن الغرس جنى شهي الثمر . ومن أهمل وتواني أضاع نفسه . ومن بذر الإهمال لا يجنى إلا الخيبة والفشل ، ولاقى الموت وهو في أشد حالات الفزع ونزل به ريب المنون وهو في غاية الجزع ، فلا خل يدفع عنه ولا صاحب يواسيه ، ولا ولد يفاديه ولا والديحميه فالموت آخر مراحل الدنيا وأول درجات الآخرة . مثله كمثل ربان السفينة ينقل الناس من شاطئ الى شاطئ ومن مملكة الى مملكة ومن قارة الى قارة ومن عالم الى عالم آخر والكل حلقات متصل بعضها ببعض والكل مجموع ليوم لا ريب فيه ذلك يوم البعث ، قال تعالى :

﴿ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ (١)
﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾ (٢)

أخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : تحضر الملائكة (عند المحتضر) فاذا كان الرجل صالحا قال (ملك الموت) : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب . اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض

غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان ابن فلان . فيقال مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخل حريدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي الى السماء السابعة . فاذا كان الرجل السوء قال اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث . اخرجي ذميمة . وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج . فلا يزال يقال لها حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء . فيستفتح لها . فيقال من هذا ؟ فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث . ارجعي ذميمة فانها لا تفتح أبواب السماء . فترسل من السماء ثم تصير الى القبر

لو علم الانسان أن هذه الحياة الدنيا فيها الرقابة الدقيقة على حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله لكان له مسلك آخر . إلا أنه غفل وانحدر في شهواته فطمست بصيرته وما أغنى عنه بصره ولا سمعه ولا فؤاده

ملائكة تحصى على الانسان الصغيرة والكبيرة وجوارح تشهد على ما فعلت وجو يرصد حركات الانسان وأفعاله وألفاظه وأقواله . ورب عليم قدير بصير يرقب كل ذلك عن كذب ولا تخفى عليه خافية . لقد أحيط بالانسان من كل مكان وفي كل زمان . فإين المفر

اقرأ كلام الله عز وجل وهو يحدث عن عجيب صنعته . وكامل قدرته . وجبروته عزته قال تعالى :

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) (اى عن يمينه وشماله ملائكة تكتب) * **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** (حاضر) * وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تجيد * ونُفِخَ فِي الصُّورِ ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * وقال قريته هذا ما لدى عتيد * ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مشاع للخير معتمد مررب * . . . وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا

«ما توعدون لكلّ أبوابٍ حفيظ * من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلبٍ مُنِيب *
ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود» (١) وقال أيضاً :

﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٢)
ويوم يُخَشِّرُ أعداء الله إلى النار فهم يُوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم
سمْعُهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لمّ شهدتم علينا
قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما
كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم . ولكن ظننتم
أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ، وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من
الخاسرين (٣)﴾

وكما يموت الانسان بمفرده كذلك تموت الجماعات بل والأمم التى انتهت أجلها
وقد تؤخذ على غرة بعد إنذارٍ ووعيد . وهذه تكون أعمت في الفساد ولجت في
الطغيان ، وأسرفت في الشهوات ، وعم ظلمها ، وعز إصلاحها وهدايتها . ويكون
مصير هذه الجماعات كصير الأفراد . موت وحساب فعقاب . انظر الى عمل فرعون وجماعته
مع موسى عليه السلام وقد قص الله تعالى قصته في أسلوب طريف حكيم حيث ألزمه
الحجة وأقام عليه الدليل . ثم بعد ذلك أخذه وجماعته اخذ عزيز مقتدر فأهلكه ثم
قذف به في النار مع من معه من الأشياع والأتباع والجنود . ولم تغن عنهم أموالهم
ولا قوتهم

قال تعالى :

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال . وقال فرعون ذروني أقتل موسى
وليدع ربّه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد * وقاله
موسى إني عدت إلى ربّي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم أن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ يا قوم اسمعوا الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بآس الله أن جاءنا ﴾ قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾

﴿وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ﴾ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلاماً للعباد ويأقوم اني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا كذلك يضلل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾

﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ﴾ أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب﴾

﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ﴾ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار ﴾ من عمل سيئة فلا يحزى إلا مثلهما ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ يا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ﴾ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ﴾ لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار ﴾ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد ﴾ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون أشد العذاب﴾ سورة غافر

أشد العذاب هو اغراقهم جماعة في البحر ثم عذابهم في القبر ثم مصيرهم الى جهنم جزاء عصيانهم وطغيانهم على أوامر الله تعالى . وعذاب القبر صريح في الآية التالية . ولا يخفى على ضعفاء النفوس من العذاب ضعفهم وتبعيتهم لقوادهم ولزعمائهم فكل

إنسان مجزى بعمله سواء كان هذا العمل من تلقاء نفسه أو فعله تقليداً وطاعة لرئيسه
فانه : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، وقد أقام الحجة مؤمن آل فرعون على
حاشية فرعون وأتباعه براهين دامغة حتى لا يكون لهم عند الله معذرة قال تعالى يصف
جزاء عنادهم وظلمهم :

﴿النارُ﴾ يعرضونَ عليها غدوً وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون
أشدَّ العذاب * وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم
تبعاً فهل أنتم مُنصِفون عما نصيبنا من النار ؟ قال الذين استكبروا إنا كلٌّ فيها إن الله
قد حكم بين العباد * وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من
العذاب * قالوا ألم نأكْ تأتيناكم رسالكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال * إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد *
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ^(١) ﴿

روى ابن حاتم عن زهير بن محمد قال قيل : يا رسول الله ملك الموت واحد
والزحمان (الجيشان) يلقيان من المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط
والهلاك ؟ فقال : ان الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي أحدكم
فهل يفوته منها شيء .

وروح الانسان بعد خروجها من الجسم تنعم أو تعذب بأعمالها وصفاتها حسب ما كانت عليه في الدنيا . وهى رهينة بما كسبت حتى يفصل فى أمرها نهائياً يوم القيامة يوم تجميع جميع الخلائق من بدء الدنيا حتى نهايتها

روى البخارى ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ وقف على قتلى بدر فقال : يا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فأتى وجدته ما وعدنى ربى حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟

فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا
وأخرج الشيخان (البخاري ومسلم) عن أبي سعيد الخدري . قال : قال رسول
الله ﷺ إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت

قدموني . وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلتى أين تذهبون بي . يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان . فلو سمعه الإنسان لصعق

(وأخرج) ابن أبي الدنيا في القبور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما من ميت يوضع على سريره فيخطى به ثلاث خطوات إلا تكلم بكلام يسمعه من شاء إلا الثقلين (الانس والجن) يقول : يا اخوتاه يا حملة نعشاء لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي . خلقت ما تركت لورثتي والديان يوم القيامة يخاصمني ويحاسبنني وأنتم تشيعوني وتدعوني »

وأخرج الشيخان وغيرهما من طريق قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : إن العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه يسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقعدان فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل . وعند ابن مردويه ما كنت تقول في هذا الرجل الذي كان بين أظهركم الذي يقال له محمد . قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي ﷺ فيهما جميعاً . قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضراً . وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري ، كنت أقول ما يقوله الناس . فيقال لا دريت ولا تليفت . ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين

فالموت أول مراحل الآخرة يشهد الإنسان ما كان خافياً عليه . من عالم كان يحيط به أحاطة السوار بالمعصم . ويرى نتائج أعماله في دنيا لا هية صاخبة اغتر بأمانيتها الكاذبة ، ودعاؤها الباطلة

فاذا أراد الإنسان أن يعرف ماله عند الله ، فلينظر ماله عنده وعلاقته مع ربه . فعلى هذه العلاقة يكون اللقاء ويكون الحساب . وقد ورد في الحديث المرفوع عن النبي ﷺ : ليس الايمان بالتمني وانما ما وقر في الصدر وصدقه العمل . وإن قوماً ألهتهم الأماني وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله . كذبوا . لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل

زيارة المريض

عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميم العاطس ، وإبرار المقسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام . متفق عليه

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميم العاطس » متفق عليه

وعنه قال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى . قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين . قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين . قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى . قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين . قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى » . رواه مسلم

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « عودوا المريض ، واطعموا الجائع ، وفكوا العاني » رواه البخارى . (العاني) : الأمير

ما يقول من ايس من حياته

عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت النبي ﷺ وهو مستند إلى يقول « اللهم اغفر لى ، وارحمنى ، والحقنى بالرفيق الأعلى » رواه البخارى ومسلم

وعنها قالت : رايت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول « اللهم أعنى على غمرات الموت وسكرات الموت » رواه الترمذى

استحباب وصية اهل المريض ومن يخدمه
بالاحسان اليه واحتماله الصبر على ما يشق من امره
وكذلك الوصية بمن قرب سبب موته بحد أو قصاص ونحوهما

عن عمران بن الحصين رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة أتت النبي ﷺ وهي
حبل من الزنا فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فافقه على . فدعا رسول الله ﷺ
وليها فقال احسن اليها فإذا وضعت فأثني بها ففعل ، فأمر بها النبي ﷺ فشددت
عليها ثيابها ثم أمر بها فرجعت ثم صلى عليها . رواه مسلم

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد
شق بصره فأغمضه ثم قال « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله قال
« لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال
« اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين »
واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ونور له فيه » رواه مسلم

ما يقال عند الميت

وما يقوله من مات له ميت

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا حضرتم المريض
أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » قالت فلما مات أبو
سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات . قال « قولى : اللهم
اغفر لى وله ، وأعقبنى منه عقبى حسنة » فقلت ، فاعقبنى الله من هو خير لى منه
محمد ﷺ . رواه مسلم هكذا : إذا حضرتم المريض - أو الميت - على الشك . ورواه
أبو داود وغيره « الميت » بلا شك

وعنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول :
إنا لله وإنا اليه راجعون ، اللهم أجرنى من مصيبتى واخلف لى خيراً منها ، إلا آجره
الله تعالى فى مصيبتة وأخلف له خيراً منها » قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى
رسول الله ﷺ ، فآخلف الله لى خيراً منه : رسول الله ﷺ . رواه مسلم

وعن ابي موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا مات ولد العبد قال الله تعالى ملائكته قبضتم ولد عبدي . فيقولون نعم . فيقول قبضتم ثمرة فؤاده . فيقولون نعم . فيقول فإذا قال عبدي . فيقولون حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ، رواه الترمذى وقال حديث حسن

وعن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة . رواه البخارى

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : ارسلت احدى بنات النبي ﷺ اليه تدعوه وتخبره أن صديها لها أو ابناً فى الموت ، فقال للرسول : ارجع اليها فأخبرها أن الله تعالى ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده باجل مسمى ، ففرها فلتصبر ولتحتسب ، وذكر تمام الحديث . رواه البخارى ومسلم

خروج الروح

عن ابي هريرة رضى الله عنه قال إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملائكة يصعدونها . قال حماد رضى الله عنه فذكر لنا من طيب ريحها والمسك ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمريه . فينطلق به الى ربه عز وجل ثم يقول انطلقوا به الى آخر الأجل قال وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الارض . قال فيقال انطلقوا به الى آخر الأجل . قال ورد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه هكذا . رواه مسلم .

عن البراء رضى الله عنه قال خرجنا مع النبي ﷺ فى جنازة رجل من الانصار فانتبهنا الى القبر ولما يلاحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسه فقال استعينوا بالله من عذاب القبر (مرتين أو ثلاثاً) ثم قال إن المؤمن إذا وضع فى قبرة وتولى عنه اصحابه وهو يسمع خفق نعالهم يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان له من هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو

رسول الله ﷺ فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت
فذلك قول الله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ﴾ فينادى مناد من السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة والبسوه من
الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيه مد بصره
(يوسع قبره حتى يكون بقدر ما يبصر) . وإن الكافر أو المنافق إذا وضع في قبره
وعادت روحه في جسده يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهـ هاهـ
لا أدري (هاهـ هاهـ بسكون الهاء فيهما كلمة يقولها المتحير الذى لا يدري ما يقول)
فيقولان ما دينك فيقول هاهـ هاهـ لا أدري . فيقولان من هذا الذى بعث فيكم فيقول
هاهـ هاهـ لا أدري . قال فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار والبسوه من
النار وافتحوا له بابا الى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى
تختلف فيه اضلاعه ثم يقيض له (اى يدخر له من الزبانية) اعشى ابكم معه مرزبة
من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق
والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ثم تعاد فيه الروح . رواه ابو داود والنسائي .

عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا قبر الميت - أو قال
أحدكم - اتاه ملكان اسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما
كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله اشهد أن لا إله
إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقولان قد كننا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح
له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ويقال له نعم فيقول ارجع إلى أهلى
فاخبرهم فيقولان نعم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله
من مضجعه ذلك . وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون فقلمت مثله لا أدري
فيقولون قد كننا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التثمى عليه فتلتئم عليه فتختلف
فيها اضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

عن انس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « ما من حافظين - وهما ملكان عن اليمين
وعن الشمال يكتبان أعماله - رفعاً إلى الله ما حفظا من ليل أو نهار فيجد الله في اول
الصحيفة وفي آخر الصحيفة خيراً إلا قال الله تعالى اشهدكم انى غفرت لعبدى ما بين
طرفي الصحيفة » . رواه الترمذى في الجنائز .

عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبي ﷺ : قال الكيس (العاقل) من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان .
رواه الترمذى واحمد والحاكم .

عن ابى سعيد رضى الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناسا كانهم يكتشرون (من الكشر وهو ظهور الاسنان من الضحك) فقال أما إنكم لو اكثرتم ذكر هاذم الذات لشغلكم عما أرى فأكثرُوا ذكر هاذم الذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربية وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا واهلا أما إن كنت لا حب من يمشى على ظهري إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك قال فيمتسع له مد بصره ويفتح له باب الجنة . وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر فقال له القبر لا مرحبا ولا اهلا أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهري إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك قال فيلتئم عليه حتى تلتقى عليه وتختلف اضلاعه قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضهما فى جوف بعض قال ويقيض الله له سبعين تنيما (نعبانا) لو أن واحدا منها ففخ فى الارض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشتمه ويخدشتمه حتى يفضى به الى الحساب . قال وقال رسول الله ﷺ إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . رواه الترمذى .

باب تلقين المحتضر لا اله الا الله

عن معاذ رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » . ورواه ابو داود والحاكم وقال صحيح الاسناد (وعن) ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لقنوا موتاكم لا اله الا الله) رواه مسلم

باب ما يقوله الانسان بعد تعميض الميت

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فاغمضه ثم قال ان الروح اذا قبض تبعه البصر . فضج ناس من اهله قال لا تدعوا على انفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون . ثم قال : اللهم اغفر لأبى

سلبية وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح في قبره ونور له فيه (رواه مسلم)

باب ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت

عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ اذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون . قالت فلما مات ابو سلمة اتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله ان ابا سلمة قد مات قال قولي اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبي حسنة فقلت فاعقبني الله من هو خير لي منه محمد ﷺ . رواه مسلم هكذا اذا حضرتم المريض أو الميت على الشك ورواه ابو داود وغيره الميت بلا شك (وعنها) قالت سمعنا رسول الله ﷺ يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها الا أجره الله تعالى في مصيبته واخلف له خيرا منها . قالت فلما توفي ابو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فاخلف الله لي خيرا منه رسول الله ﷺ (رواه مسلم) . وعن ابى موسى رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول فاذا قال عبدي فيقولون حمـ ذلك واسترجع فيقول الله تعالى ابثوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد . وقال حديث حسن . وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن من جزاء اذا قبضت صفية من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة . رواه البخارى . وعن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال ارسلت احدى بنات النبي ﷺ اليه تدعوه وتخبره ان صبيا لها او ابنا في الموت فقال للرسول ارجع اليها فاخبرها ان الله تعالى ما اخذ وله ما اعطى وكل شيء عنده باجل مسمى فمرها فالتصبر ولتحتسب وذكر تمام الحديث (متفق عليه)

باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة

أما النياحة فحرام ، وقد تقدم بيان ذلك في هذا الكتاب . واما البكاء فجاءت احاديث بالنهي عنه وان الميت يعذب لبكاء اهله وهى متأولة بحولة على من أوصى به والنهي انما هو عن البكاء الذى فيه ندب او نياحة والدليل على جواز البكاء

بغير نذب ولا نياحة احاديث كثيرة منها عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ عاد سعد بن عباد ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وعبيد الله بن مسعود رضى الله عنهم فبكى رسول الله ﷺ فلما راي القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا او يرحم و اشار الى لسانه (متفق عليه) . وعن اسامة بن زيد رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ رفع اليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء . وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ دخل على ابنته ابراهيم رضى الله عنه وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذر فان فقال له عبد الرحمن بن عوف وانت يا رسول الله ؟ فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم أتبعها باخرى فقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا واننا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون رواه البخارى وروى بعضه مسلم والاحاديث فى الباب كثيرة فى الصحيح مشهورة والله اعلم

باب الكف عن ما يرى من الميت من مكروه

عن ابن رافع اسلم مولى رسول الله ﷺ قال من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له اربعين مرة . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

باب الصلاة على الميت وتشيعه وحضور دفنه وكرهه اتباع النساء الجنائز

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من شهد الجنائزة حتى يصلى عليه فله قيراط ومن شهدا حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قيل مثل الجبلين العظيمين . وعنه ان رسول الله ﷺ قال من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قيراط مثل احد ومن صلى عليها ثم رجع قبل ان تدفن فانه يرجع بقيراط (رواه البخارى) وعن ام عطية رضى الله عنها قالت نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا . معناه ولم يشدد فى النهى كما يشدد فى المحرمات

باب استحباب تكثير المصلين على الجنائزة وجعل صفوفهم ثلاثا فاكثر
عن عائشة رضى الله عنها قالت ما من ميت يصلى عليه امسة من المسلمين يبايعون

مائة كلهم يشفعون له الا شفّعوا فيه (رواه مسلم) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفّعهم الله فيه (رواه مسلم) وعن مرثد بن عبد الله الزبني قال كان مالك بن هبيرة رضى الله عنه اذا صلى على الجنازة فتمت قال الناس عليها جزأهم عليها ثلاثة اجزاء ثم قال قال رسول الله ﷺ من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد اوجب . رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن

باب ما يقرأ فى صلاة الجنازة

يكبر اربع تكبيرات يتعوذ بعد الاولى ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثم يكبر الثانية ثم يصلى على النبي ﷺ فيقول : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد . والافضل ان يتممه بقول كما صليت على ابراهيم الى قوله حميد مجيد . ولا يقول ما يفعله كثير من العوام من قراءتهم ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية فانه لا تصح صلاته اذا اقتصر عليه ثم يكبر الثالثة ويدعو للميت وللمسلمين ثم يكبر الرابعة ويدعو ، ومن احسنه : اللهم لا تحرمننا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله

والمختار أن يطول الدعاء فى الرابعة خلاف ما يعتاده اكثر الناس لحديث ابن

ابى اوفى

واما الادعية المأثورة بعد التكبيرة الثالثة فمنها عن ابى عبد الرحمن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار ، حتى تمنيت ان اكون انا ذلك الميت (رواه مسلم)

وعن ابى هريرة وابى قتادة وابى ابراهيم الاشعلى عن أبيه وأبوه صحابى رضى الله عنهم عن النبي ﷺ انه صلى على جنازة فقال اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من احببته منا فاحبه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمننا اجره ولا تفتنا بعده : رواه الترمذى من رواية ابى هريرة والاشعلى ورواه ابو داود من رواية ابى هريرة وابى قتادة قال

الحاكم حديث ابى هريرة صحيح على شرط البخارى ومسلم قال الترمذى قال البخارى
اصح روايات هذا الحديث رواية الاشعلى قال البخارى واصح شىء فى هذا الباب
حديث عوف بن مالك . وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ
يقول اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء رواه ابو داود وعنه عن النبى ﷺ فى
الصلاة على الجنائز اللهم انت ربها وانت خلقتها وانت هديتها للاسلام وانت قبضت
روحها وانت اعلم بسرها وعلايتها وقد جئناك شفعا له فاغفر له . رواه ابو داود .
وعن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال صلى بنسا رسول الله ﷺ على رجل من
المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان ابن فلان فى ذمتك وصل جوارك فقه فتنة القبر
وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحمد ، اللهم فاغفر له وارحمه انك انت الغفور
الرحيم . رواه ابو داود . وعن عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنهما انه كبر على
جنازة ابنة له اربع تكبيرات فقام بعد الرابعة كقدر ما بين التكبيرتين يستغفر لها
ويدعو ثم قال كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا وفى رواية كبر اربعا فشكت ساعة
حتى ظننت انه سيكبر خمسا ثم سلم عن يمينه وعن شماله فلما انصرف قلت له ما هذا
فقال انى لا ازيدكم على ما رايت رسول الله ﷺ يصنع ، او هكذا صنع رسول الله
ﷺ رواه الحاكم وقال حديث صحيح

باب الاسراع بالجنائز

وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال اسرعوا بالجنائز فان تك
صالحة فخير تقدمونها اليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم . متفق عليه .
وفى رواية لمسلم فخير تقدمونها عليه . وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان
النبى ﷺ يقول اذا وضعت الجنائز فاحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة
قالت قدموني وان كانت غير صالحة قالت لاهلها يا ويلها اين تذهبون بها يسمع
صوتها كل شىء الا الانسان ولو سمع الانسان لصعق

باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة الى تجهيزه

الا ان يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته

عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال نفس المؤمن معلقة بدينه حتى
يقضى عنه رواه الترمذى وقال حديث حسن . وعن حصين بن وحوح رضى الله عنه

ان طلحة بن البراء بن عازب رضى الله عنهما مرض فأتاه النبي ﷺ يعودوه فقال انى لا ارى طلحة الا قد حدث فيه الموت فأذنونى به وعجلوا به فانه لا ينبغى لجيفة مسلم ان تحبس بين ظهرانى أهله . رواه ابو داود .

باب الموعدة عند القبر

عن على رضى الله عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس وجعل ينكت بمخضرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة . فقالوا يا رسول الله افلا تتكل على كتابنا فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له وذكر تمام الحديث متفق عليه (١)

باب الدعاء لليت بعد دفنه والقيود عند قبره ساعة للدعاء والاستغفار والقراءة

عن ابى عمرو وقيل ابو عبد الله وقيل ابو ليلى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان النبي ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لا خيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسال رواه ابو داود . وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال اذا دفنتموني فاقبموا حول قبري قدر ما تنجر جزور ويقسم لحمي حتى استأنس بكم واعلم ماذا اراجع به رسل ربى . رواه مسلم وقد سبق بطوله . قال الشافعى رحمه الله ويستحب ان يقرأ عنده شيء من القرآن وان ختم القرآن كله كان حسنا

باب الصدقة على الميت والدعاء له

قال الله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا قال للنبي ﷺ ان اى اقللت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها من اجر ان تصدقت عنها قال نعم متفق عليه . وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعوه له رواه مسلم

باب ثناء الناس على الميت

عن انس رضى الله عنه قال مروا بجماعة فائتوا عليها خيرا فقال النبي ﷺ وجبت ثم مروا باخرى فائتوا عليها شرا فقال النبي ﷺ وجبت فقال عمر بن

(١) كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تأليف العالم العارف بالله محي الدين ابى بكر بن عمار بن شرف النووي ص ٣٣٣ وما بعدها

الخطاب رضى الله عنه ما وجبت فقال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله في الارض (متفق عليه) . وعن ابى الاسود قال قدمت المدينة فجلست الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمرت بهم جنازة فاثني على صاحبها خيرا فقال عمر وجبت ثم مر باخرى فاثني على صاحبها خيرا فقال عمر وجبت ثم مر بالثالثة فاثني على صاحبها شرا فقال عمر وجبت قال ابو الاسود فقلت وما وجبت يا امير المؤمنين قال قلت كما قال النبي ﷺ أيما مسلم شهد له اربعة بخير ادخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقال واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد . رواه البخارى

باب فضل من مات له اولاد صغار

عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث الا ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم (متفق عليه) . وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار الا تحلة القسم متفق عليه وتحلة القسم : وان منكم الا واردها والوردوهو العبور على الصراط وهو جسر منصوب على ظهر جهنم عافانا الله منها . وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا بما عليك الله قال اجتمعن يوم كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فعلمن بما عليه الله ثم قال ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد الا كانوا لها حجابا من النار ، فقالت امرأة واثنين فقال رسول الله ﷺ واثنين (متفق عليه)

باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم

واظهار الافتقار الى الله تعالى والتحذير من الغفلة

عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال لا صحابه - يعنى لما وصلوا الحجر ديار ثمود - لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما اصابهم . متفق عليه

وفى رواية قال لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رسول الله ﷺ راسه وامرع السير حتى اجاز الوادى

ملخص عما يجب نحو المريض والميت

حالة المرض والموت : من السنة عيادة المريض . وتلقين المحتضر الشهادتين وتوجيهه نحو القبلة وتغميضه اذا مات . وقراءة يس عليه . والمبادرة بتجهيزه الا لتجوين حياته والقضاء لدينه وتسجيته . ويجوز تقبيله . وعلى المريض ان يحسن الظن بربه ويتوب اليه ويتخلص من كل ما عليه

الغسل : ويجب غسل الميت المسلم على الاحياء والقريب اولى بالقريب اذا كان من جنسه واحد الزوجين بالآخر . ويكون الغسل ثلاثا او خمسا او اكثر بماء وسدر وفي الآخرة كافورا وتقديم الميا من . ولا يغسل الشهيد

الكفن ويجب تكفينه (١) بما يستره ولو لم يملك غيره ، ولا بأس بالزيادة مع التمكن من غير مغالة ، وبكفي الشهيد ملابسه التي قتل فيها وندب تطيب بدن الميت وكفنه الصلاة على الميت . وتجب الصلاة على الميت . ويقوم الامام خذاء رأس الرجل ووسط المرأة . ويكبر اربعا أو خمسا ويقرأ بعد التكبيرة الاولى الفاتحة وسورة . ويدعو بين التكبيرات بالادعية المأثورة . ولا يصلى على الغال وقاتل نفسه والكافر والشهيد . ويصلى على القبر وعلى الغائب

الجنائز : ويكون المشى بالجنائز سريعا . والمشى معها والحمل لها سنة . والمتقدم عليها والمتأخر عنها سواء . ويكره الركوب . ويحرم النعى والنياحة واتباعها بالنار ، وشق الجيب والدعاء بالويل والثبور . ولا يقعد المتبع لها حتى توضع . والقيام مسموح دفن الميت والقبر . زيارة القبور يجب دفن الميت في حفرة تمنعه من السباع ولا بأس بالضرع . واللحد اولى . ويدخل الميت من مؤخرة القبر ويوضع على جنبه الايمن مستقبلا . ويستحب حشو التراب من كل من حضر ثلاث حشيات . ولا يرفع القبر زيادة على شبر . والزيارة للموتى مشروعة . ويقف الزائر مستقبلا للقبلة . ويحرم اتخاذ القبور مساجد وزخرفتها وتسريحها والقعود عليها . وسب الاموات . والتعزية مشروعة . وكذلك اهداء الطعام لاهل الميت (٢)

(١) الاصل في التكفين التشبه بحال النائم المسجى بثوبه : ا كمله في الرجال ازار وقيص وملحفة او حلة . وفي المرأة هذه مع زيادة ما لانها يناسبها زيادة الستر

(٢) كتاب الدرارى المضية شرح الدرر البهية كلاما للامام العلامة الفقيه المجتهد محمد بن على الشوكاني قدس الله سره جزء اول ص ٢١٨ وما بعدها الى ٢٢٥

البعث

— ١٨٧ —

البعث بعد الموت ، وحياة الآخرة بعد الحياة الاولى ، والحساب الذى يلقاه الخارج من دنياه الى آخرته فلما شقاء واما نعيم ، واما جنة واما جحيم . كل هذا موضع الجدل والنزاع بين التصديق والتكذيب ، والافرار والانكار ، ومن أكبر الفوارق بين المسلمين والكفار .

فأما المنكرون فقد غلبوا على أمرهم . وأضلهم هواهم ، واستسلموا لشهواتهم وأطلقوا لها العنان وقالوا : وما الحياة الدنيا الا أرحام تدفع وأرض تبلىع وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين .

وقبل أن ندلل على صحة البعث يجب أن نبرهن على قدرة الباعث . قال اللورد أفبرى :

هب ان خلقا قُدر لهم أن يولدوا ويعيشوا فى أحشاء الارض على أوفر ما يكون من السعة والبجوحة والرفاهية فى قصور ضخمة حافلة بالنصب والتمثيل فى فسيحاتها وعرصاتها ، وبالرسوم والنقوش والزخارف والرياش فى أبهائها وقاعاتها ، وانهم يعلمون ما يعلمون ، ويسمعون بوجود إله خفى الأسرار ، عظيم الاقتدار . . . يحين يوم تُزلزل الارض زلزالها ، وتخرج أثقالها ، فيُستاح لسكان جوفها أن يظهروا على ظهرها فى بقعة مأهولة معمورة . واذا بهم يشاهدون أرضاً مترامية الاطراف ، وخضماً متسع النطاق ، وفضاء لا نهاية له ، وغيوماً متبدلة ، وسحاباً مطراً ، ورياحاً عاصفة ، وبروقاً وامضة ، ورعوداً قاصفة . فتحين منهم التفاتة الى مليكة النهار فيأخذهم سناؤها ، ويذهلهم جمالها ، وترهبهم عظمتها ، طالعة من أفق الشروق ، فصاعدة فى قمة الفضاء ، فثائلة الى أفق الغروب . اذ يعجبون لها ، مصباح واحد ينير الفضاء على اتساعه ثم تسدل سجوف الظلام وتراخى عليهم ستائرهِ وحجبه فيعروهم ذهول المنتظر المبهوت الجاهل ما سيكون . واذا بنجوم وأقمار ظاهرة بعد الخفاء ، بادية بعد الاحتجاب ، تطلع وتغيب ، وتسفر وتحتجب ، متتقلة فى أبراجها جادة فى سيرها حسباً تشاء نظاماتها ونواميسها الابدية . أقول : لا مرأى أنهم يوقنون

لساعتهم بوجود إله ، ويؤمنون وطيداً ، ويعتقدون أكيداً أن ما رأوه إنما صنعه يد ذلك الإله الخفي الاسرار ، العظيم الاقتدار ، الذي كان قد أتاهم نبأه من قبل (١) .
لو دقق الانسان النظر فيما حوله لرأى أن الكائنات التي يراها تسير وفق قوانين محكمة ، وقواعد مقررّة . فالكون شيء حقيقى منتظم خاضع لنواميس يجرى بموجبها . وعناصر أبعد نجم منا مثل عناصر أقرب نجم ، ومثل عناصر الشمس والارض . ونواميس حركات معروفة جارية على سنن واحدة . حتى لقد عرف بعض العلماء بما رآه من التأثير فى حركات بعض السيارات أن وراءها سيارا غير منظور (٢) ، وعرف مقداره وموقعه من تأثيره فيها قبلما رآه أحد فرصد فى المكان الذى عينه فوجد فيه وعليه فالعالم منتظم انتظاما يدل على أن حكمة سامية نظمته ، وحركاته جارية حسب قوانين ثابتة لا مجازفة فيها . قال تشالس دارون : « اننا اذا التفتنا الى العالم كله أبى العقل أن يسلم بأنه وجد صدفة » قال الدكتور فزدك الواعظ الامريكى المشهور فى حديث له :

اذا بحثنا فى طبائع الكائنات رأينا أنها تتدرج من البسيط الى المركب ، ومن الأدنى الى الأعلى . من غبار تتألف منه النجوم الى الارض السكثيرة التركيب . ومن الجماد الى النبات والحيوان . ومن أدنى طوائف الحيوان الى الانسان العاقل وهو أرقاها . فالكون متجه فى نظامه الارتقائى الى تكون العقل أو النفس : فاذا كان العقل أو النفس هو الغرض الاسمى الذى ترتقى اليه المخلوقات فهل يعقل أن الخالق يصل الى هذه الدرجة السامية فى ترقية مخلوقاته ، ومتى وصل اليها يلاشيها !!؟؟
أيعقل أن الجهاد الذى جاهدته المخلوقات مدى الملايين السكثيرة من السنين يذهب هباء منثورا كأن خالقها يلهو بها !! ومتى وصلت الى أعظم غاية يمكن الوصول اليها فى هذه الدنيا يطرحها من يده كأنها سقط المتاع !! ففكر دارون فى ذلك فقال « أى عاقل يستطيع أن يسلم بأن الانسان وكل الحيوانات التى فيها شيء من الشعور معرضة للإلحاشة بعد أن ارتقت هذا الارتقاء البطيء المستمر ؟! » .

(١) محاسن الطبيعة وعجائب الكون تأليف اللورد أفبرى . تعريب وديع البستاني ص ١١ و ١٢

(٢) هو السيار نيتون الذى أثبت وجوده جون ادمس الانكليزى ، ولا فوازيه الفلكى

الفرنسى فى وقت واحد تقريبا قبل أن يراه احد .

إذا سلمنا بما يقره العلم وهو أن نظام الكون يدل على وجود الحكمة في تنظيمه اضطررنا أن نسلم بوجود الخالق المنظم . وإذا سلمنا بوجوده تعذر علينا أن نعتقد بفناء اسمى مخلوقاته أى ذاتية الانسان أو عقل الانسان فذواتنا ليست أجسامنا ، ولا عقولنا . وما أجسامنا وعقولنا سوى آلات لها أوهى صقالة تقام ليبنى بها بناء عظيم . ومتى تم البناء أزيلت وبقي البناء !

ولقائل أن يقول اننى لا أستطيع أن أتصور الانسان من غير جسم !! ؟
فأجيب أننا إذا نفينا من الوجود كل ما لا نستطيع تصوره ، لم نستطيع أن نجارى العلم الطبيعي . فان رجال العلم يقولون أن رأس الدبوس عالم كبير فيه ملايين من الجواهر الفردة (الكترون) وهى تتحرك فى مداراتها كالكواكب فى أفلاكها وقد أثبت بعضهم أن الانسان لا يستطيع أن يحصى الجواهر الفردة التى فى رأس الدبوس فى أقل من مئتين وخمسين ألف سنة . فهذا شئ يفوق تصورى . ولكننى لا أدعى خطأ العلماء فيه لأننى لا أستطيع تصوره . وهذا شأننا فى الحياة بعد الموت . فان صعوبة تصورها لا تنفى وجودها

ان أكبر الفلاسفة لم يكن يستطيع وهو جنين فى بطن أمه ان يفهم أحوال الحياة التى يحياها . كأن يعيش بغير هواه بآت نفسه وطعام يأكله . فلا يستطيع أن يتصور كيف يعيش نحن . ولا كيف يعيش هو لو خرج من رحم أمه . ولو أدرك أنه سيخرج منه لعد خروجه موتاً

ونحن فى معرفتنا الحياة لا نزال مثل أجنة فى عقولنا . ولم نكشف من خفايا الكون إلا النزر اليسير . فلا عجب إذا تعذر علينا أن نتصور فى العالم غير المنظور أموراً وأحوالاً لم نرها ولم نشعر بها . (١)

إن مسألة البعث على ما لها من أهمية عظمى فى حياة الانسان الحاضرة والمستقبله سهلة بسيطة لا تحتاج الى كثرة جدل وطول بيان . اذا اعتبر بما يراه وان الله عز

(١) رسائل الارواح لجامعة الاستاذ فؤاد صروف ص ٢٣٢ الى ٢٣٦

وجل أبدع الكائنات على أحسن حال وأدق نظام وإن خلقه دائم وآياته الباهرة لا تنقطع . وقدرته لا تقف عند حد

لو دخلت مصنع نجار ورأيت صاحب المصنع يعمل موائد وأدوات مختلفة الحجم والمقياس وقال لك اني سأبيد هذه الموائد والادوات ثم أعيدها مرة أخرى كما كانت بأحجامها ومقاييسها؟؟! فهل تشك لحظة في صدق النجار وأنت ترى صنعتته ومهارته!! لا يجوز تكذيب هذا الصانع كما لا يجوز الشك في قوله وقدرته ما دام البرهان المحسوس قائماً على عمله! إنما يجوز الشك فيما اذا كان الصانع لم يصنع شيئاً وقال أنا قادر على أن أوجد كذا وأبيده ثم أعيده مرة أخرى! هنا يكون قوله محل التصديق والتكذيب لأنه يعوزه الدليل والحجة على صحة دعواه!!

أما والحالة غير ما ذكر . والصانع قائم بصنعتته على أكمل وجه وبأوفى بيان فلا شك في الصانع ولا شك في صحة ما يقول من أنه قادر على أن يعيد ما صنع والأعادة أسهل من البدء والتكرار يسهل عملية الصنعة

اذا كان هذا حالنا مع الصانع البسيط ، فالولى بنا مع خالق الكون ، الذى لا يقطع خلقه ، ولا يفنى عمله ، ولا تبلى قدرته ، ولا يضعف سلطانه ؛ انه اذا قال أنا قادر على أن أعيد هذا الخلق كما بدأته ، فلا شك فيما يقول ، لان برهانه قائم ، ودليله قاطع يرى ويلس

يقول الله تعالى ان عنده كتابا أحصى فيه جميع الاشياء وزنا وقدرها وشكلا في أمكنتها وأزمانها ، وعنده المادة الاولية التى يخلق منها الاشياء وهى لا تنقطع ونحن نراها ونحسها ، وان كنا لا ندرك كنهها على حقيقتها ، وان قدرته تعالى لا يعجزها شيء اذا قال للشيء كن فيكون ، وهذا ظاهر للعيان فى تدبير الافلاك ، وتسيير الكواكب بنظام محكم بالغ القدرة ، وفى خلق الانسان والحيوان والنبات خلقا لا ينقطع ، قال لقمان لابنه يا بني اذا كنت فى شك من البعث فان نمت فلا تصح ، وان صحت فلا تنم ، وهذا دليل على عجز الانسان وانه مقهور لله تعالى ، والنور واليقظة يمثلان الموت والبعث فى صورة مصغرة مكررة ، قال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ﴾ وقال الذين أوتوا

العلم والايمان لقد لبستم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكم كنتم لا تعلمون (١)

اقام الله تعالى الدليل القاطع والبرهان الواضح على قدرته البالغة . وأنه يعيد الانسان بعد موته ليحاسبه ويجزيه على عمله ، وحجج القرآن تقع تحت الحس ، ساطعة البيان تراها العين وتلمسها اليد ، لا لبس فيها ولا غموض ، قال تعالى :

﴿ الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ﴾ ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تفتشرون ﴾ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألصنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ﴾ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ ومن آياته يرسمكم البرق خوفاً وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون ﴾ وله من في السموات والارض كل له قانتون ﴾ وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٢)

وقال تعالى ﴿ ونفخ في الصور . فاذا هم من الاجداث (القبور) الى ربهم ينسلون ﴾ (يتسللون) ﴾ قالوا يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ فاليوم لا تطلم نفس شيئا ولا تحزون الا ما كنتم تعملون (٣)

وقال تعالى ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا ﴾ وعرضوا على ربك صفاء لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن نجعل لكم موعدا ﴾ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه . ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا

حاضرا ولا يظلم ربك أحداً (١)

ان البراهين والآيات التي يذكرها الله تعالى في القرآن الكريم تشهد بالعيان وتقع تحت الحس فمن ينكر أن الله يخرج من الحب الجامد الذي لا حراك به - اذا ما وضع في الأرض وروى بالماء - زرعاً وأشجاراً نامية مثمرة فيها الحياة ؟ ؟ فالقادر على أن يخرج النبات والزرع قادر أن يحيي الانسان بعد موته وخصوصاً وقد بدأه من علة قدرة ضعيفة حقيرة تكاد لا ترى بالعين المجردة

وليس الانسان بأكبر من السماء والأرض ، ولا من الكواكب والأفلاك ، والجبال والأنهار التي خلقها وجعلها خاضعة لحكمه فيجري عليها التحول والأفول والظهور كما نرى في الشمس والقمر ، واختلاف الليل والنهار

اذا كانت الشمس وهي أكبر من الأرض بملايين المرات تسير بأمر الله تعالى وهي في قبضته تغيب وتظهر . وتبدو وتكسف . فهل الانسان أكبر من الشمس قوة حتى يستعصى على الله تعالى اعادته بعد موته ؟ وقد قلنا ان الاعادة أسهل من البده !!
يذكرنا الله سبحانه وتعالى بأصل نشأتنا الضعيفة وان البعث لا ريب فيه يقول
جل شأنه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نَّفْثَةٍ مِّنْ عِلْقَةٍ مِّن مَّضْجَةٍ مَّخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ لِّيَتَّبِعُنَّكُمْ وَنُفِقَنَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنَبِّتُ مِّن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا . وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٢) ﴾

جاء رجل الى النبي ﷺ ومعه عظام بالية وقال كيف يحيي الله هذه بعد موتها؟
وقد نزل الوحي بالرد البليغ والحجة الناصعة فقال تعالى :

(أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) (كثير الخصومة والعداوة) مبين * وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يُحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون * أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (١)

ذكر الله تعالى الانسان بنشأته وأراه بالغ قدرته بما يراه ويحسه ، فأخذه وأخرسه
أخرج الامام أحمد والبيهقي بسند صحيح عن عائشة رضی الله عنها قالت جاءت
يهودية فاستطعمت على باني ، فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة
عذاب القبر ، فلم أزل أحبسها حتى أتى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما تقول
هذه اليهودية !! قال وما تقول ؟ قلت تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن عذاب
القبر . قالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدداً يستعين بالله من فتنة
الدجال ومن فتنة عذاب القبر . ثم قال : أما فتنة الدجال فانهلم يكن نبي الا وقد حذر
أمته . وسأحذركم بحديث لم يحذره نبي أمته . انه أعور ، والله ليس بأعور .
مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن . فأما فتنة القبر في تفتنون وعنى تسألون .
فاذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فرع ولا مشعوف (شدة الفرع) ثم يقال
له فيم كنت ؟ فيقول في الاسلام . فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول
محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيفرج له فرجة قبل النار
فينظر اليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له انظر الى ما وراك الله . ثم يفرج له فرجة
الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها . فيقال له هذا مقعدك منها . ويقال على اليقين
كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ان شاء الله .

واذا كان الرجل السوء جالس في قبره فزعاً مشعوراً فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري ! فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا . فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ويقال له هذا مقعدك منها ، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله . ثم يعذب هل البعث يكون للارواح مع الاجسام أو للارواح فقط ؟ ان الله قادر على كليهما . لان الذي خلق الروح وأمدّها بالحياة الدائمة قادر على أن يعيدها الى ما كانت عليه مجردة عن جسمها ، كما أنه قادر أيضاً على أن يعيد جسمها معها ، أو ينشئها نشأة أخرى كما قال تعالى ﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ (١) وعندى ان جسم الانسان عبارة عن ثوب وأن الله تعالى قادر أن يعيد هذا الثوب في مادته وشكله ووزنه ومقياسه ورسمه حينما غادر الدنيا . لان الله جلت قدرته عنده المادة الأولية وهى لا تفنى ، وقد أخرج منها هذه العوالم حسب تقديره وعلمه الواسع ، وقد أحصى كل شيء كتاباً ومن كان هذا شأنه فهو قادر على إعادة الاشياء بأعيانها وأوزانها كأنها لم تفن ولم تبسل (٢)

أرأيت لو أن مثالا صنع عدة تماثيل من الخشب من أحجام مختلفة وقال انه عنده المادة الخشبية بكثرة وافرة ووضع تماثيله حسب مقاييس وأوزان أودعها كتاباً وهو يدون ما يطرأ عليها من الحوادث والتحول ويودع ذلك في كتاب وفي صور فتوغرافية فهل تشك في أنه اذا قال لك أنه يمكنه أن يرجع هذه التماثيل ويعيدها ثانية في آخر صورة لها على ما كانت عليه ؟ لا شك في قوله ولا في قدرته ، ودليله من عمله الباهر واضح للعيان ولا يشك فيه اثنان والله المثل الأعلى والبعث يكون للجسم والروح معاً العالم كله سماؤه وما حوت ، وأرضه وما جمعت ، وما بينهما إن هو عندى إلا أداة

(١) سورة الواقعة

(٢) اثبت العلامة لافوازية الفرنسي احدى اقصاب الكيمياء الحديثة أن المادة لا تتعدم ولا تتجدد انما تتحول وتعود الى سيرتها الاولى — كما أنه يوجد رأى آخر يقول بفناء المادة

فتوغرافية تسجل كل صغيرة وكبيرة ، وكل شاردة وواردة على ظهر الارض من عمل الانسان ، والانسان هو أيضاً أداة فتوغرافية ينطبع في نفسه وعلى جسمه كل ما يعمل من خير أو شر ومن حركة وسكنة - والدليل قائم - الصوت الذي يحدّثه الانسان يمكن أن تلتقطه آلة الراديو في جميع الكرة الارضية . وكذلك التلفزيون يمكن أن يلتقط أى صورة فى أى ناحية من نواحي المعمورة اذا ما وجدت أدواته ، فالصوت والصورة وحركات الانسان يسجلها عالم الذر (أو العالم الاثيرى) وهو المحيط بنا ونعيش فيه بل تنطبع فى كل ما يراها من نبات وحيوان وأرض وسماء وانسان . وكذلك النفس البشرية هى أداة فتوغرافية حساسة جداً ينطبع فيها كل ما تراه وتحسه وتعمله . وقد رأينا عدة تجارب بواسطة التنويم المغناطيسى أن الانسان المنوّم يمكنه أن يتذكر كل ما عمله ورآه منذ ولادته الى الساعة التى هو فيها ، وفى بعض الاحيان يعلم ما سيحدث له حتى الموت ، كأنه يقرأ كتاباً ، ويضيق المقام عن سرد الأدلة الكثيرة

يقول لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) وهذا فى معرض الاستدلال بقدرة الله تعالى على أن كل إنسان يأتيه رزقه مهما صغر وقل من أى ناحية من نواحي العالم . وقد أبان الله تعالى على واسع علمه فى آيات كثيرة بأنّه يحصى الذرات ولا تحصى عليه منها خافية وهى مسجلة عنده فى كتاب فقال تعالى ﴿ وَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾ (يوم القيامة والبعث) قل بلى وربى لتأتينكم ، عالم الغيب لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ فى السماواتِ ولا فى الارضِ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين (٢) ﴿

فالله سبحانه وتعالى يحصى الذرات ، ومبدع الارض والسماوات ، قادر — ولا شك فى قدرته — أنه يحصى على كل انسان عمله فيجزيه به إن خيراً وخيراً وإن شراً فشر ، وقد قال تعالى وقوله الحق ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُونَ الْمِصْبَاتِ ﴾ وترى كل أمة جاثية كل أمة تُدعى الى كتابها اليوم تُجْزَوْنَ ما كنتم تعملون وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٣) ﴿

وقال تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره ﴾ (عمله) في عنقه ونُخرج له يوم
القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴿ اقرأ كتابك ﴾ كنى بنفسك اليوم عليك حسيباً (١) ﴿
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٢) ﴿
عن جابر رضى الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول يبعث كل عبد على ما مات عليه .
رواه مسلم .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظةٍ
فقال : يا أيها الناس إنكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلاً ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده
وعدةً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه
السلام ألا وإنه لسيحاج رجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب اصحابي
فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح (هو عيسى عليه
السلام) ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلهما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم
وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز
الحكيم ﴾ قال فيقال لى إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة
عراة غرلاً . قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم الى بعض . قال يا
عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض . رواهما البخارى ومسلم والترمذى .
عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ
يقول انكم محشورون رجالاً وركبانا وتجرون على وجوهكم . رواه الترمذى بسند صحيح
قال الله تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله
الواحد القهار ﴾

قال مسروق رضى الله عنه تلت عائشة هذه الآية ثم قالت يا رسول الله ابن
يكون الناس . قال على الصراط . رواه مسلم والترمذى
عن سهل رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض
بيضاء عفراء كقرص نقي ، قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لأحد .

ملحق

لزكاة المال

الذى تقدم

موقف الإسلام من الاشتراكية والشيوعية والرأسمالية

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين : وبعد بيننا أنا مكب على وضع تفسير موجز للقرآن الكريم خال من الإشكالات النحوية والصرفية والبلاغية مقتصر على هداية الله لعباده كي ييسر للشباب مطالعته وفهمه ، وإذا بأخي وصديقي المجاهد الكبير صاحب السعادة الحاج محمد صالح حرب باشا رئيس جمعيات الشبان المسلمين العالمية ورئيس حزب العمال يسألني رأيي في الاشتراكية في الإسلام . أو بعبارة أصح ما هي دعوة الإسلام في الإصلاح الاجتماعي التي تفوق دعوة الاشتراكية . فاعتذرت عن الكتابة في هذا الموضوع لما أنا مشغول به . فاجابني أن هذا من صميم عملي بل له المقام الأول ليعلم الناس أين الحق من الباطل . وأين الرشيد من الغي . فكتبت هذه الرسالة على عجل لا بين موقف الإسلام من الدعوة الاشتراكية والشيوعية والرأسمالية ، والإسلام كما نعلم دين التقدم والإصلاح لا يعادي الأسماء لمظاهرها . بل يقر الحق وينصره ولو كان في غير أهله ويحارب الباطل ويخذه ولو كان من أهله وعشيرته . وقد قال تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ فأمرنا باتباع كل ما هو معروف من خير وصلاح ما لم يبطل حقا أو يحق باطلا وما لم يتعد أمرا من أوامر الله أو شرعا من شريعته . وقد أمرنا رسولنا عليه السلام أن نأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت لا يعيننا صاحبها مسلما كان أو كافرا ، برا أو فاجرا ، صديقا أو عدوا . فالإسلام دين حق لا يأمر إلا بالحق ولا يدعو إلا

إلى الحق ولا يعمل إلا بالحق . ولذلك كان لزاما علينا أن نستعرض ما جاءت به الاشتراكية والشيوعية من آراء ونقارنها بما جاء به الاسلام فإكان حقا ومتفقاً مع الحقوق التي قررهما الاسلام ودعا اليها قبلناه واتبعناه ، وما كان منها باطلاً أقمنا الحجة على بطلانه ورددناه إلى أهله قائلين لهم لكم دينكم ولي دين ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على الله .﴾

ولسكى نسير في بحث موضوعنا على هـدى نستعرض أولاً تاريخ الاشتراكية والشيوعية من بدء نشأتها إلى ما صارت اليه اليوم . ثم نذكر أسس الدعوة الشيوعية . ثم نقارن بين ما جاءت به من نظم وبين ما دعا اليه الاسلام وأيهما أهدى سبيلاً . وسيكون بحثنا دائراً في حدود الواقع لا في النظريات والخيالات . وسيرى القارىء أن الإسلام عني عناية فائقة بمشاكل رأس المال وحقوق الفقراء أو من نسميهم بطبقة العمال . وأنه راعى الحق والعدل والرحمة .

وكانت هذه المسائل في أوائل سور القرآن نزولاً . فكأنما القرآن نزل لهذا الزمان ..

غض في جـدته . بض في رحمته . قتي في شدته وسطوته . واضح البيان قوى البرهان شديد السلطان . صالح لكل زمان ومكان . وأترك للقارىء الكريم الحكم والله الموافق لخير العباد . ومنه أستمد العون لما فيه السداد والرشاد

نبذة تاريخية عن نشأة الاشتراكية والشيوعية

وتطورها وبرناجها في الوقت الحاضر

نحن اليوم أمام مسألة اجتماعية كبرى تشغل الأذهان صغيرها وكبيرها ضعيفها وقويها فقيرها وغنيها ، وهى مسألة الصراع القائم بين الغنى والفقر وبين الجهل والعلم وبين المرض والصحة . وقد تبلورت هذه المسائل بين طائفتين هما أصحاب رموس الاموال . والعمال أو الإشتراكيون .

ليس العصر الحاضر مبدأ ظهور الإشتراكية فهى ترجع فى منشأها إلى أقدم الأزمان ، وغايتها القضاء على التفاوت فى المعاش وان كان هذا التفاوت سنة من سنن العالم القديم والحديث ، وإذا لم تغير قدرة إلهية طبيعة البشر ظل هذا التفاوت سائدا حتى يتقرض السكون ، فالنزاع القائم بين الغنى والفقر أبدي

اختبرت الأمم فى القرون القديمة أنواع الإشتراكية التى تعرض علينا فى هذه الأيام . ولبيان ذلك لا نحتاج إلى أن نمتقنر إلى مذهب الإباحية المنحطة الذى هو أول ما تطورت به جميع المجتمعات البشرية ، فقد حاول اليونان تطبيق تلك الأنواع وأفضى ذلك إلى انقراضهم ، ولو نظرنا إلى الرسالة التى وضعها أفلاطون وسمّاها الجمهورية لرأينا مبادئ الشيوعية مشروحة فيها . جاء فى كتاب وضعه الميسو (غيروا) وسمّاها التملك العقارى عند اليونان ولخص فيه ما هو مدون فى كتبهم ، إن جميع المذاهب الحاضرة من الإشتراكية المسيحية إلى الشيوعية الراقية مذكورة فيها ،

طبق اليونان هذه المذاهب مرات عديدة فكانت الثورات السياسية التى قاموا بها ثورات اجتماعية أيضا أى أنها كانت ترى إلى القضاء على التفاوت فى المعاش بسلب أموال الأغنياء واضطهاد الشرفاء ، وكثيرا ما نجحوا فى ذلك ولكن كان نجاحهم غير ثابت فكانت عاقبة أمرهم أن انقضوا وأضاعوا استقلالهم .

لم تتحد كلمة الإشتراكيين قط فى ذلك العصر كما أنها لم تتحد فى أيامنا ، وإذا اتحدت فعلى التخريب فقط ولذلك وضع الرومان حدا لشقاقهم المتأصل باستعبادهم البلاد اليونانية وبيعهم أبناءها كأرقاء .

ولم ينجح الرومان في الاشتراكية أيضا إذ طبقوا اشتراكية (غراكوس) الزراعية التي تحدد ما يستطيع كل روماني امتلاكه من الأرض ليوزع ما يفرض منها على الفقراء والتي تقضى على الحكومة باطعام المساكين وقد أوجب ذلك ظهور (ماريوس) و (سيل) ونشوب ثورات أهلية ثم إلغاء الحكم الجمهوري وإقامة الحكم الامبراطوري.

ولقد ظفرت المسيحية في الثلاثة القرون الأولى بتحقيق المذهب الاشتراكي ولم يكن أمر الاشتراكية المسيحية ليستقيم لو لم تعدل عن تعاليمها بعد أن تم لها النصر. فقد اضطرت إلى الاعتصام بأرباب الجاه والمال وإلى الدفاع عما أنكرته من نسب وملك. ومثلها في ذلك كمثّل الظافرين من زعماء الثورات، فلم تلبث أن أصبحت محافظة وأصبح لا فرق هنالك بين روما الكاثوليكية وبين روما الوثنية فعاد الفقراء راضين بما قسم الله لهم قانعين بالعمل مكبين على الطاعة يرجون دخول ملكوت السموات بطاعتهم لسادتهم ويخافون الجحيم والشيطان بتدميرهم منها.

وقد طبق رجال الثورة الفرنسية أيضا نظريات الاشتراكية وإذا وجد جماعة من أفاضل الكتاب يرون أن هذه الثورة ليست اشتراكية النزعة فذلك لأنه يعبر في الغالب بكلمة (اشتراكية) عن مبادئ مختلفة كل الاختلاف أو لعجزهم عن سبر غور المسائل، فالغاية التي يتوخاها الاشتراكيون في جميع الأجيال هي سلب ما بيد الأغنياء في سبيل الفقراء، وقد تم نيل ذلك على يد رجال الثورة الفرنسية ثم أعلنوا أن حق التملك مقدس ولا يمس. ولكنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن جردوا الأشراف والاكليروس عن أملاكهم وأحلوا تفاوت اجتماعيا جديدا محل التفاوت الأول.

ولاريب عندي أنه إذا هذا اشتراكيو الوقت الحاضر حسدو رجال الثورة الفرنسية بنزعهم أموال الطبقات المتوسطة فإن الملاك الجدد لا يلبثون أن يصيروا من أشد المحافظين ويصرحوا بأن حق التملك مقدس لا يمس في المستقبل، على أنه لا قيمة لمثل هذا التصريح إذا كان الخصم قويا وهو لغو إذا كان ضعيفا فلا شأن للحق والمبدأ فيما يقع بين طبقات الناس من المنازعات.

تسج عن كثرة الأموال في يد فئة قليلة من الناس والعيب بالمال وعن فساد الاخلاق المتكاثرة عند الطبقات الوسطى حجة بيّنة يحتج بها اشتراكيو هذا العهد (العصر) في مطاعنهم بعدم المساواة في توزيع الأرزاق، وما قد سهل عليهم الادعاء بأن

الأموال الوافرة التي في أيديهم أخذت في الغالب خلسة من ألوف البائسين - وربما كان التفاخر بالأموال الطائلة والكيفية التي تبذل فيها من أشد العوامل في انتشار مبادئ الاشتراكية ، قال المسيو فاغيه (لا يتوجع المرء إلا من سعادة غيره ، وهذا هو شقاء الفقير) فلاشتراكيون يعلمون أن المساواة في الرزق لا تتحقق ، ولكنهم يرجون أن تتم المساواة في الفقر على أيديهم

مذاهب الاشتراكية متعددة الأنواع مختلفة في الأشكال ، ولكن اشباع المذاهب الاشتراكية متحدون في احقادهم على المجتمع ورأس المال والأعمال ، ويقترحون للقضاء على هذه الأمور إيجاد وسائل واحدة فسلیم القلب منهم يرغب في نزع الأموال من أيدي أصحابها . وأما المغال فيضيف إلى ذلك إبادة المغلوبين (١)

ترجع التغييرات والمراحل الأساسية التي مر بها المجتمع البشري في أساسها إلى التغييرات التي تحدث في الأساس الاقتصادي ولهذا الأساس الاقتصادي جانبان : قوى الانتاج المادية (من أساليب فنية وأدوات انتاج) والعلاقات الاقتصادية كنظم الملكية والتبادل والتوزيع .

ينشأ من هذا الأساس الأول صرح من القوانين والتشريعات ، والنظم والحكومات ، والعلوم والفنون والمذاهب الفلسفية والدينية

تتخذ التغييرات في المجتمع شكل نضال بين الطبقات . والطبقات هي الصورة التي تمثل العلاقات المتضاربة لطوائف أو جماعات في المجتمع بالنسبة إلى قوى الانتاج

بتطبيق هذا الأسلوب في البحث ترى أن التاريخ يدل على أن تطور المجتمع الأنساني سار من نظام المشايعة البدائية أو الجماعية إلى نظام الطبقات ممثلاً في انقسام المجتمع إلى سادة وعبيد في العصور القديمة وسادة اقطاعيين وأقنان في العصر الاقطاعي ورأسماليين وعمال اجراء في العصر الحديث

ولنتكلم على أبرز النواحي الاشتراكية في هذا العصر - وهي :

الاشتراكية العلمية - التي تستمد منها الشيوعية برنامجها

(١) روح الاشتراكية تأليف الدكتور غستاف لوبون تعريب الاستاذ زعير

الاشتراكية العلمية

من أكبر دعاة الاشتراكية العلمية كارل ماركس (ولد سنة ١٨١٨ ومات سنة ١٨٨٣) وهو الماني الأصل وقد اشتغل بالصحافة بعد أن أتم دراسته العالية وقد نفى إلى إنجلترا من جراء آرائه السياسية وعاش في إنجلترا زمنا طويلا شاهد في خلاله عن كثب الانقلاب الصناعي الاجتماعي الذي نشأ عن اختراع آلات النسيج البخارية وما يقاسية العمال من ألم الفقر وتعرضهم لكثير من الأمراض الفتاكه وعدم عناية أصحاب المصانع بهم .

رأى كارل ماركس أن سبب شقاء العمال هو مطامع أصحاب رؤوس الأموال وجشعهم في الحصول على الثروة واستغلالهم للضعفاء في سبيل ذلك وأنه لا سبيل إلى اصلاح حالة العمال إلا بالقضاء على سبب الشقاء وهو رأس المال أي (محاربة الملكية الفردية) من صناعية وزراعية وتجارية وأن تكون المساواة بين الناس جميعا قانونا عاما وأن يكون العمل اجباريا على كل فرد قادر يدير هذه الملكية العامة حكومة من العمال والزراع وبذلك ينصلح حال الطبقة الفقيرة .

اجتمع في لندن سنة ١٨٤٧ كارل ماركس مع زميله انجل ونفر من العمال الانجليز ووضعوا (البرنامج) الذي يسير عليه جماعة العمال للمقاومة :

والذي تستمد منه البلشفية أو الشيوعية جميع مبادئها الأصلية التي تركز عليها الآن ، وزعيم البلشفيك لينين لم يكن في الحقيقة الا تلميذا لكارل ماركس أكبر رأس مفكر ويد عاملة في وضع برنامج سنة ١٨٤٧ .

يرى كارل ماركس أن التطور الاقتصادي من جهة وافتشار الديمقراطية من جهة أخرى كفيلا أن بتحقيق آمال الاشتراكية المتطرفة ، لأن التطور الاقتصادي يسير في طريق أن الملكية الصغيرة لا يمكنها البقاء ازاء الملكيات الكبيرة لما لهذه من وسائل الرقي والنجاح ولحرمان تلك من هذه الوسائل ولذلك فمحتم - إذا بقي هذا النظام - أن يستحوذ أصحاب الأملاك الكبيرة على الأملاك الصغيرة وهكذا يسير شأن كل ملكية كبيرة مع ما هي أصغر منها إلى أن تصبح الملكية العامة في يد نفر قليل ويمكن في هذه الحالة نزع الملكية من يد هذا النفر بواسطة البرلمان الذي سيكون جله من العمال

والفقراء بواسطة انتشار مبادئ الديمقراطية وحرية الانتخاب وحينئذ يمكن البرلمان أن يتخذ الاجراءات الآتية :

(أ) الاجراءات القانونية :

- (١) نزع الملكية العقارية من أصحابها وجعلها ملكا للأمة
- (٢) فرض الضرائب المداوجة (وهى التى تترقى مداوجة فى ازدياد الدخل) .
- (٣) تحريم الميراث

(ب) الاجراءات الاقتصادية :

- (١) نزع ملكية المصارف (البنوك) من أصحابها وتوحيدها فى مصرف أهلى عام
تديره الحكومة
- (٢) نزع ملكية دور الصناعات والتجارة ووسائل النقل والمواصلات من أصحابها
تديرها الحكومة
- (٣) ان يكون العمل اجباريا على القادرين جميعا ، وتنظيم جيش من الصناع

(ج) الاجراءات التهذيبية :

- (١) تعميم التعليم بجميع درجاته (من ابتدائى وثانوى وعال) مجانا
 - (٢) تحريم شغل الأطفال لحين بلوغهم سن الرشد
 - (٣) إدخال الشغل البدوى فى المدارس
- هذا موجز من برنامج الاشتراكية العلمية ، ونحن نلخص ما يتطلبه الاشتراكيون الذين يدينون بمبادئ الشيوعية فيما يلى :

(١) محاربة رأس المال

- (٢) هدم كل نظام يحمى رأس المال من دين ونظم تشريعية واقتصادية
- (٣) تحرير العمال ونشر مبدأ المساواة والحرية بينهم

موقف الاسلام من العلم ورأس المال

الشيوعية تهدف لرفع مستوى العمال من الناحيتين المادية والأدبية - فهي تريد الاستحواذ على رؤوس المال حتى تمنع طغيانه . وتريد نشر العلم بين الطبقات العاملة حتى تكون على بينة من أمرها ولا ترضخ للظالم ، فالمال والعلم هما سلاحها ، وهما أدواتها لنيل غايتها وتحقيق غرضها .

رأس المال وهو في نظر الشيوعية سبب السبلاء وأْس المصائب في استغلال الضعفاء هو الذي يجب أن يقضى على أربابه وعدم العودة اليهم - والاسلام لا يعادى رأس المال لذاته وإنما يعادى طغيانه ، ولا يعادى الملكية الفردية وإنما يعادى تجاوز أصحابها للحدود . والاسلام في أوائل من ينادى بحق الفقير ونصرة الضعيف ومعاقبة الظالم ونشر العلم بين الناس ليعرف كل حدوده ويلتزم واجباته . ويدعش الإنسان أن أوائل سور القرآن نزلت مفادية بهذه المبادئ السامية العامة ، وهالك الدليل : ان الآيات الأولى التي نزلت على نبي الاسلام تحمد عليه السلام قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ لما جاء جبريل إلى النبي عليه السلام وقال له اقرأ قال لست بقارىء فقال : (اقرأ باسم ربك) أى استعن باسم ربك واتخذ عونا في تحصيل هذا الذى عسر عليك (الذى خلق) أى الذى خلق كل شيء . ثم بعد التعميم أخذ يخص الإنسان بالذكر لشرفه وللدلالة على وجوب العبادة شكرا على نعمة الخالق فقال (خلق الإنسان من علق) جمع علقه : أى دم عبيط (اقرأ وربك الأكرم) وكيف لا يكون أكرم وهو قد علم عباده ما لم يعلموه ونقلهم من ظلمة الجهالة إلى نور العلم فقال (الذى علم) الكتابة (بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) فهذا هو وجه كونه أكرم في حق العبد ، فهو إذ خلقه كريم وإذ علمه فهو أكرم لأنه أعطاه فضلا على فضل . ونورا على نور ، فهذه زيادة في الكرم ، ولعمرك لولا القلم ما حفظت العلوم

وفي الآيات الكريمة دليل على أن العلم أشرف الصفات الانسانية ، كأنه تعالى يقول : الإيجاد والأحياء والإقذار والرزق كرم وربوبية ، أما الأكرم فهو الذى أعطاك العلم لأن العلم هو النهاية فى الشرف .

والمراد بالقلم أى علم الانسان الكتابة بالقلم وهذا تنبيه على فضيلة الكتابة وانها وسيلة العلم وحصره ونشره ودعوة إلى الاهتمام بأمرها لأنها رسول التعارف بين الأفراد . والاسلام هو الذى رفع طابع الأمية عن العرب وغيرهم ممن يدنون به لطلب العلم رفعا لا هوادة فيه .

وقد بدأ النبي ﷺ برفع هذا الطابع بعمل لم يسجل مثله لمصلح فى الأرض . وذلك أنه جعل فداء الأسير الذى كان يعرف القراءة فى ورقة بدر وهى أولى الوقائع الاسلامية أن يعلمها نفرا من المسلمين ففعل

وكان من أثر ذلك أن نهض المسلمون باحثين متقبين عن العلم واستخدامه لرفقيهم فترجموا الكتب النافعة لمن سبقهم من العلماء واكتشفوا واخترعوا ، وكان لهم الأثر المحمود فى النهضة العلمية ، وذلك كله بفضل تعاليم الاسلام ودعوة القرآن الصريحة الواضحة فى طلب العلم فى جميع آفاق الحياة الصالحة لخير بنى الإنسان .

والعلم هو احدى الدعامات الكبرى للإصلاح ، فهو ينير الطريق ويفرق بين الحق والباطل ، ويميز الخبيث من الطيب

وإذا كانت الاشتراكية أو الشيوعية جعلت من برنامجها التعليم مجانيا فى مراحلها الثلاث - ابتدائى وثانوى وعال - حتى لا تجعل من الجهل وسيلة لضعفهم واستغلالهم واضطهادهم فقد سبقها الاسلام بزمان بعيد وجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وجعل طلبه لافى المراحل الثلاث وحسب ولكن دعا إلى طلب العلم طيلة الحياة ، كما جاء فى الأثر اطلب العلم من المهد إلى اللحد ، وما وقف الاسلام عند هذا فقد دعا الإنسان إلى الأسفار واحتمال المشاق فى طلب العلم فقال : أطلب العلم ولو بالطين ولو وازنا بين برنامج الشيوعية من الناحية العلمية وبين دعوة الاسلام إلى العلم لما لحقت له غبارا وأن دعوة الاسلام إلى العلم واستجابة المسلمين له ونشره فى أوروبا يوم كانت فى ظلام فأنازلها الطريق كانت دعامة قوية فى أسباب تحريرها كما قال

العلامة « سديو » في كتابه « تاريخ العرب » : « كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون والصنائع وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوربا فكانوا سببا لنهضتها وارتقائها ». وخطب الأستاذ فارس بك الخوري الوزير الأسبق ورئيس مجلس النواب السوري وأستاذ كلية الحقوق ورئيس الوفد السوري لدى مجلس الأمن وهيئة الأمم سابقا وكان مما قاله في خطبته « إن الدين الذي جاء به محمد أوفى الأديان وأكملها ، وأن محمدا أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنتصفون إلا الاعتراف بفضل الشريعة التي دعا الناس إليها باسم الله وانها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم العلمية . . . »

« إن محمدا الذي تحتفلون به وتكرمون ذكره أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم ، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وألشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها » (١)

قرر الاسلام أن طريق الوصول إلى الحق والسيادة في الدنيا واستثبات الحياة فيها على خير وجه والفوز بالحياة الآخرة والسعادة فيها هو العلم فقال عليه الصلاة والسلام اذا أردت الدنيا فعليك بالعلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أردتهما معا فعليك بالعلم . وقال أيضا يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء « فضل العلم خير من فضل العبادة » .

فهل جاءت المبادئ الشيوعية في الناحية العلمية بخير من هذا أو ما قارب هذا في دعوتها وغايتها ، فإذا كانت الشيوعية تدعى أنها تريد تحرير العامل والطبقة الفقيرة فقد سبقها الاسلام في هذا المضمار ، وها هي مبادئ الاسلام ناطقة صادقة وآثاره باقية خالدة .

وقد أنصف العلامة المسيو « كازانوف » أحد كبار علماء فرنسا وأستاذة كولييج دي فرانس بياريس حيث يقول « يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون

(١) مجلة (الفتح) عدد ٧٧٣ المؤرخ ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦١ — ٢٦ مارس سنة ١٩٤٢

تمثل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك وينسون أن نبي الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة . فأى رئيس ديني كبير وأى قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول الفصل المتين . هذا القول نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة »

« نعم ان هذا مبدأنا اليوم ولكن أليس العهد بقریب يوم كانت الكافة عندنا من أهل العقول تنظر إلى مثل هذا الشعار كأنه رمز العار وبجلمة الشنار ، كما أنه سوف يقال أن أوضح مبادئ الحرية الفكرية قد كشفت أمثال (لوثير) و (كالفين) وعاد الفضل فيها إلى رجل عربي من رجال القرن السابع ذلك هو صاحب شريعة الاسلام » وقد ألف الدكتور هورتن وهو من علماء الألمان عدة كتب دافع فيها عن الاسلام ومنها كتاب (استمداد الاسلام لقبول الثقافة الروحية) جاء فيه « تجد بالاسلام اتحاد الدين والعلم وهو الدين الوحيد الذى يوحد بين هذين ونجد كيف أن الدين موضوع بدائرة العلم وترى وجهة الفيلسوف ووجهة الفقيه متماشتين معا وهما واحدة وواقفتان كتفا لكتف دون نزاع ، (١)

فإذا كانت النظرية الشيوعية قد أظهرت في برنامجهما عداهما للدين حسب تاريخ القرون الوسطى وما ارتكبه رجال الكنيسة من اضطهاد العلم ورجالها وما فعلته محاكم التفتيش من مظالم وعسف نحو العمال والفقراء فهو لا ينطبق على ما جاء به الاسلام الذى قاوم الاضطهاد ودعا إلى تحرير العقل والعلم واطلاق الحرية من عقالها وكان من أكبر الأسباب في تحرير أوروبا ولذلك كان تعميم الحكم وأخذ اللاحق بالسابق خطأ محضاً وظلماً صارخاً يبرأ منه كل حاكم عادل وكل عاقل منصف يزن الأمور ويضعها في نصابها ، والواجب أن يعطى كل ذى حق حقه ويعترف بالفضل لادله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

موقف الاسلام من رأس المال

من أكبر مبادئ الاسلام وأقواها وأشدّها محاربة طغيان رأس المال والدفاع

(١) مكانة العلم في القرآن للدكتور يحيى الدرديري ص ٣٤

عن حق العامل والفقير . ويدهش الانسان حينما يرى أن أولى آيات القرآن الكريم نزولا على نبي الاسلام العظيم كانت لمحاربة طغيان أصحاب رأس المال واندازهم بالعقاب العاجل والأجل إن لم ينتهوا عن غيهم ويلتزموا حدودهم وأن يؤدوا ما عليهم من واجباتهم المالية للهبة الاجتماعية . فقال في أول سورة نزلت وهي سورة العلق ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ ۚ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَىٰ ۚ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۚ أَىٰ مَتَىٰ أَحْسَرَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَفْسِهِ قُدْرَةً وَثَرَةً يَعِدُ نَفْسَهُ بِهَا فَوْقَ مَنْ دُونِهِ مِنَ النَّاسِ فَلَا يَرَىٰ أَنَّهُ مِنْهُمْ أَضْعَافُ جَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ يَحْتَاجُ كُلٌّ إِلَى الْآخِرِ فِي اسْتِدَامَةِ الْأَمْنِ وَاسْتِكْمَالِ السَّعَادَةِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الرَّذِيلَةُ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ ۝ فِي سُوْرَةِ اللَّيْلِ ۖ ۝ أَمَّا الْغِنَى وَالْقُوَّةُ فِي أَيْدِي الْإِنْتِقِيَاءِ فَهِيَ أَعْظَمُ وَسَائِلِ الْخَيْرِ وَأَفْضَلُ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . وَلَكِنَّ الْإِنْتِقِيَاءَ يَرْشُدُهُمْ فِي تَصْرِيفِ ثَرَوَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ الْعِلْمَ وَالذِّينَ الصَّحِيحِينَ . وَالْأَغْلَبُ مِنَ عَامَةِ النَّاسِ يَصْرِفُهُمُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ ، لِهَذَا أَطْلَقَ الْإِنْسَانُ بِاعْتِبَارِ الْأَغْلَبِ مِنْ أَفْرَادِهِ وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَغْنُونَ بِالْمَعْنَى السَّابِقِ . وَلَمَّا كَانَ الْمَغْرُورُ يَظُنُّ أَنَّهُ لِسُوءِ عَمَلِهِ أَنَّهُ يَصْنَعُ مَا هُوَ مِنْ حَقِّهِ ضَاعِفٌ لَهُ التَّأَكُّدُ فَقَالَ أَنَّهُ لِيُطْفِئَ (أَى أَنَّهُ بِاسْتِغْنَائِهِ يُخْرِجُ عَنْ حُدُودِهِ قَطْعًا) ثُمَّ أَنَّهُ وَاهِمٌ فِي طُغْيَانِهِ كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ أَنَّهُ مَلِكٌ نَاصِيَةُ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ لِأَنَّهُ مَا فِي يَدِهِ عَارِيَةٌ وَلَيْسَتْ نَفْسُهُ بِبَاقِيَةٍ وَلَا لَهَا مِنْ اللَّهِ وَاقِيَةٌ فَقَالَ « إِنْ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى » أَى أَنَّ الْمَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ فَهُوَ مَا لَكَ مَا لَكَ وَمَا لَكَ مَا تَمْلِكُهُ وَهُوَ الَّذِي يَنْتَزِعُ رُوحَكَ فَيُخْرِجُ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى حَيَاةٍ يَنْكَشِفُ عَنْكَ فِيهَا غِطَاءُ الْغُرُورِ وَتُظْهِرُ فِي مَظْهَرِ ذَلِكَ وَتَحَاسِبُ عَلَى مَا أُنْبِتَهُ أَيَّامُ عَزْكَ ، وَهَذَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ مَا لَا يُخْفَى .

وجاء في السورة الثانية نزولا من القرآن الكريم ما يوضح لنا في صورة جليلة واضحة عناية الاسلام بحق الفقير والدفاع عن حقوقه وإن شئت فاقرا قوله تعالى :

﴿ رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۚ وَإِنَّكَ لَأَجْرٌ غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۚ فَسَتُبْصَرُ وَيُبْصَرُونَ ، يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فَلَا تَطِيعَ الْمَكْذُوبِينَ وَذُوا الْوَتَدِ هُنَّ
فَيْدُهُنَّ هُنَّ ، وَلَا تَطِيعَ كُلَّ خِلَافٍ مَبِينٍ ، هَمَّازٌ مُشَامٌ بِتَمِيمٍ ،
مَنْعًا لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنْتُمْ ، عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ . أَنْ كَانَ ذَا
مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، سَنَسِفُهُ
عَلَى الْخُرُطُومِ ، إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا قُسِمُوا الْيَصْطِرُ مِنْهَا
مُصْصِحِينَ ، وَلَا يَسْتَشْنُونَ ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادُوا مُصْصِحِينَ ، أَنْ اغْدُوا عَلَى
حَرِّ نَارِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخِفَتُونَ ، أَنْ لَا
يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ، وَغَدُوا عَلَى حَرٍِّ قَادِرِينَ ، فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَعْمَالُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ
أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْبَحُونَ ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ،
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلََاوُونَ ، قَالُوا يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ، عَمَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبَّنَا رَاغِبُونَ ،
كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

هذه قصة من الماضي يندرننا بها الله سبحانه وتعالى عن طغيان الشج وعاقبة
الانغنياء المستكبرين الذي يريدون أكل حقوق الفقير - وملخص القصة أن رجلاً كان
له بستان وله ذرية فكان إذا أن أوان جنى الثمار أعطى الفقراء والمساكين حقوقهم -
وقيل يقسم الثمار إلى ثلاثة أقسام قسم له ولأهله والثاني ينفقه لصالح البستان والثالث
يوزع على الفقراء والمساكين . فلما مات الرجل طمعت أولاده في الثمر وتآمروا على
أن يمتنعوا الفقراء حقوقهم التي كانت تعطى لهم في عهد أبيهم فاجمعوا فيما بينهم على أن
يحنوا الثمار في الصباح الباكر في غفلة الناس حتى لا يدخل عليهم مسكين وقد نصحهم
أوسطهم وذكرهم بسوء العاقبة ولكن أبوا إلا أن ينفذوا ما صمموا عليه .

فلما علم الله سبحانه منهم سوء القصد أرسل على بستانهم نارا دمرتها تدميرا .
ولما ذهبوا اليه ولم يروا شيئاً لا من شجرة ولا من ثمرة ظنوا أنهم ضلوا الطريق . إذ

تبدل الحال غير الحال ، ولكنهم فطنوا إلى سوء عملهم وذكرهم أوسطهم رأيا أو سئلا وقال لهم « ألم أقل لكم لولا تسبحون » أى ألم أقل لكم حين عزمتم على حرمان الفقراء هلا تسبحون الله أى تذكرونه وتتوبون إليه وتعطون الفقير حقه « قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين » لأنفسنا بإيثار الشح على الانفاق ، « وأقبل بعضهم على بعض يتلأومون » أى يلوم بعضهم بعضا « قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين » اعترفوا بذنوبهم وقالوا يا هلا كنا إنا كنا متجاوزين حدود الله وأمره فاصبنا بذنوبنا هذا الحرمان - وهذه هى سنة الله فى هذه الحياة الدنيا أن يبطش الله بكل غنى مستكبر أو بكل متجاوز لحدوده سواء كان فردا أو جماعة . والقرآن فيه الكثير من أمثال هذا القصص الحكيم وإن شئت فاقرأ قصة قارون وقد أعطى من الأموال التى أودعت فى خزانته ما أن مضاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . ولما بخل بحق العامل والفقير من هذا المال الكثير وأجاب حينما دعى للبذل والانفاق قال فى غرور المستكبرين إنما أوتيته على علم عندى فاليس للفقير حق ولا لله على طاعة . نحسف الله به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فى طغيانه وبغيه بل لقي جزاء عمله من لدن عزيز حكيم - فالقرآن لا يحارب رأس المال لذاته أو لجمعه ، وإنما يحارب طغيان رأس المال وكثره وقد يذهب جزاء هذا الطغيان برأس المال وصاحبه كما حدث فى قصة قارون أو يذهب برأس المال فقط كما حدث فى قصة أصحاب البستان - كما أن القرآن لا يحارب الملكية لذاتها وإنما يحارب تجاوزها لحدودها ، أو أسباب وجودها إن كانت غير عادلة وأنت من طرق استغلال محرمة حتى . تستقيم الأمور ويصبح الضعيف والفقير والعامل كل آمن على حقوقه . ويرفرف على الأمة علم العدل والسلام .

الاسلام ورأس المال المحرم

أو الملكية المنقولة المحرمة

يحرص الاسلام كل الحرص على أن يعطى كل ذى حق حقه وأن لا يحرم العامل أجره وإن لا يستغل القوى الضعيف بأى شكل من الأشكال . ومن هذه الطرق فى نمو رأس المال المحرم الربا ، فقد « أحل الله البيع وحرم الربا » فكل ما فيه معاوضة

صحيحة خالية من أكل أموال الناس بالباطل الذي لا يقابله عوض فهي بيع حلال وإنما تحرم الزيادة التي يأخذها صاحب المال لأجل التأخير في الأجل وهي لا معاوضة فيها ولا مقابل لها فهي ظلم ، فإذا استغل أصحاب رؤوس الأموال ضعف المعوزين والمضطرين ونمت رؤوس أموالهم على حساب هؤلاء العجزة استغلالا لا ضرارهم وانهازا لأخذ ما بأيديهم عن طريق الربا فهذا هو ما حرمه الله تحريما قطعيا لا هوادة فيه . واشفع هذا التحريم بعقوبة صارمة لم يعلنها على معصية أخرى . وهي الحرب على المرائين فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَأَمْوَالُكُمْ رُؤُوسُكُمْ لَا تَنْظِلُونَ وَلَا تَنْظِلُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

ينادى الله عباده المؤمنين أى الذين صبغهم بالإيمان وذكرهم بالتقوى ثم انتقل إلى الأمر بترك ما بقي من الربا لمن كانوا يرايون منهم عند غرماهم ثم وصل ذلك بقوله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أى إن كان إيمانكم تاما شاملا لجميع ما جاء به محمد ﷺ من الأحكام فذروا بقايا الربا « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، أى فإن لم تتركوا ما بقي لكم من الربا كما أمرتم فاعلموا واستيقنوا بأنكم على حرب من الله ورسوله إذ نبذتم ما جاءكم به رسول الله عنه فقولوا فأذنوا كقولوا فاعلموا وزنا ومعنى - من الايدان بمعنى الاعلام أى فاعلموا أنفسهم - أى ليعلم بعضهم بعضا أو المسلمين بأنكم محاربون لله ورسوله بالخروج عن الشريعة وعدم الخضوع للحكم وهذا يستلزم أن يكونوا عالمين بذلك كأنه يقول ان عدم الخضوع للامر خروج عن الشريعة فهو اعلام للمسلمين بأنكم خارجون عن حكم الله ورسوله محاربون لها ففسر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده حرب الله لهم بيبغضه وانتقامه قال : ونحن ان لم نر أثر هذا في الماضين فإننا نراه في الحاضرين ، نحن أصبحوا بعد الغنى يتكففون ومن باتوا والمسألة الاجتماعية (مناصبة العمال لأرباب الأموال) تهددهم بالويل والثبور . وأما الحرب من رسول الله لهم فهي مقاومتهم بالفعل في زمنه واعتبارهم أعداء له في هذا الزمن الذي لا يخلفه فيه أحد يقيم شرعه

والرأى عندى أن هذه الآيات من معجزات القرآن الواضحة فى هذا العصر وفى كل العصور السابقة واللاحقة ، لأن استرقاق طائفة من الشعب وهم المرابون لطائفة أخرى لأكل أموالهم بالباطل واستغلالهم لمصالحهم الذاتية أو الشخصية أحدث ما يسمونه البورجوازية والعمالية أو الاشتراكية كما قدمنا ، ونتج عنه الاستغلال البغض والتعاضد . ثم إن أصحاب رموس الأموال تنافسوا فيما بينهم واخذوا يبحثون عن موارد لاستغلال أموالهم فى الشرق الضعيف ، واستغلوا أهله وخلفاء فيهم المرضى والجهل والفقر ، وكان من نتيجة هذا التنافس نمو رموس الأموال الاستعمار البغيض : إذ استحكم العداوة بين الدول الغربية المتنافسة حتى انتهت إلى الحرب الأولى والثانية وسيتبعها الثالثة ، وكانت أموالهم سديا فى هلاكهم إذ تحوات إلى أدوات حرية من ديناميت وطائرات ودبابات وغواصات وأدوات تدمير وأهلكت رموس الأموال وأصحابها وهدمت هذه المدنية الظالمة التى أقامتها على البغى والعدوان

وصدق الله تعالى فيما قال (يمحى الله الربا) وصدق الله (فإن لم يفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) وها هو وعد الله تحقّق فهل من مدكر وهل من متعظ فالقرآن الكريم لا يحبانى الأفراد ولا الجماعات فكل من خالف سنته فرداً كان أو جماعة لا بد أن يلحقه جزاء عمله من غير استثناء أو مراعاة قلة أو كثرة ، غنى أو فقر ، قوة أو ضعف ، وإذا سار الشرق وراء الغرب فى غيه وضلاله فلا بد أن يلحق ما لقيه لإمامه وقودته ، فليحذر وليتنبه ، فعين الله ساهرة لا تقام ولا تغفل ، ولو أن هذه الأموال التى انفقّت فى الحرب بذلت فى سبيل إسعاد الأمم وتنمية الثروة وإصلاح المجتمع لتحققت سعادة الدنيا ولكن حب المال يعمى ويصم .

فالاسلام لم يعاد رأس المال لذاته وإنما يعادى مظالمه ويحارب كل ظلم ويعلنه صريحا واضحا كما تقدم فى آيات الربا لأن مهمة الاسلام إسعاد الأفراد والجماعات ومنع العدوان من أى طائفة كانت ، فإذا عادى الاسلام نمو رأس المال عن طريق الربا وأكل أموال الضعفاء بالباطل ، فهو لم يعاد انفاقه فى سبيل الله ، أى فى سبيل المصاحبة العامة ، بل دعا إليه وحض عليه

كنز الأموال

ولما كانت الأمة متكافلة يجب أن يرعى قويا ضعيفها وعالما جاهلها وغنيها فقيرها ، دعا الاسلام أهله إلى الانفاق في سبيل المصلحة العامة فيما يرقى شأنها ويصلح حالها ويحمي دمارها ، ويرفع مكانتها ، وحض عليه وأكثر عليه الأجر والثواب ترغيبا في البذل كما هدد وأنذر بسوء العاقبة والخذلان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة لمن كنز ماله وبخل به في سبيل الله أى في سبيل رقى الأمة واصلاحها وتقديمها والذود عنها . فقال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

والمراد بالكنز هنا خزن الدنانير والدرهم في الصناديق أو دفنها في التراب وامساكها وما يلزمه من الامتناع عن انفاقها فيما شرعه الله من البر والخير . والمراد بالذهب الدنانير وبالفضة الدراهم المضروبة . فان الدرهم والدنانير هي المعدة للانفاق والوسيلة للنفعة والارتفاق ولا فائدة فيها إلا في انفاقها فكنزها إبطال لمنافعها فهو من يخف العقل - وعصيان الشرع - وظاهر قوله ﴿ وَلَا يَنْفِقُونَهَا ﴾ أن الواجب إنفاقها كلها وأن الوعيد موجه الى من يبقى عنده شيئا يزيد على حاجته منها وهذا لا يصح في قواعد الشرع الاسلامي فان الله وصف المؤمنين في كتابه بقوله : ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ وقال ﴿ أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ . وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ وإنما قال بعض العلماء أنه يجب التصديق بجميع ما أحرزه الانسان من المال الحرام إذا تعذر رده إلى أصحابه دون انفاق جميع ما يملك من الحل ، ولو كانت الآية فيمن ذكر من أهل الكتاب كما قال معاوية لكان الأمر ظاهرا ، وأما على القولين الآخرين فلا بد من الجمع بينهما وبين الآيات المعارضة لها ، وفي الروايات المأثورة ما يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم فهموا من الآية وجوب انفاق جميع ما يملك الانسان من نقد الذهب والفضة وأن جمهورهم رجعوا عن هذا وبقي عليه أبو ذر رضي الله عنه

موقف أبي ذر من كنز المال

أبو ذر برىء من الشطط والغلو

الذى نسب إليه

أخرج ابن أبي شيبة في مسنده وأبو داود وأبو يعلى وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾ كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يبقى بعده لولده مالا ، فقال عمر : أنا أفرج عنكم . فانطلق واتبعه ثوبان فأتى النبي ﷺ فقال يا نبي الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض الموارث من أموال تبقى بعدكم . فيكبر عمر رضى الله عنه

والحكم وهو وجوب انفاق كل ما يملك المؤمن من النقدين كان في أول الاسلام وقبل فرض الزكاة وليس معناه أن آية براءة هذه نزلت قبل إيجاب الزكاة لما عليه الجمهور من أن الزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة وبراءة نزلت سنة تسع وهي السنة التي عين فيها العمال لجمع الزكاة .

وأخرج مالك والشافعي وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عمر أيضا قال : ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً .

وقول ابن عمر : لا أبالي لو كان لي مثل أحد ذهباً - كأنه يشير إلى قول أبي ذر الآتي آخر الباب . والجمع بين كلام ابن عمر وحديث أبي ذر أن يحمل حديث أبي ذر على مال تحت يد الشخص لغيره فلا يجب أن يحبس عنه أو يكون له لملكه ممن يرجى فضله وتطلب عائدته كالامام الأعظم فلا يجب أن يدخر عن المحتاجين من رعيته شيئاً - ويحمل حديث ابن عمر على مال يملكه قد أدى زكاته فهو يجب أن يكون عنده ليصل به قرابته ويستغنى عن مسألة الناس ، وكان أبو ذر يحمل الحديث على إطلاقه فلا يرى ادخار شيء أصلاً

(قال) قال ابن عبد البر وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضّل عن القوت وسداد العيش فهو كذا يذم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك ، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة .

وأما أبو ذر فأخبار مذهبه مشهورة ، منها ما رواه البخارى وغيره من حديث زيد بن وهب قال مررت بالربذة (وهى بالفتح مكان بين مكة والمدينة) فإذا أنا بأبي ذر رضى الله عنه فقلت ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاًوية في (والذين يكمنون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب ، فقلت نزلت فينا وفيهم ، فكان بيني وبينه في ذلك وكتب إلى عثمان رضى الله عنه يشكونى فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة ، فقدمتها فكثرت على الناس حتى كأنهم لم يرونى قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تخرجت فكننت قريباً ، فذاك الذى أنزلنى هذا المنزل ، ولو أمروا على حبشياً لسمعت وأطعت . ١٥

ذكر الحافظ فى شرح هذا الحديث من (الفتح) أن زيد بن وهب إنما سأل أبا ذر عن نزوله فى ذلك المكان لأن مبعضى عثمان كانوا يشتمون عليه بأنه نفى أبا ذر وقد بين أبو ذر أن نزوله فيه كان باختياره . قال : نعم أمره عثمان بالتمسح عن المدينة لدفع المفسدة التى خافها على غيره من مذهبه المذكور فاختار الربذة ، وقد كان يغدو إليها فى زمن النبى ﷺ كما رواه أصحاب السنن من وجه آخر . قال : وفى طبقات ابن سعد من وجه آخر أن ناساً من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة إن هذا الرجل فعل بك وفعل فهل أنت ناصب لنا راية - يعنى فنقاتله - فقال لا ، لو أن عثمان سبى من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت .

إن فى قصة أبي ذر رضى الله عنه عبرة بما كان من دسائس الشيعة فى الخروج على عثمان رضى الله عنه وفيه حجة على أن حرية العلم والرأى واحترام العلماء كانتا على عهد الصحابة رضى الله عنهم فى أعلى درجات الكمال ، وقال الحافظ فى فوائد حديث أبي ذر من الفتح : وفيه ملاطفة الأئمة للعلماء فإن معاوية لم يحسر على الإنكار عليه

حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره ، وعثمان لم يحق على أبي ذر مع كونه كان مخالفاً له في تأويله . وفيه التحذير من الشقاق والخروج على الأئمة ، والترغيب في الطاعة لأولى الأمر - وأمر الأفاضل بطاعة المفضول خشية المفسدة - وجواز الاختلاف في الاجتهاد ، والأخذ بالشدة في الأمر بالمعروف وإن أدى ذلك إلى فراق الوطن - وتقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة لأن بقاء أبي ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بث علمه في طالب العلم ، ومع ذلك رجح عند عثمان دفع ما يتوهم من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشديد في هذه المسألة ، ولم يأمره بالرجوع عنه لأن كلا منهما كان مجتهداً

قد منّا شرح المفسرين - والآية تدل دلالة صريحة على الحث على الانفاق والتحذير من الإمساك ، وإذا كان الانفاق في الزمن الماضي ليس له إلا وجه واحد وهو إعطاء الفقير والمحتاج ومعنى هذا أن يفتقر الإنسان ويتكفف ، وهذا ما لا يرضاه الاسلام لمعتقية ولهذا قام من قام مناصباً لأبي ذر من هذه الناحية ، وأبو ذر لم يكن فيما اعتقده من انفاق الفضل شيوعياً ولا شبه شيوعياً ، لأن أساس الشيوعية هي هدم الملكية وتحريرها وعدم الاعتراف بها ومناوأة أصحابها ونزعها منهم ، وأبو ذر لم يقل بذلك ، الشيوعية حرمت الميراث وأبو ذر لم يتعرض لذلك ولا خطر على باله ولا قال به فمن أين جاءوا لأبي ذر بهذه التهمة ؟ وأبو ذر طالب باتباع الآية الكريمة وهي إحدى الأسس الاجتماعية التي قام عليها الاسلام ، وحينما عمل بها المسلمون عزوا وسادوا وحينما تركوها ذلوا وهانوا . كان سبيل الله في الزمن الماضي البر بالفقراء ، والانفاق على الجهاد ودفع الأذى عن المسلمين ، واليوم سبيل الله زاد واتسع فبدلاً من إمساك الأغنياء الأموال ، الأولى بهم استثمارها في مشاريع منتجة تفتح للفقراء والمساكين أبواباً للكسب وربحاً للأغنياء في غير اسراف ولا شح ، في الأعمال الصناعية والمشاريع التجارية والاقتصادية وهي كثيرة النواحي متعددة الأهداف . وليس حق الفقير في أخذ الصدقة فحسب إنما يجب أن يعنى بشأنه من ناحية التعليم والتهذيب وإعانتة على كسب عيشه يجب أن يعيش موفور الكرامة حتى تحيى الأمة به عزيزة الجانب . والآية باقية وآية الزكاة لا تبطلها ولا تنسخها . وإنما فرضت آية الزكاة للحد الأدنى ولمن كانوا قابلي الموردد وقد وردت آيات كثيرة حاثّة على الصدقة كما وردت آيات كثيرة حاثّة على الانفاق في سبيل الله ، فقال تعالى ﴿ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا

تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴿ وسبيل الله هو طريق الخير والبر والدفاع عن الحق أى أن الامساك عن الانفاق فى الاستعداد للقتال يضعفكم ويمكن الأعداء من نواصيكم فتهلكون وقد فسر الجلال سبيل الله بطاعة الجهاد وغيره . والتهلكة بالامساك عن النفقة وترك الجهاد وقال لأنه يقوى العدو عليكم ، فالعنى إذا لم تبدلوا فى سبيل الله وتأيد دينه كل ما تستطيعون من مال واستعداد فقد أهلكتم أنفسكم . وفى أسباب النزول عن أبى أيوب الأنصارى قال : نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرأ إن أموالنا قد ضاعت وأن الله قد أعز الاسلام فلو أقمنا فى أموالنا فاصلحنها ما ضاع منها ، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا ﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾

فهل لو كان مسلمو اليوم على عهدهم الأول ونموا أموالهم واستثمروها فى خير الوجوه وأنفقوها فى سبيل الله كما أمرهم كان حل بهم ما يعانونه من الآلام والهوان والاستعباد ! ألم يحقق الله لهم وعيده حين بخلوا عن الانفاق وأعرضوا عن الجهاد فقال لهم ﴿ مَا أَتَمُّ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِنَفْسِكُمْ وَأَنْتُمْ تَبْخُلُونَ ﴾ سبيل الله فيفسدكم من يبخل ومن يبخل فإثمًا يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تسولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿ وها هو وعيد الله قد تحقق ببخل الأغنياء ونكوص الشباب عن الجهاد والمضى بالارواح فى سبيل الحق والدفاع عنه واستعمرهم فى بلادهم بمن لا يرحمهم ولا يقيم لهم وزنا يباعون ويشترون كالأرقاء ولا إرادة لهم مع بائعيهم ولا مع مشتربيهم - آيات من كتاب الله الكريم يجب أن ينظر اليها فى مجموعها والأهداف التى ترمى اليها وهى عزة الاسلام وأهله ونصرة الفضيلة والدفاع عن الحق لا يحاى غنى لغناه ولا حاكم لسطوته ولا غنى يهضم حتى فقير لفقره وقد كان رسول الله ﷺ ينفق كل ماله كما روى التاريخ لنا عنه أنه تذكر فى ليلة أنه كان عنده ديناران فقام لوقته وتصدق بهما وقال مامعناه لا أحب أن أبيت وعمدى دينار وهناك محتاج . وقد قال عمر بن الخطاب قبل موته : لو استقبلت من حياتى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ورددتها على فقرائهم ، فإنفاق الفضل واجب بذله فى سبيل الله ، وإنما يجب أن ينظم تنظيماً علمياً اقتصادياً يرمى إلى محاربة الفقر والجمل والمرض ويحمى الأغنياء والموسرين من الحقد السكين والغل الدفين ، وانتهاز الفرص

وتربص الدوائر لهم . وقد أخذ بالفضل كثير من دول الغرب حتى بلغ ما تأخذه الحكومة الانكليزية من رعاياها خمسة وتسعين في المائة من دخل الفرد في سبيل الذود عن بلادهم ومصلحة قومهم . ألم يكن المسلمون أولى من هؤلاء بدافع من دينهم وحمتهم . ولو كان أبو ذر حيا لكان رجل الساعة ، فرحم الله أبا ذر رحمة واسعة فقد كان من كبار الوطنيين وأعزة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد خير المرسلين وباعث الهداية للناس أجمعين والذي قال يعيش أبو ذر وحده ويموت وحده ويحيى وحده . نعم لأنه عرف أن يحارب هواه ويعيش ويموت في سبيل الله



موقف الاسلام

من الشيوعية والاشتراكية

سبق الاسلام الشيوعية ودعا إلى التعليم قبل أن تدعو ، وحث على نصره الضعيف قبل أن تحث ، وأمر بالشورى والحياة النيابية في كثير من آيات ، وحقق ذلك عمليا وهو يقر حق الملكية والتك عقاراً أو منقولاً . ويحارب طغيان الملكية إذا جارت وأصحابها إذا ظلموا ، ويهدد ويثدر بالعقاب العاجل والآجل اذا ساروا في غيرهم وقد قدمنا الأدلة والشواهد على صحة ما دعا اليه الاسلام - وحقق وعده ووعدته -

وقد بدأت الشيوعية تنزح عن مكانها . وأحلت الملكية التعاونية في برنامجها والاستغلال إلى حين عن طريق الجماعات التعاونية لا عن طريق الافراد . والاسلام يدعو إلى التعاون قولا وعملا في كثير من آياته وأقرها ذبوعا وأكثرها شيوعا قوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ وترك للانسان الحرية التامة في وضع النظام التعاوني الذي تتخيره الجماعة على شرط أن لا يحق باطلا ولا يحل حراما ولا يؤذى أحدا

وإذا كان الاشتراكيون يبتغون من اشتراكيتهم تعاون الجماعات في سبيل الخير العام والاعتراف لكل ذي حق بحقه وأن يجتمعوا لنصرة المظلوم وحماية الضعيف ،

وتحقيق الإصلاح الاجتماعي المنشود فهذه هي مبادئ الاسلام لأن هذه دعوته . وقد فرض العمل على كل من ادعى الايمان ، ولا تجد آية تدعو إلى الايمان الا ومعها العمل الصالح . والعمل الصالح هو ما يصلح الانسان به نفسه وأمة قال تعالى : ﴿ خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة ﴾ وقد عنى القرآن بالصناعة والصناع وجعل لها نبيا وهو سيدنا داود عليه السلام وكان صانعا ونبيا ومجاهدا وملكا وخليفة ، وكان يأكل من صنّعه أو من عمل يده وقد شاد به الاسلام وجعله من مثله العليا التى دعا إليها .

وقد شاد القرآن الكريم بفضل الصناعة وجعلها من مميزات الخلافة فى الأرض إعمارها وحمايتها

وكان داود عليه السلام مثالا عاليا للشجاعة والعبادة والزهد والتضحية والجهد والصبر واحتمال الأذى والمشاق فى سبيل الحق ونصرته فقال تعالى ﴿ واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾ وقال ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾

وقد أمر الصانع والعامل أن يتقن صناعته لأن ذلك من أسباب رواجها وانتشارها كما تكون من دواعى الاقبال عليها وحسن سمعة القائم لها ، روى ابن خيثمة والبغوى وابن قانع وغيرهم عن عاصم بن كليب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال (يحب الله العامل إذا عمل عملا أن يتقن) وروى أيضا (ان الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه)

وفى هذا المعنى كتب السيد جمال الدين الأفغانى عن الاشتراكية فى الاسلام ما يأتى :

الاشتراكية الغربية ما أحدثها وأوجدها إلا حاسة الانتقام من وجود الحكام والأحكام ، وعوامل الحسد فى العمال من أرباب الثراء الذين استعملوا ثروتهم فى السفه والسرف وبذلوها فى التبذير والترف على مرأى من منتجها والعمال فى استخراجها من بطون الأرض .

أما الاشتراكية في الاسلام فهي ملتزمة مع الدين الاسلامي ملتصقة في خلق أهله .. وهذا خير كافل لجعلها نافعة مفيدة يمكن الأخذ بها ، لأن الكتاب الديني - وهو القرآن الكريم - أشار إليها بأدلة كثيرة منها : إن المسلم أول ما يقرأ من فاتحة الكتاب ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فيعلم أن للخلق ربا واحدا ، وهو مع سائر الخلق من المربوبين على السواء ، ويرى ويعلم أن القرآن أتى على ذكر أرباب القوة ورجال الحرب والغزاة ومن يتولى إمرتهم وحياتهم ، فحافظهم أمرا ومعلما ومدافعا ومبيننا حقوق المستضعفين من الأمة الذين لم يتمكنوا من الاشتراك مع من ذكر ، ليكون لهم من ذلك الجهاد وتلك المساعي نصيب ، إذ قال ﴿ واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ﴾ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴿ فهذه آية باهرة أوجبت على من يسعى مجاهدا ومخاطرا بحياته أن يكون مشتركا معه في نتيجة غزواته وغنائمه من لم يكن مشتركا فعلا . . . وهم لا شك من المستضعفين الذين إنما قعدوا عن الاشتراك في الجهاد والسعي وراء الغنائم لعلل تختلف أشكالها وأنواعها ، ولكن الله لم يحز حرمانهم بل جعل لهم نصيبا من مساعي أولئك الأشداء الأقوياء المجاهدين الخاضعين غمرات الموت

كل ذلك نراه مبينا حكمة الاشتراك ، وكان حكم هذه الآية جاريا والرضا به شاملا لمجموع المسلمين من مجاهد أو قاعد عن الجهاد لعله ، فبدأ بالدرجة الأولى بعد أن ذكر الله ورسوله بذوى القربى من المجاهدين على درجاتهم ، ثم عطف على من دونهم في المرتبة الثانية بمن ليس لهم في المجاهدين أقرباء فقال ﴿ واليتامى ﴾ ثم وسع نطاق الاشتراكية فقال ﴿ والمساكين ﴾ ثم رأى أن يأخذ نطاقا أوسع فقال ﴿ وابن السبيل ﴾ أى عابره . فتم بذلك الشكل نوع من الاشتراكية لم يكن أوسع منه شكلا ولا أنفع . . .

ثم جاء بموضع آخر من الكتاب مقرعا لمن يكتزون الذهب والفضة ، ثم حذو وأثنى على الذين يؤثرون على أنفسهم بالعطاء والاسعاف والاطعام ولو كان بهم خصاصة

« وهكذا ترى قانون الاشتراكية المعقول في آيات القرآن ترى ، فلننظر هل عمل بهذا القانون ، وما كانت نتائج العمل به ؟ »

« نعم ، إن الإخاء الذي عقده المصطفى ﷺ بين المهاجرين والأنصار هو أشرف عمل تجلى به قبول الاشتراكية قولاً وعملاً . فالمهاجر من المسلمين إنما استطاع أن يفر بدينه راضياً بهجر بلده وترك مسقط رأسه ومفارقاً أهله وذويه والخروج من ماله ومقتناه مسروراً أن يصل إلى دار الهجرة سالماً - والأنصارى وهو في بلده مع أهله وذويه وماله قبل راضياً مسروراً أن يشارك أخاه المهاجر بكل معنى الاشتراك حتى لو تطلع الإنسان من اليوم وأشرف على تلك الأرواح الطاهرة لرأى من مجال الاشتراك روحاً وجسداً ما يذهر له عقله ، وأصبح اعتقاده أن عمل الدين وتأثيره في تلطيف الكثافة الاجتماعية لا يضارعه مؤثر أو عامل آخر على البشرية ، ولرجعوا لو كانوا يعقلون . . »

« وبعد النبي صلوات الله عليه كان صاحب أكبر منصب - وهو الخليفة لرسول الله - يسير بسيرة نبيه عليه السلام من الاكتفاء بالقليل من العيش والكفاف منه ومجالسة الفقراء ومشاركتهم بكل معنى الاشتراك في مظاهر الحياة الدنيا ونعيمها . فأهل الاسلام مع تمخض سلطان الحرية فيهم لم يروا في سيرتي الصديق والفاروق رضوان الله عليهما ما يدعوهم إلى أقل تدمير أو تمليل أو تفكير بمناهضة لمسلطانهما أو تأليب على أشكال حكمهما وإمرتهما أو أحداث شغب يعرقل مساعيهم في الفتوحات ، بل كانوا يبدلون النفس والنفيس في طاعة الخلفاء ، تأييداً لشوكة الاسلام ، وتعميماً لعدل الشريعة السمجة . . »

العدالة الاجتماعية

في الاسلام

لقد حقق الاسلام العدالة الاجتماعية بين أفراده مدة الرسول عليه السلام وفي عهد أبي بكر وعمر وقد حققها كذلك عمر بن عبد العزيز حتى أنه لم يوجد في عهده من يستحق أن يأخذ الزكاة في شمال افريقية

فالأخاء والمساواة والحرية التي دعا اليها الاسلام قد استجاب لها المسلمون في أول أمرهم ، فنهض بهم الى المستوى العالى الرفيع وسادوا الدنيا في مدة ربع قرن من الزمان . والتاريخ ملىء بالشواهد والحجج على ما نقول

ان أول حكومة اسلامية تثور وتحارب من اجل حق الفقير

(العامل والصانع)

ويذكر التاريخ بالفخر والاعجاب ان أول حكومة اسلامية (وهى خلافة ابي بكر) هى التى اعلنت الحرب على الاغنياء حين رفض بعضهم الزكاة وهى حق الفقراء والمساكين ولم يسمع لنصيحة احد وقال كلمته المشهورة للأمة : والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لحاربهم عليه

فاما المساواة التى دعا اليها الاسلام فنذكر على سبيل المثال لا الحصر : ما حصل فى عهد عمر بن الخطاب أن جبلة بن الايهم - وهو من سادة العرب وملوكهم - كان يطوف بالكعبة فداس على ازاره اعرابي فلطمه ، فشكاه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأحضر جبلة وقال له إما أن ترضى الأعرابي واما أن يقتص منك قال أضر بني وهو سوقة وأنا ملك ؟ فقال : ان الاسلام سوى بينكما . وأبى الأعرابي الا أن يقتص منه فطالب جبلة أن ينظره إلى الغد ، فانظره ، فجمع أهله وجنده وهرب إلى القسطنطينية . ولم تكن هذه المساواة للمسلمين خاصة وإنما كانت عامة فيما بين المسلمين وغيرهم من الأديان الأخرى ما داموا معهم فى سلم وأمان . ولا يغيب عن البال قصة ابن القبطى حين سبق ابن عمرو بن العاص أمير مصر فضرب ابنه ابن القبطى وقال :

أتسبق ابن الاكرمين ؟ فرفع والده الامر إلى عمر بن الخطاب وأحضر الجميع وأمر ابن القبطى أن يضرب ابن امير مصر على ملامن القوم وان يقتصر منه ، فلما فعل قال له عمر : ضع هذه الدرة على رأس أمير مصر . فقال عمرو : والله يا أمير المؤمنين ما علمت بهذا الحادث . فقال عمر بن الخطاب كلمته المشهورة : متى يا عمرو استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . . .

وقد كان عمر بن الخطاب يحاسب ولاته على الأمصار فاذا زاد رأس مالهم عما كان عليه قبل الولاية ناصفهم فيه اذا عدلوا وأخذ الزيادة كلها اذا جاروا ، ومن ذلك أنه بلغه ان أبا سفيان حضر من الشام وكان معه خرج من الدنانير ، فلما سأله من أين لك هذا ؟ قال له من عند ولدى معاوية - وكان واليا على الشام فتاجر وهذا من ربحه ، فقال له عمر : انى أرسلت ابنك واليا لخدمة المسلمين لا تاجرا ، وهذا المال الذى ربحه هو من حق بيت مال المسلمين . وأخذ منه المال . وقد رأى يوما بيتا زاهيا جميلا لسعد بن أبي وقاص وكان واليا على البصرة فأمر الدلال أن ينزل هذا البيت فى الدلالة لبيعه . وسأل سعدا من أين لك هذا ؟ قال جعلت لى راتبا فكنت أقصد نصفه ، فلما توفر لى المال اشتريت هذا البيت . فقال له عمر أما وقد أعلمتني بأنه يكفيك نصف المرتب فهو لك من الآن والنصف الآخر من حق بيت مال المسلمين . ويباع هذا البيت ويشتري لك بيت كبيوت أواسط المسلمين وما زاد عن الثمن يرد إلى بيت مال المسلمين

هؤلاء القوم عرفوا الاسلام ومبادئه السامية وحققوها قولاً وعملاً ، فهل تحدثنا الاشتراكية بأمثال هؤلاء الزعماء الذين تعطر التاريخ بذكرهم ، وهل جاءتنا الشيوعية باسمى من هذه المبادئ . واين زعمائها الذين حققوا وعملوا بمبادئها ونزلوا بأنفسهم إلى مستوى الشعب فأكلوا مما يأكل ولبسوا بما يلبس ؟ نلتفت يمينا ويسارا فنجد أن هؤلاء الذين يدعون الشيوعية يسكنون القصور ويلتحفون الدثور ويعيشون عيشة المترفين . جاء رسول أحد الملوك إلى المدينة يسأل عن عمر بن الخطاب ليسله رسالة من ملكه فسأل أحد الأهالى قال أين ملككم ؟ فجاابه : ليس لنا ملك وانما لنا أمير ، فقال : أين هو ؟ قال خارج المدينة . فذهب اليه فوجده نائما على الأرض واضعا

خده على الأرض . فعجب في نفسه وقال : هذا الذى تهابه ملوك الأرض ، لقد عدلت يا عمر ، فأمنت ، فتمت . .

انظروا أيها القوم نظرة فاحصة . واسمعوا بأذن واعية . على رأس أمم أوربا كثير من الزعماء الاشتراكيين . وعلى رأس روسيا زعماء الشيوعيين وهم متفقون جميعا على استعباد الشرق وتقسيمه فيما بينهم لاستغلاله واستعباد أهله . أخذوا ازراقنا باسم الديمقراطية ، وسفكوا دماءنا باسم الحرية ، ويريدون لنا دوام الاستعباد خوفا من الشيوعية ، وها هي فلسطين أمامنا يذبح أبناؤها ، وتهتك اعراض نسائها ، وتطرد من ديارها ، وأوروبا الفاسجة وأمريكا الباغية ، وروسيا العقيمة الزاهدة ! يضعون خناجرهم في قلب أهل فلسطين ، ولا فرق بين هذه الأسماء التى يستترون وراءها من ديمقراطية كاذبة وشيوعية فاسدة ، ان هي الا أسماء سميتوها ما أنزل الله بها من سلطان .

فلسطين هي اليوم محك القوم . وموقف أهل هذه الدعايات الطنانة الرنانة ، ومهما يعلن فأنهم كلهم مراعون منافقون كاذبون ، وانهم سائرون جميعا الى الزوال والفناء ، شأن الأمم الباغية والحكومات الطاغية

رب سائل يقول : اذا كان الاسلام كما تقول ، فلماذا المسلمون في تأخر ؟ الجواب سهل ، لأن المسلمين أعرضوا عن دينهم وعبدوا شهواتهم وبخلوا بمالهم وأنفسهم عن البذل في سبيل سعادة أوطانهم ، حتى عليهم قول ربهم : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ، فتكم من يبخل ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

فالمسلمون تولوا وأعرضوا فنقد الله وعييده فيهم . ورماهم بالاستعمار البغيض الذى يسومهم الخسف والهوان ، جزاء سوء أعمالهم وبخلهم وجبنهم

فاذا أراد المسلمون استرداد عزمهم المفقود ، ورد استقلالهم الممنشود ، فعليهم أن يتوبوا عما هم فيه من الشح والبخل والجبن ، ويتمسكوا بقرآنهم ، ويتبعوا سنة نبيهم ، فيصبحوا سادة في بلادهم أعزة في أوطانهم

يقول مستر ولز أكبر مؤرخى هذا العصر :

كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال .. لأن الدين الذي لا يسير مع المدنية جنباً لجنب هو شر مستطير على أصحابه يجرهم الى الهلاك . وان الديانة الحقبة التي وجدتها تسير مع المدنية أتى سارت هي الديانة الاسلامية ، وإذا أراد الانسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ القرآن ، فان كثير من أنظمتة تستعمل في وقتنا هذا . وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة . وإذا طلب منى أحد القراء أن احدد له الاسلام فاني أحدده بالعبارة التالية :

الاسلام هو المدنية

قال مسترولز :

« وهل في استطاعة انسان أن يأتيني بدور من الأدوار كان فيه الدين الاسلامي مغايراً للدينة والتقدم ؟ إن محمداً هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن أن يكسح دولتين من أعظم دول العالم ، وأن يقلب التاريخ رأساً على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحترقة سكناً لها ، واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والاختذ بالثأر واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها ، فمن ذا الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع محمد أن يقرر بها خصومه هي من عند الله »

ويقول مسيو هنري دى شامبون مدير مجلة (ريفوبارلمنتير) الفرنسية :

« لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجى على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولا كابدت المذابح الاهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي . ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش . ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون . نحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة . مع أننا نزع اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل ، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية ، وانه لكاذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى ،

وقال شيخ ملاحدة الشرق العالم الشهير الدكتور شبلي شميل بلا محاباه :
« إن القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة ، وجاء لتربية الروح
والجسد ، بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب ، فقصر وظيفة البشرية على
الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني »

ليس لنا بعد هذا الا أن نقول لمن يريد السعادة في الدنيا والفوز بجميع حقوقه :
أن الطريق المعبد الواضح البين هو القرآن ، وبالعامل بالقرآن وبما جاء به رسوله
الكريم النصر المحقق والفوز بما نطلب من عز وسيادة وسؤدد ، وفي الاسلام وصف
الداء والدواء وفيه الشفاء ، قول وجهك نحوه ، واعمل بما أمرك به يحقق لك ما
تريد ، ويهدك الله الطريق السديد

تم بحمد الله وعونه

فهرس

الركان الاسلام الخمسة

وأثرها في حياة الأفراد والجماعات

وموقف الاسلام من الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية

صفحة

٣ مقدمة الكتاب :

رسالة الشبان المسلمين .
للواء محمد صالح حرب باشا

٦ مقدمة المؤلف :

أصول التشريع الاسلامي ص ٦
الاخلاص في العبودية لله وحده ص ٨

١٦ الايمان وأثره :

الايان الكامل وشعبه - الصبر - اليقين - العدل - الجهاد ١٦
شعب الايمان ١٧ - الايمان والاسلام ١٨ - الايمان بالقدر خيره وشره ١٩
٢٨ لا إله الا الله - كلمة التوحيد وأثرها :

الآيات والأحاديث المتشابهة ٣٠ - كلام الله ونزوله ومعنيته ٣٢ -
العبودية الخالصة لا تكون إلا لله ٣٥ - تعدد ضروب الشرك بين العباد
لا غفالهم ذكر لا إله الا الله والوقوف بعند حدها ٣٦

٣٩ النظافة أو الطهارة :

الوضوء وفائده - الغسل من الجنابة - الملاعن الثلاثة - الاسلام والنظافة - الاسلام والصحة - شهادة أحد علماء الغرب :

الطهارة شرط لازم لصحة الصلاة وهي عماد الاسلام وقوامه ٤٠ - لا صلاة لمن ولا وضوء له ٤١ - كيفية الوضوء ٤٢ - فوائد الوضوء من الناحية الصحية ٤٣ - الغسل وأسبابه ٤٣ - شهادة أحد علماء الغرب ٤٥ - الماء المطهر - موجز عن الطهارة وأسبابها ٤٧ - أحكام النجاسات ٤٧ - تطهير النجاسات ٤٨ - قضاء الحاجة ٤٨ - الوضوء ٤٨ - نواقض الوضوء ٤٨ - الغسل ٤٨ - التيمم ٤٩ - الحيض ٤٩ - النفاس ٤٩

٥٠ الصلاة وأثرها في حياة الافراد (١) :

صححة الصلاة ٥٢ - هديه صلى الله عليه وسلم في الوضوء والمسح على الخفين والجوربين (الشراب) والتيمم ٥٣ - فرائض وشروط صححة الصلاة ٥٤ - أركان الصلاة ٥٥ - مواعيد الصلاة، واحكام أخرى ٥٧ - صلاة النوافل ٥٨ - مبطلات الصلاة ونواقضها ٥٨ - فضائل الصلاة من الناحية الصحية والرياضية والجسمانية ٥٩ - الصلاة من الناحية الروحية ٦٢ - اسرار الصلاة وفوائدها ٦٢ - شهادة ضابط فرنسي نبيل في اثر الصلاة على النفس ٦٣ - كيف كان يصلي النبي ﷺ ٦٦

٧٠ الصلاة وأثرها في حياة الجماعة (٢) :

التربية العملية لتحقيق مبدأ الاخاء والمساواة بين الافراد والطبقات - البر بالضعفاء - عمل الخير - والبر بين الناس .

٧٩ الصلاة وأثرها في حياة الجماعة (٣) المحافظة على الصلوات :

الصلاة والمال ٨٥ - اعتراف أجنبي بفضل الاسلام وأثر الصلاة في نفسه ٨٨ - موجز عن الصلاة وتوابعها - ما يجب على المصلي ٩٠ - كيفية الصلاة ٩١ - بطلان الصلاة ٩١ - صلاة التطوع - صلاة الجماعة - سجود السهو ٩٢ - القضاء للفوائت - صلاة الجمعة - صلاة العيدين ٩٣ - صلاة الخوف -

صلاة السفر - صلاة الكسوفين - صلاة الاستسقاء ٩٤

٩٥ الزكاة وأثرها :

الزكاة وفوائدها - اعتراف الاجانب بفضائلها لحل المشكلات الطائفية
والعمالية - مراعاة الاسلام لوقت الزكاة ونصابها - تحريم الحيسل في ابطال
فرائض الشريعة - الصدقات - ما يخص عن الزكاة : - زكاة الحيوان ١١٢ - زكاة
الذهب والفضة ١١٣ - زكاة النبات ١١٣ - مصارف الزكاة ١١٣

١١٥ الصوم وأثره من نواحيه الطبية والفقهية والاجتماعية :

الصوم والعافية ١١٨ - الصوم والخلق ١٢٠ - بعض الاحاديث التي وردت
عن النبي ﷺ في الصيام - ادب الصوم - اوقات الصوم - احكام في الصيام
حكم من اكل أو شرب ناسيا - حكم من ذرعه القيء - الصيام في السفر - حكم
الشيخوخة في الصيام - الوطء او الجنابة ١٢٨ - صوم النافلة - النهي عن صيام
العيدين

١٣١ الحج وأثره ، من نواحيه التعبدية والاجتماعية والعملية :

أثر الحج ١٢٣ - شهادة أحد الاجانب ١٣٧ - بعض الاحاديث التي وردت
عن الحج واحكامه - فريضة الحج مرة واحدة - حج البذل في الشيخوخة
والوفاة - حج العبد والاجر - حج الاسير - اشهر الحج - لباس الحج في الاحرام
ما يحرم من الصيد ١٣٩ - كيف حج رسول الله ﷺ ١٤٣ - كيف تحج ١٤٣
مناسك الحج على المذاهب الاربعة ١٥٥

١٥٧ القدر

١٦٧ الموت :

زيارة المريض ١٧٥ - ما يقول من ايس من حياته ١٧٥ - استحباب
وصية اهل المريض ومن يخدمه بالاحسان اليه ١٧٦ - ما يقال عند الميت
وما يقوله من مات له ميت ١٧٦ - خروج الروح ١٧٧ - تلقين المحتضر ولا
اله الا الله ، ١٧٩ - ما يقال بعد تغميض الميت ١٧٩ - جواز البكاء على
الميت بغير ندب ولا نياحة ١٨٠ - الكف عما يرى من الميت من مكروه ١٨١

استحباب تكثير المصلين على الجنائز ، وجعل صفوفهم ثلاثا ١٨١ - ما يقرأ
في صلاة الجنائز ١٨٢ - الاسراع بالجنائز ١٨٣ - تعجيل قضاء الدين عن
الميت والمبادرة الى تجهيزه ١٨٣ - الموعظة عند القبر ١٨٤ - الصدقة على الميت
والدعاء له ١٨٤ - ثناء الناس على الميت ١٨٤ - فضل من مات له أولاد
صغار ١٨٥ - البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم ١٨٥ -
ملخص عما يجب نحو المريض والميت ١٨٦

١٨٧ البحث :

كلمة اللورد افبرى في قدرة الصانع عز وجل وعظمة صنعه ١٨٧ - قول
الدكتور فزدك ان الانسان هو النفس والعقل وهما الباقيان اذا مات الجسد
١٨٨ - الدلائل القرآنية على البعث ١٩١ - حديث عذاب القبر وقتنة الدجال
١٩٣ - البعث للارواح والاجسام معاً ١٩٤ - النفس البشرية كالآداة
الفتوغرافية الحساسة - يبعث كل انسان على ما مات عليه ١٩٦

١٩٧ موقف الاسلام من الاشتراكية والشيوعية والرأسمالية :

مقدمة ١٩٧ - نبذة تاريخية عن نشأة الاشتراكية والشيوعية وتطورها
وبرناجها في الوقت الحاضر ١٩٩ - الاشتراكية العلمية ٢٠٢ - موقف الاسلام
من العلم ٢٠٤ - موقف الاسلام من رأس المال ٢٠٧ - موقف القرآن من
طغيان الشح وعاقبة المستكبرين ٢٠٩ - الاسلام ورأس المال المحرم ٢١٠ -
كنز الأموال ٢١٣ - موقف أبي ذر من كنز الأموال : أبو ذر يرى من
الشطط والغلو الذي نسب اليه ٢١٤ - موقف الاسلام من الشيوعية
والاشتراكية ٢١٨ - العدالة الاجتماعية في الاسلام : أول حكومة اسلامية
تشور وتحارب من أجل حق الفقير ٢٢٢ - يقول ولز : الاسلام هو المدنية

للمؤلف

الشمس

(خلاف أجرة البريد)

ص

٢٥

١ - مكانة العلم في القرآن

١٥

٢ - التعاون

٣ - كيف نعلم القرآن لابناء المسلمين (٣ أجزاء) :

٣

(الدرس الاول) : في العقائد والعبادات

٣

(الدرس الثاني) : حقوق الله وحقوق الوالدين

٣

(الدرس الثالث) : مكانة المرأة في القرآن

٣

٤ - حياة محمد ﷺ

٣

٥ - الحج

٣

٦ - الصوم

٧ - أركان الاسلام الخمسة ، وأثرها في حياة الافراد والجماعات ،

٢٥

وموقف الاسلام من الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية

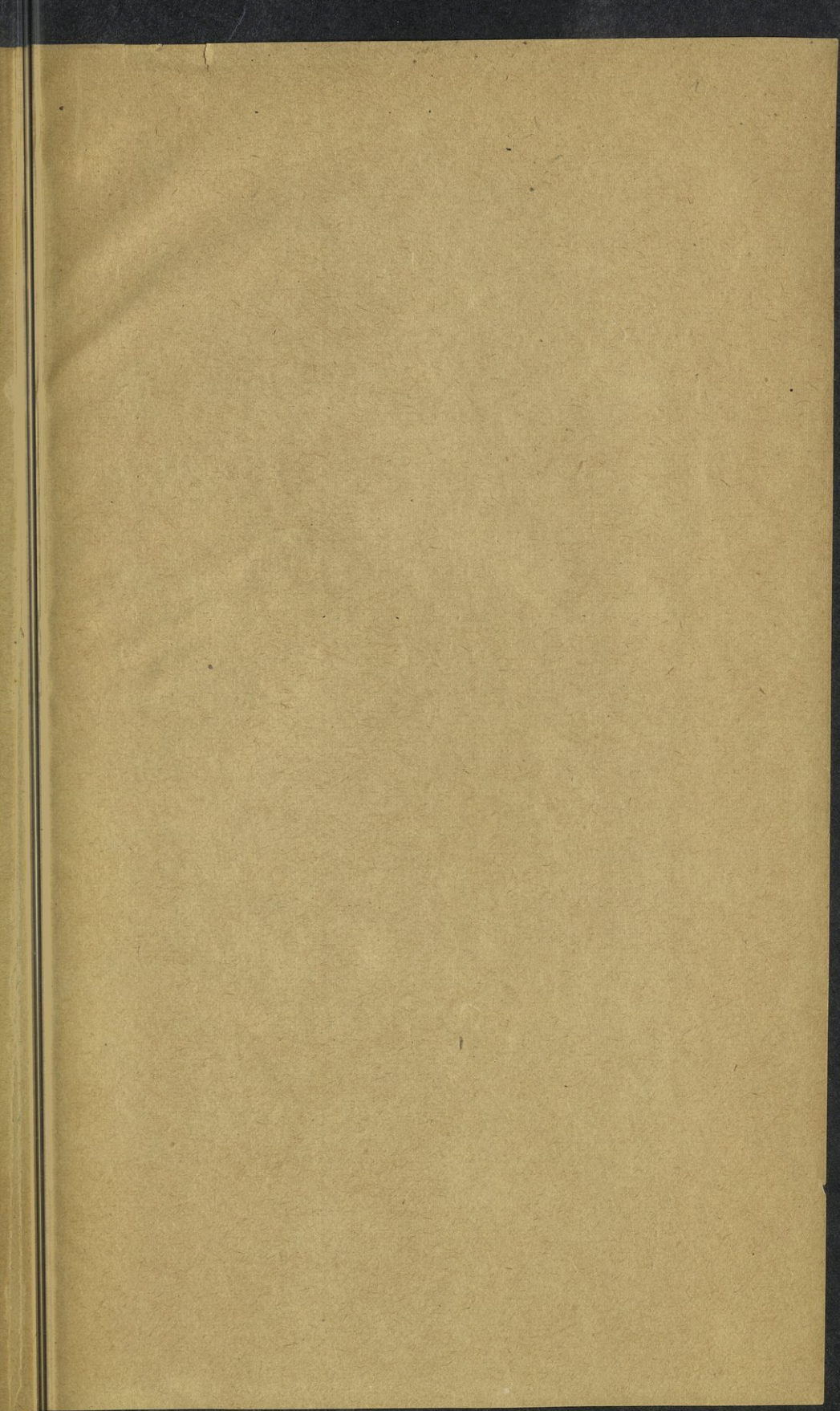
٨ - هداية القرآن لبنى الانسان : وهو (موجز لتفسير القرآن)

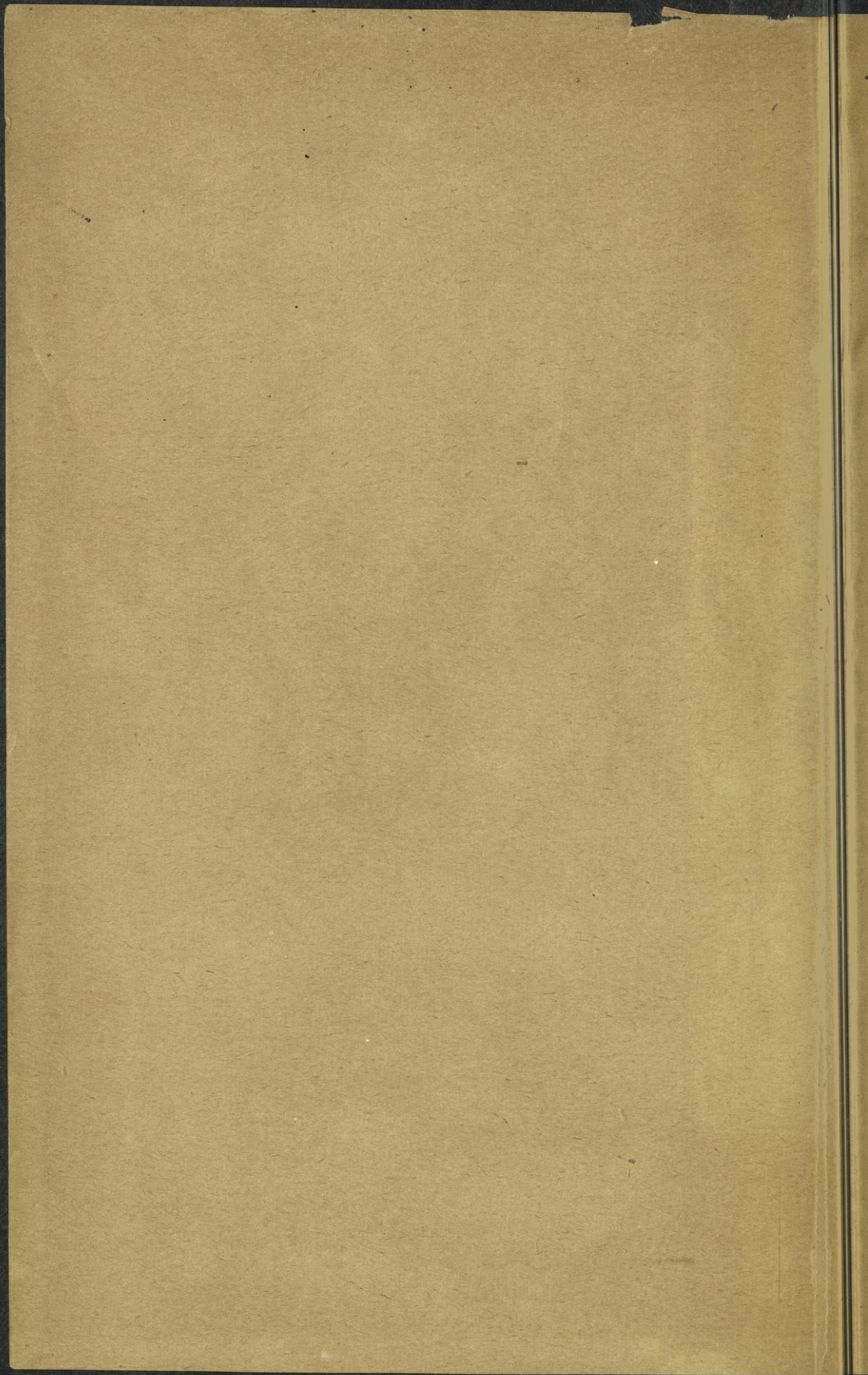
يصدر ملازم متتابعة ثمن كل ملزمة قرش ونصف ، وسيطبع

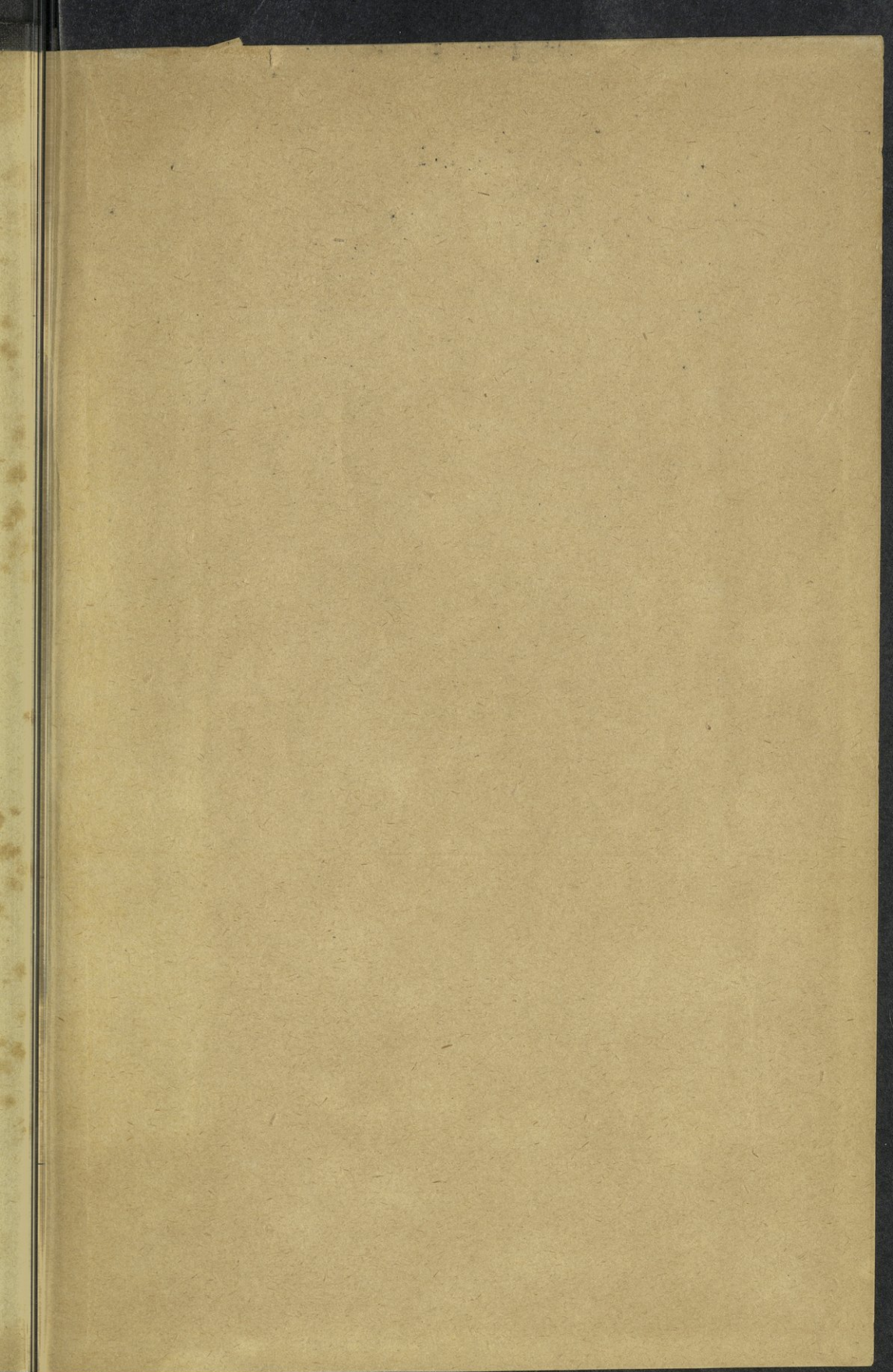
قريباً طبعة كاملة

٩ - وتحت الطبع أيضاً كتاب (أين المسلمون - أو دعوة الاسلام

الى أدب النفس وتربيتها) وهو جزآن







297.4:D95aA:c.1

الدرديري، يحيى / أحمد
أركان الإسلام الخمسة وأثرها في حياة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01002259

American University of Beirut



297.4

D95aA

General Library

